

قدم له

فضيلة الدكتور

محمد المختار المهدي

عضو هيئة كبار العلماء ومجمع
البحوث الإسلامية والأستاذ بجامعة الأزهر
ومقرر لجنة القرآن وعلومه بالمجلس
الأعلى للشئون الإسلامية ورئيس
الجمعية الشرعية سابقًا

فضيلة الدكتور

سامي عبد الفتاح هلال

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات
وعلومها بطنطا سابقًا - جامعة الأزهر

فضيلة الشيخ

علي بن محمد بن توفيق النحاس

المجاز بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

إعداد

وائل بن فتح الله الحمدي

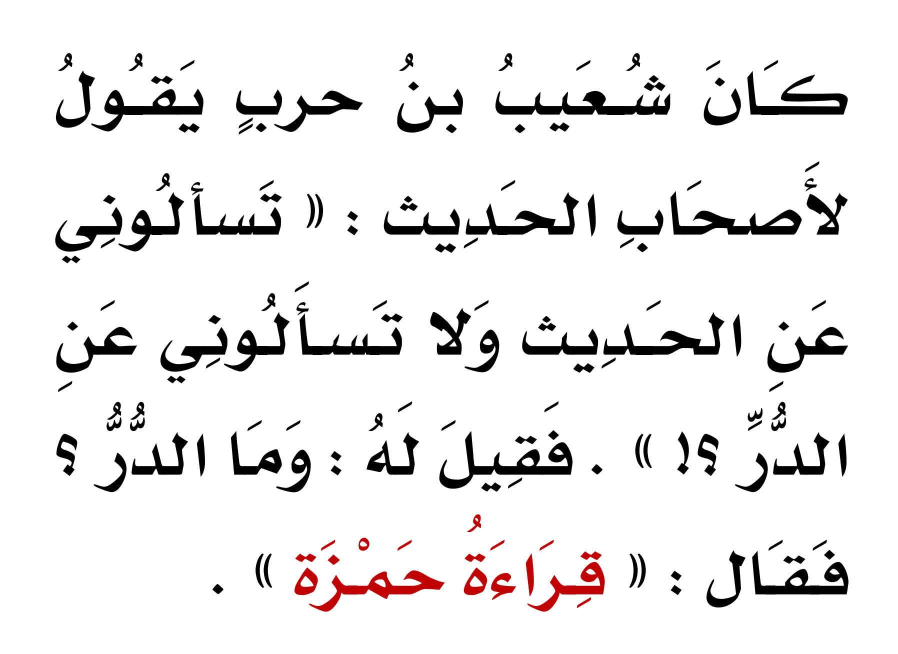
مجاز بالقراءات العشر


بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات في قراءة الإمام حمزة الزيات

الإبرازة الثالثة ١٤٤٤ هـ

Hamza.habeeb٣@gmail.com



كَانَ شُعَيبُ بنُ حربٍ يَقُولُ لأَصحَابِ الحَدِيث : « تَسألُونِي عَنِ الحَدِيث وَلا تَسأَلُونِي عن الدُّرِّ ؟! » . فَقِيلَ لَهُ : وَمَا الدُّرُّ ؟ فَقَال : « قِرَاءَةُ حَمْزَةَ » .

[جمال القُرَّاء (٢/ ٤٧٣)، معرفة القُرَّاء (١/ ١١٦)]

تقديم فضيلة الشيخ

محمد المختار محمد المهدي رحمه الله



حمدًا لله، وصلاة وسلامًا على خير خلق الله، وعلى آله ومن والاه، أما بعد ..

فمن أجَلِّ مجالات البحث العلمي ما يتعلق بكتاب الله أداءً وضبطًا، وبيانًا وشرحًا، وبخاصة محاولة استنباط بعض أسراره، والرد على من شكك في طرق إيصاله أو في ذِمَّة قُـرَّائه، وهم من أجمعت الأمةُ على مَدى عصورها على توثيقهم، وشهدت لهم بالتقوى والعلم والورع، وأبـَوْا أن يتكسَّبوا بالقرآن فاتخذ كلٌّ منهم صنعةً ليأكل من عمل يده .. ولقد نهض الابنُ البارُّ (وائل الحمدي) بعد أن حصَّل من جوانب المعرفة والأُسس العلمية لهذا المجال ما جعله أهْلًا لأن يُسهِمَ بجهد مشكور في دراسة قراءة الإمام حمزة بن حبيب الزيَّات بالرغم من عدم انتشارها في مصر إذ تأمَّل فيها وتناول أصولَه وفرشَه وسيرتَه العطرة بالتحليل والتعليل، ودفعَ ما وُجِّهَ إليه من نقد سواء كان من المغرضين، أم المنشغلين عن دراسة حياته وقراءته بما رأوه لديهم أهمَّ، فاختاروا قراءةَ غيرِه من منطلق أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال عن الأحرف السبعة الموزعة على القراءات المتواترة والقائمة على اللهجات العربية: «كلها شافٍ كافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب».

وقد أحسن المؤلف لهذا الكتاب برجوعه إلى المصادر الأصيلة المتنوعة بين كتب التفسير والحديث والقراءات والتوجيه الإعرابي والمعنوي والوقف والابتداء والمعاجم. ولم ينسَ الاطلاعَ على كتب المحدَثين والإفادة منها، وكنتُ أتمنى لو استطاع أن يردَّ الكلمات التي جاءت في قراءة حمزة إلى لهجتها العربية سواء في اللفظ أم الأداء

الصوتي[(١)]، وإن كان قد أشار في الإمالة إلى أنها لغةُ قيس وتميم.

ومما يُميِّز هذا الكتابَ أسلوبُه الذي لا يدرك القارئُ فيه فجواتٍ بين تعبيراته وتعبيرات المراجع، فجزاه الله خيرًا ووفقه فيما يعتزم إخراجه وأكثر من أمثاله.

وصلى الله وسلم على سيد الكون ومَن ترسم خُطاه.

وكتبه الفقير إلى الله

أ.د. محمد المختار محمد المهدي

عضو هيئة كبار العلماء ومجمع البحوث الإسلامية

والأستاذ بجامعة الأزهر ومقرر لجنة القرآن وعلومه

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ورئيس الجمعية الشرعية

في التاسع عشر من ربيع الآخر ١٤٣٥ هـ

الموافق التاسع عشر من فبراير ٢٠١٤ م

(١) قمتُ -بفضل الله تعالى- بعمل ذلك في أغلب المواضع بناءً على توجيه الشيخ -رحمه الله-. (المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلاة وسلاما على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد
فمن أجل مجالات البحث العلمي ما يتعلق بكتاب الله أداء وضبطا، وبيانا وشرحا
وبخاصة محاولة استنباط بعض أسراره، والرد على من شكك في طرق إيصاله
أو في ذمة قرائه، وهم من أجمعت الأمة على مدى عصورها على توثيقهم، وشهدت لهم
بالتقوى والعلم والورع، وأبوا أن يتكسبوا بالقرآن فاتخذ كل منهم صنعة ليأكل
من عمل يده.. ولقد نهض الابن البار (وائل الجمري) بعد أن حصل من جوانب المعرفة
والأسس العلمية لهذا المجال ما جعله أهلا لأن يسهم بجهد مشكور في دراسة
قراءة الإمام حمزة بن حبيب الزيات بالرغم من عدم انتشارها في مصر إذ تأمل فيها وتناول
أصوله وفرشه وسيرته العطرة بالتحليل والتعليل، ودفع ما وجه إليه من نقد سواء
كان من المغرضين أم المشتغلين عن دراسة حياته وقراءته بما رأوه لديهم أنهم فاختاروا قراءة
غيره من منطلق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الأحرف السبعة الموزعة على القراءات المتواترة
والقائمة على اللهجات العربية: "كلها شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"
وقد أحسن المؤلف لهذا الكتاب برجوعه إلى المصادر الأصيلة المتنوعة بين كتب التفسير
والحديث والقراءات والتوجيه الإعرابي والمعنوي والوقف والابتداء والمعاجم، ولم يغفل
الاطلاع على كتب المحدثين والإفادة منها، وكنت أتمنى لو استطاع أن يرد الكلمات
التي جاءت في قراءة حمزة إلى لهجات العربية سواء في اللفظ أم الأداء الصوتي والإسناد؟
وما أشار في الإمالة إلى أنها لغة قيس وتميم.

ومما يميز هذا الكتاب أسلوبه الذي لا يدرك القارئ فيه فجوات بين تعبيراته وتعبيرات
المراجع، فجزاه الله خيرا ووفقه فيما يعتزم إخراجه وأكثر من أمثاله.

وصلى الله وسلم على سيد الكونين ومن ترسم خطاه.

في التاسع عشر من ربيع الآخر ١٤٣٥هـ
الموافق التاسع عشر من فبراير ٢٠١٤م

وكتبه الفقير إلى الله:
أ.د. محمد المختار محمد المهدي
عضو هيئة كبار علماء الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية
والأستاذ بجامعة الأزهر ومقرر لجنة القرآن وعلومه
بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ورئيس الجمعية الشرعية

تقديم فضيلة الدكتور
سامي عبد الفتاح هلال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ... وبعد

فقد قرأت كتاب «تأملات في قراءة الإمام حمزة الزيات» إعداد ابننا الجاد/ وائل الحمدي، فوجدته جيدًا في مادته العلمية، وفيه عرض ماتع لقراءة إمام علم من أئمة قراءات أهل الكوفة، ثم إنه مع إمامته في القراءة جمع بين الفرائض والمواريث واللغة، وقد حظيت قراءة حمزة بدراسات عديدة، منها:

- قراءات الإمام حمزة والانتصار لها، لكاتب هذه الكلمات.
- قراءة حمزة بن حبيب الزيات، دراسة نحوية وصرفية، د/ حمودي المشهداني.
- قراءة حمزة ورد ما اعترض به عليها، لعبد الله بن صالح العبيد.
- قراءة حمزة، دراسة صوتية ... إلخ

وجاء هذا الكتاب فجمع بين هذه الدراسات وانتقى ما يخدم إبراز أهمية قراءة حمزة، وطاف ليدعم فكرته في كتب القراءات واللغة والتفسير والبلاغة وغيرها.

هذا وفكرة الكتاب تُعد سلسلة مباركة في عرض الروايات والقراءات المتواترة للأئمة المعتبرين.

والله أسأل أن يوفقه في قابل أعماله، وأن يجعل هذا العمل في صحائف حسناته، وأن يجعلنا وإيَّاه من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د/ سامي عبد الفتاح هلال

٢٨/ ٩/ ٢٠١٤

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا – جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ... وبعد

فقد قرأت كتاب "تأملات في قراءة الإمام حمزة الزيات" إعداد ابننا الجاد/ وائل الحمدي، فوجدته جيدًا في مادته العلمية وفيه عرض ماتع لقراءة إمام علم من أئمة قراءات أهل الكوفة ثم إنه مع إمامته في القراءة جمع بين الفرائض والحديث واللغة

وقد حظيت قراءة حمزة بدراسات عديدة منها:

- قراءات الإمام والانتصار لها لكاتب هذه الكلمات.
- قراءة حمزة بن حبيب الزيات دراسة نحوية وصرفية، د محمود الشهيدي.
- قراءة حمزة ورد ما اعترض به عليها د عبد الله بن صالح العبيد
- قراءة حمزة دراسة صوتية ... إلخ

وجاء هذا الكتاب فجمع بين هذه الدراسات وانتقى ما يخدم إبراز أهمية قراءة حمزة مستطرفًا ليدعم فكرته في كتب القراءات واللغة والتفسير والبلاغة وغيرها

هذا وفكرة الكتاب تعد سلسلة مباركة في عرض الروايات والقراءات المتواترة للأئمة المعتبرين

والله أسأل أن يوفقه في قابل أعماله، وأن يجعل هذا العمل في صحائف حسناته، وأن يجعلنا وإياه من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د/ سامي عبد الفتاح هلال

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها

بطنطا - جامعة الأزهر

تقديم فضيلة الشيخ
علي محمد توفيق النحَّاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد .. فإن الإمام حمزة الزيات من الأئمة الأعلام وقراءته قراءة متواترة. ورغم ذلك تعرضت قراءته للطعن، وتطاول عليه بعضُ العلماء الذين لم يدققوا في قراءته، ولم يدركوا ما فيها من التوجيهات.

وقد اطلعتُ على كتاب (تأملات في قراءة حمزة) للأستاذ الشيخ/ وائل الحمدي فوجدته لم يترك ثغرةً من الثغرات إلا سدَّها، ولم يترك طعنًا وُجِّه إلى هذه القراءة المتواترة إلا ردَّه، كما أنه تجوَّل في أنحاء هذه الرواية فاقتطف منها التوجيهات المفيدة، فلم يترك أصلًا من الأصول أو فرشًا في هذه القراءة يقتضي توجيهًا إلا وأسهمَ فيه.

فجزى اللهُ تعالى المؤلفَ خيرَ الجزاء على ما أسهم فيه بهذا العمل الجليل خدمة للقراء والمقرئين.

وأرجو من الله أن يُوفقه إلى مزيد من الكتابة لخدمة كتاب الله العظيم، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ علي محمد توفيق النحاس

خادم أهل القرآن الكريم

المجاز بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

حرر في ١٩/ ٣/ ١٤٣٥ - ٢٠/ ١/ ٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فإن الإمام حمزة الزيات من الأئمة الأعلام وقراءته
قراءة متواترة، ورغم ذلك تعرضت قراءته للطعن، وتطاول
عليه بعض العلماء الذين لم يتفقوا في قراءته ولم يدركوا ما فيها
من التوجيهات.

وقد اطلعت على كتاب (تأملات في قراءة حمزة) للأستاذ السيد
وائل الحمدي فوجدته لم يترك ثغرة من الثغرات إلا سدها
ولم يترك طعنا وجه إلى هذه القراءة المتواترة إلا رده
كما أنه تجول في أنحاء هذه الرواية فاقتطف منها التوجيهات
المفيدة فلم يترك أصلا من الأصول أو فرشا في هذه
القراءة يقتضي توجيها إلا وأسهم فيه
فجزى الله تعالى المؤلف خير الجزاء على ما أسهم فيه
من هذا العمل الجليل خدمة للقراء والمقرئين
وأرجو من الله أن يوفقه إلى مزيد من الكتابة لخدمة كتاب
الله العظيم وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

حرر في ١٩/٣/١٤٣٥هـ
٢٠/١/٢٠١٤

علي محمد توفيق النحاس
خادم أهل القرآن الكريم
المجاز بالقراءات العشر
الصغرى والكبرى



خادم القرآن والسنة المطهرة
على بن محمد توفيق بن النحاس
المجاز بالقراءات العشر الصغرى والكبرى



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن على أحرف وأوجه تيسيرًا وتخفيفًا، وجعل ذلك للمسلمين تفضيلًا وتشريفًا، وأمرهم بحفظه بأوجهه وجوبًا وتكليفًا، وجعل لكل وجهٍ معنًى دقيقًا لطيفًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اتبعه مسلمًا حنيفًا.

وبعد .. فإن قراءة الإمام حمزة إحدى القراءات العشر المتفق على تواترها، وصحةِ القراءة بها، والدارس للقراءات أو المستمع لها يَجد لقراءة حمزة مَسْمعًا مُميَّزًا في الآذان، وأداءً جذَّابًا – وقد ورد عن شعيب بن حرب أنه قال لأصحاب الحديث: تسألوني عن الحديث ولا تسألوني عن الدُّر؟! فقيل له: وما الدُّر؟ فقال: قراءةُ حمزة.

ولتعلُّقي بقراءة الإمام حمزة وحبي لها قمتُ بتَتَبُّع ما ذُكر في توجيهها، فيما خالفَتْ فيه روايةَ حفص، أصولًا وفرشًا، لإبراز معانيها، وإجلاء ما أشكلَ منها، فجمعت ما في هذا الكتاب من ثنايا كتب التفسير، والقراءات، والاحتجاج لها، والوقف والابتداء، وأعاريب القرآن، واللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، واللهجات العربية، والفقه، والعقيدة، كما أفدت من أبحاث وفوائد على شبكة المعلومات.

ومما لا شك فيه أن علم توجيه القراءات من أجلِّ العلوم وأشرفها؛ لتعلقه بفهم معاني كلام الله تعالى، وهو من العلوم التي يَلزم المقرِئَ أن يُحصِّلها[(١)]، وينبغي لدارس القراءات أن يهتم بها؛ ففَهم القرآن وتدبره هو المقصود الأعظم من إنزاله؛ فقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال

(١)قال الإمام ابن الجزري -رحمه الله- فيما يلزم المقرِئ أن يتخلَّق به من العلوم: «... وأن يُحصِّل جانبًا من النحو والصرف، بحيث إنه يُوجِّه ما يقع له من القراءات، وهذان من أهم ما يحتاج إليه، وإلا يُخطِئ في كثير مما يقع في وقف حمزة، والإمالة، ونحو ذلك من الوقف والابتداء وغيره.

وما أحسن قول الإمام أبي الحسن الحصري في تيك القصيدة:

لَقَدْ يَدَّعِي عِلْمَ الْقِـرَاءَاتِ مَعْشَـرٌ ... وَبَاعُهُمْ فِي النَّحْـوِ أَقْصَـرُ مِـنْ شِـبْرِ

فَإِنْ قِيلَ: مَـا إِعْـرَابُ هَـذَا وَوَزْنُـهُ؟ ... رَأَيْتَ طَويلَ الْبَـاعِ يَقْصُر عَنْ فِـتْرِ

وليحصِّل طرفًا من اللغة والتفسير ..». إلى آخر كلامه -رحمه الله- في منجد المقرئين (٥٠: ٥٢)

سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

قال الشيخ ابن تيمية -رحمه الله-: «... ولهذا دخل في معنى قوله: «خيرُكم من تعَلَّمَ القرآنَ وعلَّمه»[(١)] تعليمُ حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصودُ الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان».

هذا، وقد تضمَّن الكتاب في مقدمته ردًّا عامًّا على مَن تكلَّم في قراءة حمزة -رحمه الله-، ثم ذكرت كذلك ردًّا خاصًّا على ما تُكُلِّمَ فيها من كلمات فرشية، كلٌّ في موضعه من سور القرآن، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، صالحًا متقبَّلًا عنده، مُباركًا فيه، نافعًا لأهله، مُقرِّبًا لقراءة حمزة، وكاشفًا عن شيء من أوجه جمالها، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن - باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم (٥٠٢٧).

ترجمة الإمام حمزة[(١)]

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي الفرضي الزَّيات، يُكنى أبا عمارة، مولى لآل عكرمة بن رِبْعِيّ التيمي، وقيل: من صميمهم.

وقال الذهبي: «قال البخاري: حمزة بن حبيب الزيات مولى بني تيم الله بن ربيعة.

وقال سليم: هو حمزة مولى بني تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة.

وقال محمد بن الحسن النقاش: مولى بني عجل، من ولد أكثم بن صيفي»[(٢)].

وقال الذهبي: أصله فارسي.

ولد سنة ثمانين، هو وأبو حنيفة في عامٍ، وأدرَكَ الصحابةَ بالسِّنِّ، فيحتمل أن يكون رأى بعضَهم.

قال أبو عمرو الداني: «وله سِنٌّ يحتمل أن يلقى مَن تأخر موته منهم [أي: الصحابة] ببلده»، وساق بسنده عن شعيب بن حرب أنه قال: أَمَّ حمزةُ الناسَ سنة مائة. قال: «فهذا يدل على أنه قد أدرك ببلده عبدَ الله بنَ أوفى، ورأى أنسًا؛ لأن عبد الله توفي بالكوفة سنةَ ست وثمانين، وأنسًا توفي سنةَ إحدى وتسعين، غير أنَّا لا نعلم له روايةً عنهما، ولا عن غيرهما من الصحابة، وعظم روايته عن التابعين وعن أتباعهم»[(٣)].

قال الذهبي: توفي سنة ثمان وخمسين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة فيما بَلَغَنا، وهو وهم. وقيل: سنة أربع وخمسين.

---

(١) ينظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٢٥٠: ٢٦٥)، غاية النهاية (١/ ٢٣٦: ٢٣٨)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠: ٩٢)، وفيات الأعيان (٢/ ٢١٦) ، جمال القراء (٢/ ٤٦٨ : ٤٧٦)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٧٧، ٣٧٨)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٧، ٢٨)، الطبقات الكبير (٨/ ٥٠٧)، الفهرست (٤٤)، السبعة (٧٢: ٧٨)، أحاسن الأخبار (٣٠٣: ٣٦٦، ٣٩٢)، النشر (١/ ١٣٨).

وتوجد رسالة «إتحاف الأعزة بترجمة الإمام حمزة» جمع/ مصطفى بن شعبان الوراقي، جمع فيها الكثير عن الإمام حمزة، مع فوائد تربوية وعلمية من سيرته وحاله.

(٢) معرفة القراء (١/ ٢٥٢).

(٣) جامع البيان (٦٤).

قال الذهبي: والصحيح وفاته في سنة ست وخمسين ومائة، وله ست وسبعون سنة، رحمه الله تعالى، هكذا ورخه فيها غيرُ واحد.

مات بحُلْوَان[١] في خلافة أبي جعفر المنصور، وقبره بها مشهور، قال عبد الرحمن بن أبي حماد: زرته مرتين.

وكان يعمل تاجرًا، فكان يجلبُ الزيتَ من الكوفة إلي حُلْوان، ويجلب الجبن والجوز من حُلوان إلي الكوفة، ومِن ثَم وُصِف بالزيَّات، تصدَّر للإقراء مُدةً، وأخذ عنه عددٌ كبير.

من شيوخه :

أخذ القرآن عرضًا عن سليمان الأعمش[٢]، وحمران بن أعين، وأبي إسحاق

(١) وهي مدينة في أواخر سواد العراق مما يلي بلادَ الجبل. وفيات الأعيان (٢/ ٢١٦)

(٢) وقيل: بل قرأ الحروف على الأعمش، ولم يقرأ عليه جميع القرآن. قالوا: استفتح حمزةُ القرآنَ من حمران، وعرض على الأعمش وأبي إسحاق، وابن أبي ليلى، وكان الأعمشُ يجوِّد حرفَ ابن مسعود، وكان ابنُ أبي ليلى يجوِّد حرفَ علي، وكان أبو إسحاق يقرأ من هذا الحرف ومن هذا الحرف، وكان حمران يقرأ قراءةَ ابن مسعود، ولا يُخالِفُ مصحفَ عثمان، يعتبر حروف معاني عبد الله، ولا يخرج من موافقة مصحف عثمان، وهذا كان اختيار حمزة. غاية النهاية (١/ ٢٣٦)

وقال ابن مجاهد (السبعة/ ٧٢): وكان حمزة قد قرأ على الأعمش بها، ويقال: إنه لم يقرأ عليه، ولكنه سمع قراءَته.

وقال السخاوي: «قال سليم: جاء حمزة إلى الأعمش وهو يُقرئ، فلما رأوه قالوا: «حائك»، فلما بلغت النوبة إليه جلس ليقرأ فابتدأ «يوسف»، فقالوا: الآن صحَّ أنك حائك [قال محققه: وذلك لذكر القميص في السورة]، وكان الأعمش إذا قرئ عليه سورة يوسف طالب بتحقيق ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ و﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾، و﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ﴾، فلما بلغ: ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ لم يأخذ عليه، فلما فرغ الجزءُ لم يبقَ في ذلك المجلس أحدٌ إلا صار صديقًا لحمزة.

وعن سليم أيضًا: رأيت حمزةَ وعبدَ الله بن إدريس يقرآن على الأعمش». جمال القراء (٤٦٨، ٤٦٩)، أحاسن الأخبار (٣٥٢، ٣٥٣)

ولذلك قال الذهبي: جاءت أخبار تُؤذِن بقراءة حمزة على الأعمش، ورويت أخبار بخلاف ذلك، فالله أعلم. معرفة القراء الكبار (١/ ٢٦٤)

قلت: الأصل أن المثبِت مقدَّمٌ على النافي، وقد أورد صاحب «إتحاف الأعزة» أوجهًا قوية في ترجيح قراءته عليه، والله تعالى أعلم.

السبيعي، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وطلحة بن مُصَرف، ومغيرة بن مقسم، ومنصور وليث بن أبي سليم، وجعفر بن محمد الصادق.

وقال سليم عن حمزة: قرأت القرآن أربع مرات على ابن أبي ليلى.

وروَىٰ عن أبي إسحاق الشيباني، وعدي بن ثابت، والحكم بن عتيبة، وحبيب بن أبي ثابت، ومنصور بن المعتمر، وأبي المختار الطائي، وعمرو بن مُرَّة، وجماعة[١].

تلاميذه:

قرأ عليه وروى القراءةَ عنه[٢]: إبراهيمُ بن أدهم، وسفيان الثوري، وسليم بن عيسى - وهو أضبط أصحابه -، وشعيب بن حرب، وعلي بن حمزة الكسائي - أجلُّ أصحابه- ، وإبراهيم بن إسحاق بن راشد، وإبراهيم بن طعمة، وإبراهيم بن علي الأزرق، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وإسرائيل بن يونس السبيعي، وأشعث بن عطاف، وبكر بن عبد الرحمن، وجعفر بن محمد الخشكني، وحجَّاج بن محمد، والحسن بن بنت الثمالي، والحسن بن عطية، والحسين بن علي الجعفي، والحسين بن عيسى، وحمزة بن القاسم الأحول، وخالد بن يزيد الطبيب، وخلاد بن خالد الأحول، وربيع بن زياد، وسعيد بن أبي الجهم، وسلم الأبرش المجدر، وأبو الأحوص سلام بن سليم، وسليمان بن أيوب، وسليمان بن يحيى الضبي، وسليم بن منصور، وشريك بن عبد الله، وزكريا بن يحيى بن اليمان، وصباح بن دينار، وعائذ بن أبي عائذ أبو بشر الكوفي، وعبد الرحمن بن أبي حماد، وعبد الرحمن بن قلوقا، وعبد الله بن صالح بن مسلم العجلي، وعبيد الله بن موسى، وعلي بن صالح بن حيي، وأبو عثمان عمرو بن ميمون القناد، وغالب بن فائد، ومحمد بن حفص الحنفي، ومحمد بن زكريا، ومحمد بن عبد الرحمن النحوي، ومحمد بن أبي عبيد الهذلي، وحمد بن عيسى الرايشي، ومحمد بن فضيل بن غزوان، ومحمد بن الهيثم النخعي، ومحمد بن واصل المؤدب، ومندل بن علي، ومنذر بن الصباح، ونعيم بن يحيى

(١) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠).
(٢) غاية النهاية (١/ ٢٣٦، ٢٣٧).

السعيدي، ويحيى بن الفراء، ويحيى بن علي الخزاز، ويحيى بن المبارك اليزيدي، ويوسف بن أسباط، ومحمد بن مسلم العجلي كما ذكر أبو الحسن الخياط.

سيرته وأقوال العلماء فيه وفي قراءته:

قال سهل بن محمد التميمي: قال لنا سليم: سمعت حمزة يقول: ولدت سنة ثمانين، وأحكمت القراءةَ ولي خمس عشرة.

وقد صارت إليه الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش.

نقل الداني بسنده عن عبد الباقي بن الحسن قال: لما توفي عاصم قيل لأبي بكر بن عيَّاش: اجمع الناسَ على قراءة عاصم، وانصب نفسك للأخذ عليهم، فامتنع من ذلك، فرجعَ الناسُ إلى قراءة حمزة، فاشتهرت له الإمامة بالكوفة بعد.

ونقل أيضًا بسنده عن محمد بن الهيثم قال: أدركت الكوفة، ومسجدها الغالبُ عليه قراءةُ حمزة، ولا أعلمني أدركت حلقة من حلق المسجد الجامع يقرءون قراءة عاصم.

وقال ابن مجاهد: وكان حمزةُ ممن تجرَّد للقراءة، ونصب نفسه لها، وكان ينحو نحو أصحاب عبد الله؛ لأن قراءة عبد الله انتهت بالكوفة إلى الأعمش.

وعن شعيب بن حرب قال: أمَّ حمزةُ الناسَ سنةَ مائة.

قال السخاوي: وكان حمزةُ رحمه الله يُقرِئُ الأولَ فالأول، ولا يُقدِّمُ أحدًا على أحد، وكان بنو عيسى بن موسى الهاشمي يأتونه ليقرءوا عليه فلا يُقدِّمُهم، فكانوا يختلفون إليه فلا يُدركون القراءةَ عليه، فقيل له: يا أبا عمارة، إنَّ هؤلاء الشباب ولدُ عيسى، وعيسى مَن علمتَ حاله وقدره، شيخ بني هاشم، يأتون فلا تُقرِئهم، فقال: ما ذاك لهم عندي، إن كانوا يريدون يقرءون عندي فليُرسِلوا مواليهم ليأخذوا لهم موضِعًا.

وعن مندل قال: إذا ذُكِر القراءُ فحسبُك بحمزة في القراءة والفرائض.

قال ابن الجزري: وكان إمامًا، حُجَّةً، ثقة، ثبتًا، رضيًّا، قيمًا بكتاب الله، بصيرًا بالفرائض، عارفًا بالعربية، حافظًا للحديث، عابدًا، خاشعًا، زاهدًا، وَرِعًا، قانتًا لله،

عديمَ النظير.

وقال الذهبي: شيخُ القراء، وأحدُ السبعة الأئمة، وقال أيضًا: وكان إمامًا قيمًا لكتاب الله، قانتًا، ثخينَ الورع، رفيعَ الذِّكْر، عالمًا بالحديث والفرائض.

وقال: ظهر له نحو من ثمانين حديثًا، وكان من الأئمة العاملين.

وقال: وحديثه مُخرجٌ في صَحيح مسلم، وفي السنن الأربعة.

وقال يحيى بن معين: حمزة الزيات أبو عمارة ثقة، وكذلك قال فيه أحمدُ بن حنبل رحمه الله.

وقال النسائي : حمزة الزيات ليس به بأس.

وقال ابن سعد في طبقاته : وكان حمزة رجلًا صالحًا، وكانت عنده أحاديث، وكان صدوقًا صاحِبَ سُنة، وقال: وكان صاحبَ قراءةِ القرآن، وصاحبَ فرائض.

وقال العجلي: ثقة، رجل صالح.

وقال ابنُ أبي مريم: «وكان حمزةُ عالمًا فاضلًا، مجيدًا للقراءة، مشتهرًا بالزهد»[(١)].

وقال أبو بكر بن منجويه: كان من علماء زمانه بالقراءات، وكان من خِيار عبادِ الله عبادةً، وفضلًا، وورعًا، ونسكًا.

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال فيه مثلَ كلامِ ابن منجويه سواء.

وقال عبد الله العجلي: قال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعُك فيهما: القرآنُ والفرائض.

وقال سفيان الثوري: غلب حمزةُ الناسَ على القرآن والفرائض، وقال: هذا أقرؤنا للقرآن.

وقال النديم: وكان فقيهًا.ا.هـ

(١) الكتاب الموضح (١/ ٤٣).

وقال عبيد الله بن موسى: كان حمزة يُقرِئ القرآنَ حتى يتفرق الناسُ، ثم ينهض فيصلي أربعَ ركعات، ثم يُصلي ما بين الظهر إلى العصر، وما بين المغرب والعشاء، وحدثني بعضُ جيرانه أنه لا ينام الليلَ، وأنهم يسمعون قراءَته يُرتل القرآنَ.

وقال عبيد أيضًا: ما رأيتُ أحدًا أقرأَ من حمزة.

دخل عليه سُليم يومًا فوجده يبكي فقال: ما يبكيك؟ فقال: التفكر في هذه الآية ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال أبو عمرو الدوري: حدثنا أبو المنذر يحيى بن عقيل قال: كان الأعمش إذا رأى حمزةَ قد أقبل قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، هذا حبر القرآن.

وذكر المزي في «أحاسن الأخبار» أن الأعمش قال: إن أردتم أعلمَ مني بالقرآن فهذا الشابُّ - يعني حمزة -، وكان كثيرًا ما يقول لأصحابه إذا رآه: إن هذا أعلمُكم بكتاب الله.

وقال أبو بكر بن عياش: ذُكر حمزةُ عند الأعمش فقال: ذاك تفاحة القراء، وسيدُ القراء.

وقال يحيى بن معين: سمعت محمد بن فضيل يقول: ما أحسبُ أن الله يدفعُ البلاءَ عن أهل الكوفة إلا بحمزة.

وقال جرير: وددت أن أستطيعَ أصنعُ ما يصنعُ حمزة، سيدُنا وسيدُ القُرَّاء.

ونقل عن شعيب بن حرب أنه كان يقول لأصحاب الحديث : ألا تسألوني عن الدرِّ؟ : قراءة حمزة.

وقال الإمام الشاطبي :

وَحَمْزَةُ مَا أزكَاهُ مِن مُتَوَرِّعٍ إمَامًا صَبُورًا لِلْقُرَانِ مُرَتِّلَا

وقال عبد الله: قال حمزة: نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري.

وقال حسين الجعفي : ربما عطش حمزة فلا يستقِي كراهيةَ أن يُصادف من قرأ عليه.

وعن حمزة: أنا أكرهُ أن أشرب مِن بيتِ مَن يقرأُ عليَّ الماءَ.

قال السخاوي: وكان حمزة - رحمه الله - يقرأ في كل شهر خمسًا وعشرين ختمة، ولم يلقَهُ أحدٌ قط إلا وهو يقرأ القرآن.

وعن شُعيب بن حرب قال: سمعت حمزة يقول: ما قرأتُ حرفًا قط إلا بأثر، وكان حمزةُ مُتَّبِعًا لآثار مَن أدركَ مِن أئمة القراءة، عالمًا بالقراءة ومذاهبها.

وعن شعيب بن حرب أنه قرأ على حمزة بالكوفة وبالجبل، فختم عليه ختمات وقال: يا أبا صالِح الزم هذه القراءة، فما منها حرف قرأته إلا ولو شئت رويتُ لك فيه حديثًا.

وقال شعيب بن حرب: لو أردت أن أسند قراءة حمزة حرفًا حرفًا لفعلت.

وقال عبد العزيز بن محمد: كنا عند الأعمش، فمَرَّ حمزةُ، فقال الأعمش: ترون هذا الفتى؟ ما قرأ حرفًا إلا بأثر.

وعن الوليد بن بكير: أتيت سفيانَ الثوري أعُودُه، فأتاه حمزةُ، فلما ولَّى قال سفيان: ترون هذا؟ ما أراه قرأ حرفًا إلا بأثر.

وحدَّث ابنُ مجاهد بسنده عن عقبة بن قبيصة بن عقبة قال: سمعت أبي يقول: كنا عند سفيان الثوري فجاء حمزةُ بن حبيب الزيات كلمه، فلمَّا قام من عنده أقبل علينا سفيانُ الثوري فقال: أترَوْنَ هذا؟ ما قرأ حرفًا مِن كتاب الله عز وجل إلا بأثر.

وفي الطبقات السنية: «عن أحمد بن عطية قال: سمعت يحيى بن معين يقول: القراءةُ عندي قراءةُ حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركتُ الناسَ»[1].

وقال السخاوي: وكان حمزةُ رحمه الله أجلَّ وأورعَ من أن يبتَدِع.

وقال شريك وقد سئل عن الهمز: هذا حمزةُ يهمِز، ما علمتُ بالكوفة أقرأَ ولا أفضلَ

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (١٠٤).

منه. وقال: ومَن مثل حمزة؟. وقرأ شريك فهمَزَ، فقيل: أتَهمِزُ وقريش لا تهمز؟ فقال: هذا سيدُنا حمزة يهمز، أفلا أهمِزُ أنا؟.

وقال أسود بن سالم : سألت الكسائي عن الهمز والإدغام، ألكم فيه إمام؟ قال : نعم، هذا حمزةُ يهمز ويكسِر، وهو إمامٌ من أئمة المسلمين، وسيد القراء والزهاد، ولو رأيتَه لقرتْ به عينُك من نُسُكِه.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: حدثنا أبي قال: حمزةُ كان سنةً بالكوفة، وسنة بحُلوان، فختم عليه رجُل من أهل حُلْوان من مشاهيرهم، فبعث إليه بألف درهم، فقال لابنه: قد كنت أظن لك عقلًا، أفآخذ على القرآن أجرًا؟! أرجو على هذا الفردوسَ.

وقال سليم: رأيت سفيانَ الثوري يقرأُ على حمزة، قال: وسمعت سفيانَ يقول: قرأت على حمزة أربعَ ختمات. قال سليم: وسمعت حمزةَ يقول: أتاني سفيانُ بن سعيد الثوري، وسألني أن آخذ عليه، فأقرأته فقرأ عليَّ أربعَ ختمات.

وقال شعيب بن حرب: قرأ إبراهيم بن أدهم على حمزة، وقال محمد بن موسى الدمشقي: قلت لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، وقد قرأتَ؟ قال: نعم، على حمزة الزيات.

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يحبُّ قراءةَ حمزة، قال محمد بن الفضيل بن عياض: منعني أبي أن أسمعَ من منصور بن المعتمر، وقال لي: لا تسمع من منصور ولا غيره حتى تختم القرآنَ على حمزة.

ومن طريف ما ذُكِر أنَّ سليمًا قال: لقد أتيتُ حمزةَ والكسائيُّ يقرأُ عليه فأرعد، فقال له حمزةُ: كأنَّه أجلُّ في عينك مِنِّي، قال: لا، ولكنِّي إن أخطأتُ علمتَني، وإن أخطأتُ وهذا حاضرٌ يَسمعُ يشنع عليَّ.

وكان الكسائيُّ - رحمه الله - يفتخر به، وكان يُسمِّيه «أستاذي»، ويُجلُّه ويرفعُ من قدره، وقرأ عليه القرآنَ أربعَ مرَّات. قال الكسائي: قال لي هارونُ الرشيد أمير المؤمنين:

أقرئْ محمدًا قراءةَ حمزة، فقلتُ: هو أُستاذي يا أميرَ المؤمنين.

وقال ابن مجاهد: حدثني ابن أبي الدنيا قال: قال محمد بن الهيثم: حدثني إبراهيم بن الأزرق قال: كان حمزة يقرأ في الصلاة كما يقرأ، لا يدَعُ شيئًا من قراءته، يذكر المدَّ والهمزَ والإدغامَ.

قال عبد الله العجلي: ومات حمزة فترك عليه من الدين ألف درهم، فقضاها عنه يعقوبُ بن داود.

ونقل عبد الوهاب المزي عن الإمام ابن شنبوذ قال: حدثني بعضُ أصحابنا من أصحاب الحديث قال: رأيتُ فيما يرى النائم كأنَّ القيامة قد قامت، وإذا رجل قائمٌ في عُلوٍّ، وعن يمينه آخر، قال: فسألت مَن هذان في العلو؟ فقيل لي: أبو عمرو بن العلاء وحمزة بن حبيب الزيات، والقرَّاء من ورائهما.

ولحمزة كتابُ قراءة حمزة، وكتاب الفرائض، وكتاب في متشابه القرآن، وكتاب في مقطوع القرآن وموصوله، وكتاب أسباع القرآن، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب العدد[(١)].



(١) الفهرست (٤٤، ٥٤، ٥٥، ٥٦)، وذكر ابن مجاهد أن عبيد الله بن موسى سمع كتاب «قراءة حمزة» من حمزة، ولم يقرأ عليه. السبعة (٨٧)

ترجمة الإمام سُلَيم صاحب حمزة [١]

هو سُلَيْم بن عيسى بن سُليم بن عامر بن غالب بن سعيد بن سليم بن دَاوُد، أبو عيسى، ويقال: أبو محمد، الحنفي مولاهم، الكوفي، المقرئ المجود، بقية الحذاق.

ولد في سَنة ثلاثين ومائة من الهجرة، وقال خلف: مولده في سنة تسع عشرة ومائة، وذُكر أنه كان أعرج.

ومات -رحِمه الله- سنة ثمان وثمانين ومائة، كذا أرَّخه خَلَف، وقيل: تسع، وقيل: سبع وثمانين ومائة، وقيل: سنة مائتين عن سبعين سنة وستة أشهر، في أيام المأمون، ودفن في الكوفة.

قال عنه الإمام ابنُ الجزري: «ضابط مُحرِّر حَاذِق ... وعرَضَ القرآنَ على حمزة، وهو أخصُّ أصحَابِه وأضبطُهم وأقومُهم بحرف حمزة، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة».

وقال عنه الذهبي: «... المقرئ، صاحب حمزة الزيات، وأخص تلامذته به، وأحذقهم بالقراءة، وأقومهم بالحروف، وهو الذي خلف حمزةَ في الإقراء بالكوفة فيما قيل».

عرض القرآن على حمزة عشرَ مرات.

قرأ عليه خَلَف بن هشام البزَّار، وخلَّاد بن خالد الصيرفي، وحفص بن عمر الدوري، ومحمد بن يزيد، وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل، وعلي بن كيسة المصري، وأحمد بن جبير، وعدد كثير.

قال الذهبي: «حتَّى إن رفقاءه في القراءة على حمزة قرءوا عليه لإتقانه، منهم: خالد الطبيب، وحمزة بن القاسم، وجعفر الخشكني، وإبراهيم الأزرق، وعبد الله بن صالح العجلي».

وكانَ رحمه الله تعالى إمامًا عَالمًا ورِعًا ناسِكًا. وكما قرأ القرآن على حمزة فقد سمع

---

(١) ينظر غاية النهاية (١/ ٢٨٨، ٢٨٩)، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٠٥: ٣٠٧)، أحاسن الأخبار (٣٦١، ٣٦٢)، النشر (١/ ١٣٨، ١٣٩)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٢).

منه الحديث ورَوَاهُ عنه، وسمع كذلك من سفيان الثوري.

وكان إذا جاء سُليم حلقةَ الإمام حمزة قال لأصحابه : «تحفظوا وتثبتوا فقد جاء سُليم»، ينبه بذلك على فضله.

قال خلف: أتيت سُلَيم بن عيسى لأقرأ عليه، وكان بين يديه قوم - وأظنهم سبقوني - ، فلما جلستُ قال: بلغني أنك تريد الترفع في القراءة، فلست آخذ عليك شيئًا، قال: فكنت أحضر المجلسَ أسمعُ ولا يأخذ عليَّ شيئًا، فبكرت يومًا في الغلس، وخرج فقال: مَن ها هنا يتقدَّم ويقرأ، فتقدمتُ واستفتحتُ بسورة يوسف، وهي من أشدِّ القرآن إعرابًا، فقال لي: مَن أنت، فما سمعتُ أقرأَ منك؟ فقلتُ: خَلَف، فقال لي: فعلتَها، ما يحلُّ لي أن أمنعك، فكنتُ أقرأ عليه حتى بلغتُ يومًا حم المؤمن، فلما بلغتُ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [غافر: ٧] بكى بُكاءً شديدًا، ثم قال لي: يا خلف! ألا ترى ما أعظمَ حق المؤمن؟ تراه نائمًا على فراشه والملائكةُ يستغفرون له!.



ترجمة الإمام خَلَف بن هشام البَزَّار (الراوي الأول)[(١)]

هو خَلَف بن هشام بن ثعلب بن خَلف، وقيل: خلف بن هشام بن طالب بن غراب، أبو مُحَمَّد، البَزَّار، البغدادي، الأسدي، المقرئ، أحد الأعلام، أصله من فم الصِّلح -بكسر الصاد- من أعمال واسط، وصار بمدينة السلام كأنه من أهلها.

ولد سنة خمسين ومائة في رجب، وقيل في رمضان، ومات يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة، سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد في خلافة الواثق بالله، في زمن الجهمية، وكان متخفيًا منهم.

أتمَّ حفظَ القرآن الكريم وهو ابنُ عشرِ سنين، وابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

وقال خلف: أقرأتُ القرآن أولَ شيء ولي ثلاث عشرة سنة.

وقال ابن أبي حسان: كان لخلف لما رحل إلى سُلَيم تسع عشرة سنة.

قرأ على سُلَيم عن حمزة، وأخذ القرآن أيضًا عرضًا عن عبد الرحمن بن أبي حماد عن حمزة، ويعقوب بن خليفة الأعشى، وأبي زيد سعيد بن أوس عن المفضل الضبي، وروى الحروف عن إسحاق المسيبي، وإسماعيل بن جعفر، وعبد الوهاب بن عطاء، ويحيى بن آدم، وعبيد بن عقيل.

قال ابن الجزري: «وسمع من الكسائي الحروف، ولم يقرأ عليه القرآن، قال أبو علي الأهوازي في مفردة الكسائي: قال الفضل بن شاذان عن خلف: إنه قرأ على الكسائي، والمشهور عند أهل النقل لهذا الشأن أنه لم يقرأ عليه، وإنما سأله عنها، وسمعه يقرأ القرآنَ إلى خاتمته، وضبط ذلك عنه بقراءته عليهم، وكذا قال الحافظ أبو العلاء، وهو الصحيح، والله أعلم».

(١) ينظر غاية النهاية (١/ ٢٤٦، ٢٤٧)، معرفة القراء الكبار (١/ ٤١٩: ٤٢٢)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٤١: ٢٤٣)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٥٦: ١٥٧)، الثقات لابن حبان (٨/ ٢٢٨)، أحاسن الأخبار (٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤)، الفهرست (٤٧).

وقرأ أيضًا لعاصم على أبي يوسف الأعشى، وأخذ حروف نافع عن أبي إسحاق المسيبي، وحروفَ عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر.

وله اختيارٌ حسن خالفَ فيه حمزةَ في أماكن، وأقرأَ به. قال ابن أشتة: كان خَلَف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفًا (يعني في اختياره)[1].

وسَمِعَ من مالك، وأبي عوان، وحماد بن زيد، وأبي شهاب عبد ربه الحناط [أو الخياط]، وأبي الأحوص، وشريك، وحماد بن يحيى الأبَح، وطائفة.

قرأ عليه إدريس بن عبد الكريم الحداد، وأحمدُ بن يزيد الحلواني، وأحمد بن إبراهيم وراقه، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، ومحمد بن الجهم، وسلمة بن عاصم، وخلق سواهم.

وحدَّثَ عنه مسلمٌ في صحيحه، وأبو داود في سننه، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازي، وأحمد بن أبي خيثمة، ومحمد بن إبراهيم بن أبان السراج، وأبو يعلى الموصلي، وأبو القاسم البغوي، وعدد كثير.

قال ابن الجزري: «وكان ثقة كبيرًا، زاهدًا، عابدًا، عالمًا».

قال ابن حبان: «وكان خيِّرًا فاضلًا، عالمًا بالقراءات، كتب عنه أحمدُ بن حنبل، وكان من الحفاظ المتقنين».

وقال النسائي: «بغداديٌّ ثقة».

ووثَّقَه يحيى بن معين.

وقال الدارقطني: «كان عابدًا فاضلًا».

ومما يدل على حرصه على العلم ما ذكره حمدان بن هانئ المقرئ قال: «سمعت خلف بن هشام يقول: أشكل عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقتُ ثمانين ألفَ درهم حتى حذقته».

---

(١) وهذا الاختيار هو القراءة العاشرة من القراءات العشر، فخَلَف راوي حمزة هو أيضًا أحد القراء العشرة.

وقال الحسين بن فهم: ما رأيتُ أنبلَ من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن للمحدثين، وكان يقرأ علينا من حديث أبي عوانة خمسين حديثًا.

قال الذهبي: وروي أن خَلَفًا كان يصومُ الدهرَ.

وقال إدريس الحداد: سمعت خلفًا يقول: «قرأتُ القرآنَ على سُلَيم مِرارًا، وكنتُ أسأله عند الفراغ من آخر القرآن: أروي عنك هذه القراءة التي قرأت عليك عن حمزة الزَّيات؟ فيقول: نعم». فدل ذلك على ضبطه واهتمامه.

وقد تقدم قول سُلَيم -رحمه الله- له: ما سمعتُ أقرأَ منك.

قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم ورَّاقُ خلف: سمعت خَلَفًا يقول: قدمتُ الكوفةَ فصِرْتُ إلى سُلَيم بن عيسى فقال: ما أقدمَك؟ قلتُ: لأقرأ القرآن على أبي بكر بن عيَّاش بحرف عاصم، فدعا ابنَه، وكتب معه ورقة إلى أبي بكر، لم أدرِ ما كتبَ فيها، فأتيناه، فقرأ الورقةَ وصَعَّد فِيَّ النظر، ثم قال: أنت خَلَف؟ قلت: نعم، قال: أنت الذي لم تخلف ببغداد أقرأَ منك؟ فسكتُّ، فقال لي: اقعد، هات اقرأ. قلتُ: عليكَ؟! قال: نعم، قلتُ: لا والله، لا أقرأ على رجُلٍ يستصغر رجلًا من حَمَلة القرآن، وتركتُه وخرجت، فوجَّهَ إلى سُلَيم فسأله أن يَرُدَّني إليه فأبَيتُ، ثم نَدِمت واحتجت، فكتبت قراءةَ عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيَّاش.

قال الذهبي مُعلقًا: «لما تفعله حدةُ الشباب لصاحبها».

وقال السخاوي: قال خلف البزار: دخلتُ الكوفة لأقرأ على أبي بكر، فلقيتُ أبا شهاب، فقال لي: أنا أكلمه حتى يأخذ عليك. فقال: قد لقيته فاذهب إليه، فلما وقفت بين يديه ازدراني، فتنحيتُ من بين يديه، ورحتُ إلى أبي شهاب، قال: أنا أكلمه حتى يأخذ عليك، قلت: والله لا رجعت إلى إنسان ازدراني، ولا قرأتُ عليه أبدًا، ثم ذهبت إلى يحيى، فأخذت القراءةَ عنه وهو حيٌّ.

ومن طريف ما ذُكر عنه أنه كان يقرأ يومًا على سُليم -وكان سليم أعرج- قولَه تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١، الفتح: ١٧] فنسي «الأعرج»، فمد رجله وقال: نسيتني وأنا حِذاءَك.

وقرأ عليه يومًا: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ مكان ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾، فقال له: قراءتك حسنة، وأنت عائز فقه.

وروي أنه لما رآه المسيبي قال : «ما أبصَرَتْ عيناي كخَلف».

وقال له أبو زيد : «أنت أعلمُ أهلِ الكوفة يا خلف».

وقيل إنه كان يكره أن يُدعى «البزَّار»، وكان يقول: ادعوني «المقرئ».

ومما يدل على سعة علمه، وعلو كعبه في علوم القرآن ما تركه من آثار ومؤلفات في هذا الميدان، ومن ذلك: كتاب القراءات، وكتاب في الوقف والابتداء، وكتاب اختلاف المصاحف، وكتاب في متشابه القرآن، وله كتاب العدد، وذُكِرَ أيضًا كتاب حروف القرآن عن خلف البزار[1]، وكتاب في فضائل القرآن[2].



(١) ينظر الفهرست (٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦).

(٢) الفهرست (٣٩)، طبعة طهران.

ترجمة الإمام خلاد (الراوي الثاني)[(١)]

هو خلاد بن خالد، وقيل: ابن خليد، وقيل: خلاد بن عيسى، أبو عيسى، ويقال: أبو عبد الله، الشيباني مولاهم، الصيرفي، الكوفي، الأحول، المقرئ، صاحب سُليم.

توفي بالكوفة سنة عشرين ومائتين في أيام المعتصم.

وقد أتقن الإمام خلاد القراءة، وتصدَّر للإقراء مُدة، فحمل الناس عنه قراءةَ حمزة، واشتهرت من طريقه، واعتمد القرَّاء فيها على ما رواه هو وخلف كلاهما عن سُليم عن حمزة.

سمع قراءة حمزة من حمزة نفسه، غير أنه لم يقرأ عليه[(٢)]، بل قرأ على سُلَيم عن حمزة فأخذ القراءةَ عرضًا عنه، وهو من أضبط أصحابه وأجلهم.

وروى القراءة عن حسين بن علي الجعفي عن أبي بكر، وعن أبي بكر نفسه عن عاصم، وعن أبي جعفر محمد بن الحسن الرواسي.

وحدَّث عن زهير بن معاوية، والحسن بن صالح بن حي.

روى القراءة عنه عرضًا محمد بن الهيثم قاضي عُكْبرا، وهو أجلُّ أصحابه، والقاسم بن يزيد الوزان، وهو أنبل أصحابه، وأحمد بن يزيد الحلواني، وإبراهيم بن علي القصار، وإبراهيم بن نصر الرازي، وحمدون بن منصور، وسليمان بن عبد الرحمن الطلحي، وعلي بن حسين الطبري، وعلي بن محمد بن الفضل، وعنبسة بن النضر الأحمري، ومحمد بن الفضل، ومحمد بن سعيد البزاز، ومحمد بن موسى بن أمية، ومحمد بن شاذان الجوهري، وهو من أضبطهم، ومحمد بن عيسى الأصبهاني، ومحمد بن يحيى الـخُنَيْسي.

وحدَّث عنه أبو زرعة، وأبو حاتم.

قال عنه ابن الجزري: «إمام في القراءة، ثقة، عارف، محقق، أستاذ».

وقال في النشر: «وكان إمامًا في القراءة ثقة عارفًا محققًا مجودًا أستاذًا ضابطًا متقنًا.

قال الداني: هو أضبطُ أصحاب سُليم وأجلُّهُم».

وقال الذهبي: وكان صدوقًا في الحديث والقراءة.

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار (٤٢٢، ٤٢٣)، غاية النهاية (١/ ٢٤٨)، أحاسن الأخبار (٣٦٤)، النشر (١/ ١٣٨).

(٢) أحاسن الأخبار (٣٦٤).

ردُّ ما ذُكر من كراهية قراءة الإمام حمزة

ورَدَ عن بعض السلف قديمًا -كالإمام أحمد[١] وغيره- كراهيةُ قراءة الإمام حمزة، أو كراهيةُ بعض أصوله كالمد والسكت وتغيير الهمز عند الوقف والإمالة والإدغام، وكذلك ورد عن بعض النحاة ردُّ بعض ما في قراءة حمزة من كلمات فرشية وتلحينُهم إيَّاها.

وهذا كلام قد مضى عليه الزمن وتساقط، بعدما قطعت الأمةُ بتواتر قراءة الإمام حمزة وصحتها، وبعدما شهد له العلماء بأمانته ودينه وورعه وضبطه، وذلك ممن عايشه، وممن جاء بعده، وقد سبق ذكر شيء من ذلك.

وجديرٌ بالذكر قبل أن أنقل ردَّ العلماء على ذلك الكلام التماسًا للعذر لعلمائنا من السلف ولبعض النحاة ممن كرهوا قراءة حمزة أو لحَّنوا بعضًا من حروفها أنَّ أمرَ القراءات السبع أو العشر لم يكن استقرَّ بعدُ، وربما كان يُقرَأ بالشاذِّ، وأنه لم يبلغهم تواترُ ما أنكروه، وإلا لم يسعهم أن يردُّوه، فالتواتر قد يغيب عن بعضهم[٢]، فحمَلَهُم على ذلك -غفر الله لهم- غيرتُهم على القرآن وردُّ الشاذ، إضافة إلى أن بعضًا ممن قرأ بقراءة حمزة قرأها بتكلف شديد ناسِبًا ذلك إلى حمزة، وهو منه بريء، ما دفعَ بعضَ الأئمة إلى

---

(١) سيأتي قريبًا -إن شاء الله- ذكرُ تراجعِ الإمام أحمد -رحمه الله- عن كراهته قراءةَ حمزة.

(٢) يقول الإمام الذهبي -رحمه الله- مقررًا لهذا المعنى بعد أن ذكر تواتر قراءة الإمام يعقوب الحضرمي، وتلقي الأئمة لها بالقبول، ومدحهم لها، وعدم إنكار أحدٍ من القراء ولا الفقهاء ولا النحاة ولا الصُّلحاء ولا الخلفاء إياها، واستمرار إمام جامع البصرة بالقراءة بها في المحراب سنين متطاولة:

«ولقد عُومِلَ حمزةُ مع جلالته بالإنكار عليه في قراءته من جماعة من الكبار، ولَمْ يَجْرِ مثلُ ذلك للحضرمي أبدًا، حتى نشأ طائفةٌ متأخرون لم يألفوها [أي: قراءة يعقوب]، ولا عرفوها، فأنكروها، **ومَن جَهِلَ شيئًا عاداه،** قالوا: لم تتصل بنا متواترةً. قلنا: اتصلت بخلق كثير متواترةً، **وليس من شرط التواتر أن يصل إلى كل الأمة، فعند القراء أشياءُ متواترةٌ دونَ غيرهم، وعند الفقهاء مسائلُ متواترة عن أئمتهم لا يدريها القُراءُ، وعند الـمُحَدِّثين أحاديثُ متواترة قد لا يكون سمعها الفقهاء، أو أفادتهم ظنًّا فقط، وعند النحاة مسائلُ قطعية، وكذلك اللُّغويون، وليس مَن جهل عِلمًا حُجةً على مَن عَلِمه، وإنما يُقال للجاهل: تَعلَّم، وسَلْ أهلَ العلم إن كنتَ لا تعلم، لا يُقال للعالم: اجهَلْ ما تَعْلم، رزقنا الله وإيَّاكم الإنصافَ».** سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٠، ١٧١)

كراهية قراءته، والصلاةِ بها، على أن أصل الاعتراض على بعض القراءات ليس مُحْدَثًا، بل كان شيءٌ من ذلك في عصر النبوة من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم، وقصةُ عمر مع هشام بن حكيم لما سمعه يقرأ سورة الفرقان واختلافه معه في ذلك مشهورة[(١)]، ثم حصل في زمن عثمان أيضًا اختلاف في ذلك مما جعله يجمعُ الأمةَ على مصحف واحد، والحادثة شهيرة معروفة[(٢)].

ومن الجدير بالذكر أيضًا أنه ليس حمزةُ وحده هو الذي ناله ذلك من بعض النحاة وأجلاء السلف، بل ما من قارئ من القراء السبعة إلا وله نصيب من ذلك[(٣)]، وهذا يؤكد أن هؤلاء النحاة لم يصيبوا فيما لحنوا فيه القراءَ، وأن استقراء بعضِهم للُّغة كان ناقصًا[(٤)]، وهو أمر طبعي، فاللغة لم يُحِط بها نحويٌّ قط، والنحاةُ أنفسُهم يردُّ بعضُهم على بعض، ويخالف بعضهم بعضًا. فليست قواعدُ النحويين حكمًا على ما ورد من القرآن متواترًا بنقل العدول الضباط، بل نقلُ القرآن أشدُّ ضبطًا ووثوقيةً من نقل شواهد العرب التي ربما وردت عن الآحاد وعن المجاهيل.

يقول الدكتور محمد عضيمة -رحمه الله-: «والقرآن الكريم حُجَّةٌ في العربية بقراءاته المتواترة، وغيرِ المتواترة، كما هو حُجَّة في الشريعة، **فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقِلُّ شأنًا عن أوثَقِ ما نُقِلَ إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها**، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يُكتفَى فيه برواية الآحاد»[(٥)].

(١) رواها البخاري في كتاب فضائل القرآن – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤٩٩٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه (٨١٨)، وهو في شرح النووي (٦/ ٩٨، ٩٩).

(٢) رواها البخاري في كتاب فضائل القرآن – باب جمع القرآن (٤٩٨٧).

(٣) ينظر مثلًا «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة رحمه الله (١/ ٣٤: ٤٢)، واطلعت على رسالة على شبكة المعلومات في هذا الباب بعنوان «مطاعن اللغويين والنحويين في القراءات السبع – جمعًا ودراسة وتحليلًا»، وهي رسالة دكتوراه مقدمة من الطالبة/ خلود بنت طلال الحساني بجامعة أم القرى.

(٤) قال الدكتور عضيمة: «ولبعض النحويين جرأة عجيبة، يجزمُ بأن القرآن خلا من بعض الأساليب من غير أن ينظر في القرآن ويستقري أساليبَه»، ثم ذكر أمثلة لذلك. دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١/ ١٥)

(٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١/ ٩).

ويقول سعيد الأفغاني: «وقد جرى عُرْفُ العلماء على الاحتجاج برواياته، سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة، **والقراءة الشاذة التي منع القرَّاءُ قراءَتها في التلاوة يُحتَجُّ بها في اللغة والنحو، إذ هي -على كل حال- أقوى سندًا وأصحُّ نقلًا من كل ما احتجَّ به العلماءُ من الكلام العربي غير القرآن**»[١].

ويقول الإمام السيوطي: «كان قومٌ من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءاتٍ بعيدةً في العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك؛ **فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعنَ فيها**، وثبوتُ ذلك دليلٌ على جوازه في العربية»[٢].

وقال أبو عبد الله الفاسي مُعلِّقًا على كلام السيوطي: «... ثم إنَّ هؤلاء القراء ليس لهم في القراءات المذكورة آنفًا آراء يُنسبون بها إلى الخطأ واللحن، وإنما هم نَقَلةٌ لما رَوَوْه بالتواتر، وقد تقرر أن القراءة سُنة مُتَّبعة، والمعتبر فيها التلقي عن الأئمة لا اعتماد الرأي كما قرروه، فالاعتراضُ عليهم وتلحينُهم مما لا معنى له، كما نبَّه عليه غيرُ واحد، والله أعلم»[٣].

وقال السخاوي عن حمزة: «وإنما اتخذه الناسُ إمامًا في القراءة لعلمهم بصحة قراءته، وأنها مأخوذةٌ عن أئمة القرآن الذين تحققوا بإقرائه، وكانوا أئمة يُقتدَى بهم من التابعين وتابعي التابعين»[٤].

وقال ابن مجاهد: «حدثني علي بن الحسن قال: حدثنا محمد بن الهيثم قال: قلت لعبد الله بن داود: إن بعضَ الناس يكرهُ قراءةَ حمزة، أو نحو هذا، فقال ابن داود: سمعت كلامَ هؤلاء البصريين[٥]؟! مَن كان أعلمَ من حمزة بعلمها[٦] وعلتها؟»[٧].

---

(١) في أصول النحو (٣٩).
(٢) الاقتراح في علم أصول النحو (٧٩، ٨٠).
(٣) فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح (١/ ٤٢٧).
(٤) جمال القراء (٢/ ٤٧١).
(٥) يريد أن مثلَ هذا القول يقوله البصريون تعصبًا على حمزة الكوفي. قاله محققه الدكتور/ شوقي ضيف.
(٦) بعلمها: بعلم القراءة. قاله محققه كذلك.
(٧) السبعة (٧٧).

وقال الإمام الذهبي: «**قد انعقد الإجماع بأَخَرَةٍ على تلقي قراءة حمزة بالقبول، والإنكار على مَن تكلم فيها**؛ فقد كان من بعض السلف في الصدر الأول فيها مقال»[(١)].

وقال بعدَ ذكره تحذيرَ عبدِ الله بن إدريس من قراءة حمزة: «اشتهر تحذيرُ ابنِ إدريس من ذلك -والله يغفرُ له- **وقد تلقى المسلمون حروفَه بالقبول، وأجمعوا اليومَ عليها**»[(٢)].

وقال أيضًا: «كره طائفة من العلماء قراءةَ حمزة لما فيها من السكت وفرط المد واتباع الرسم والإضجاع وأشياء، **ثم استقرَّ اليوم الاتفاق على قبولها**، وبعضٌ كان حمزة لا يراه»[(٣)].

وقال السخاوي -رحمه الله- بعد أن ذكر أئمةً كُثُر من أصحاب حمزة الذين أخذوا عنه القراءة: «أفَيُطعَن في إمام قرأَ عليه هؤلاء الأئمة وسَادات الإسلام، ورضوا قراءته وقبولها، وأدوها وحملوها؟!»[(٤)].

وقال الشيخ عبد الوهاب السبكي الشافعي في فتواه التي استفتاه فيها الإمامُ ابن الجزري: «الحمد لله .. القراءاتُ السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي قراءةُ أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف مُتواترةٌ معلومة من الدين بالضرورة، وكلُّ حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ، لا يُكابِر في شيء من ذلك إلا جاهل ...»[(٥)].

وقد أُفرِدَت كتبٌ ورسائلُ في الانتصارِ للإمام حمزة وقراءته قديمًا وحديثًا، وردِّ الطعن عليها، ومنها:

(١) كتاب الانتصار لحمزة، لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٣٧٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٩١).
(٤) جمال القراء (٢/ ٤٧٥)، وقد تقدم ذكر بعض مَن قرأ عليه وروى القراءة عنه.
(٥) نقلها عنه ابن الجزري في منجد المقرئين (١٧٤، ١٧٥).

البزار البغدادي (ت ٣٤٩ هـ)[١].

(٢) الانتصار لحمزة فيما نسبه إليه ابنُ قتيبة من مشكل القرآن، لعبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي (ت ٦١٦ هـ)[٢].

(٣) دفع الغمزة عن قراءة حمزة، وهو بحث تخرج بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، للباحث/ غازي بن بنيدر العمري[٣].

(٤) قراءة حمزة ورد ما اعترض به عليها، للشيخ/ عبد الله بن صالح بن محمد العبيد[٤].

(٥) رسالة في الرد على من منع قراءة حمزة والكسائي، للشيخ/ علي بن محمد بن توفيق النحاس.

(٦) رد الكلام والشبهات عن قراءة من المتواترات - في الرد على الطعن في قراءة الإمام حمزة الكوفي، للشيخ/ السيد بن أحمد بن عبد الرحيم.

(٧) قراءات الإمام حمزة والانتصار لها، للدكتور/ سامي عبد الفتاح هلال[٥].

(٨) فتح السميع المجيب من قراءة حمزة بن حبيب، لمحمد السيد الخير أبو القاسم[٦]، ذكر فيه ما قيل من الطعن في قراءة حمزة معزوًّا إلى قائله، وأوضحَ الردَّ عليه.

هذا بالإضافة إلى ما هو منثور في كتب التفاسير، وعلوم القرآن، وتوجيه القراءات،

---

(١) ذكره النديم في الفهرست (٤٩).

(٢) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ١٧٣)، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين (١/ ٤٥٩).

(٣) وجدت ذِكر ذلك البحث واسم مؤلفه على الشبكة العنكبوتية.

(٤) وهو مطبوع في دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان.

(٥) الرسائل الثلاثة الأخيرة مطبوعة بدار الصحابة للتراث بطنطا.

(٦) والذي عندي هو نسخة مصورة إلكترونيًّا من المطبوع، دار السداد- الخرطوم/ ٢٠٠٥. وقد ذُكر فيه أنه جزء من رسالة دكتوراه بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية.

والنحو من الرد عن قراءة حمزة والانتصار لها، كالبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، والدر المصون للسمين الحلبي، وأحاسن الأخبار لعبد الوهاب المزي، وجمال القُراء لعلم الدين السخاوي، وغيرها.

ولستُ هنا بصدد ذِكر الرَّد المفصل على ما ذُكر في قراءة حمزة، فإن ذلك يطول، وقد ذكرت بعض ما صُنِّف في ذلك، ولكني أؤكد أمرين:

الأول: أن قراءة حمزة -رحمه الله- قراءةُ جَمْعٍ غَفِير، وقراءةُ جيلٍ عن جيل، وهذا هو معنى التواتر، وقراءتُه متواترة بالضرورة، ونسبةُ القراءة إليه نسبةُ إتقانٍ وتفرُّغ لها وشُهرَةٍ بها، لا نسبة ابتداعٍ واختراعٍ أو انفراد، ولذلك كره بعضُ السَّلَف نسبة القراءة لأحدٍ، خوفًا من أن يُظَنَّ أنها قراءةُ آحاد.

قال الإمام ابن الجزري: «ونعتقد أن معنى إضافة كلِّ حرف من حروف الاختلاف إلى من أُضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبطَ له، وأكثرَ قراءةً وإقراءً به، وملازمةً له، وميلًا إليه، لا غير ذلك، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المرادُ بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءةَ بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به، فآثره على غيره، وداومَ عليه ولزمه حتى اشتهر وعُرِفَ به، وقُصِدَ فيه، وأُخِذَ عنه، فلذلك أُضِيف إليه دونَ غيره من القراء، وهذه الإضافة اختيارٌ ودوام ولزوم، لا إضافة اختراعٍ ورأيٍ واجتهاد»[(١)].

ومن قبله قال أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ): «معنى إضافة كلِّ حرفٍ مما أنزله الله عز وجل إلى أُبيٍّ، وعبدِ الله، وزيدٍ، وفلانٍ وفلانٍ، أنه كان أُضيف إليه إذا أكثَرَ قراءةً وإقراءً به، وملازمةً له، وميلًا إليه، فقط لا غير، وأنه لا يجوز إثباتُ قرآنٍ أو قراءةٍ وحرفٍ يُقال إن القرآن أُنزِل عليه بخبر الواحد الذي لم تقُم به الحجةُ على أن يثبت ذلك به حكمًا، لا علمًا وقطعًا لما سنوضحه إن شاء الله»[(٢)].

والأمر الثاني: أن ما أُخِذَ على حمزة -رحمه الله- في بعض أصول قراءته من السكت،

(١) النشر (١/ ٥١)، وقد أوضح ذلك المعنى أيضًا في منجد المقرئين (٢٠٨: ٢١٢).
(٢) الانتصار للقرآن (٦١).

والمد، وتغيير الهمز في الوقف، والإمالة، والإدغام لم ينفرد حمزةُ بشيء منه حتى يُلحَّنَ فيه دون غيره.

فأما السكت فقد رُوي عن ابن عامر من رواية ابن ذكوان عنه، وروي عن عاصم من رواية حفص عنه، وخلف من رواية إدريس عنه.

وأما المد فإنه يمده بمقدار ست حركات، وهو ما يقرأ به نافع من رواية ورش من طريق الأزرق، بل إن الأزرق يزيد عن حمزة بمد البدل الذي يصل إلى حد الإشباع، وكذلك مد اللين الذي يصل إلى حد الإشباع أيضًا، والقراءة بذلك سائغة شائعة مشهورة، وقراءة نافع من أوثق القراءات، ومع ذلك لم نجد من ذَكَر كراهيةَ ذلك عنه، مع زيادتها الواضحة في المدِّ عن حمزة رحمه الله، وقرأ بإشباع المد المتصل والمنفصل كذلك ابنُ عامر من رواية ابن ذكوان من طريق الأخفش[(١)]، بل قد رُوِيَ عن جميع القراء العشرة من رواياتهم العشرين في المد المتصل من بعض طرقهم. قال ابن الجزري في الطيبة:

.... أو اشْبِعْ مَا اتَّصَلْ لِلْكُلِّ عَنْ بَعْضٍ ....

وأيضًا فإنَّ هذا المقدار من المد مُجمَع عليه في المدِّ اللازم[(٢)] لجميع القراء من جميع الروايات، فليس بدعًا أتى به حمزة رحمه الله، وكذلك في المد العارض للسكون فإنه يمد بمقدار ست حركات في أحد وجوهه لجميع القراء.

وأما تغيير الهمز عند الوقف فقد وافقه ابن عامر من رواية هشام عنه في الهمز المتطرف في أحد وجهيه.

وقال ابن الجزري رحمه الله: «... والقصد أن تخفيف الهمز ليس بمنكر ولا غريب،

---

(١) ينظر النشر (١/ ٢٦٦)، إتحاف فضلاء البشر (٥٤).

(٢) المدُّ اللازم أن يقع بعد حرف المد ساكنٌ سكونًا لازمًا للزوم سببه – وهو السكون – في الحالَين وصلًا ووقفًا، أو لالتزام القراء إشباع مدِّه على الأصحِّ المشهور، ويسمى بالمد الثابت أيضًا للسببين المذكورين، ويحمل ألقابًا أخرى بحسب نوعه وما بعده، مثل: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ﴿صٓ﴾. التجريد لمعجم مصطلحات التجويد – مصطلح رقم (٢٨١)

فما أحد من القراء إلا وقد ورد عنه تخفيف الهمز إما عمومًا وإما خصوصًا كما قدمنا ذكره في الأبواب المتقدمة».

وقال: «وقد وافق حمزةَ على تسهيل الهمز في الوقف حمرانُ بن أعين، وطلحة بن مصرف، وجعفر بن محمد الصادق، وسليمان بن مهران الأعمش في أحد وجهيه، وسلام بن سليمان الطويل البصري، وغيرُهم، وعلى تسهيل المتطرف منه هشام بن عمار في أحد وجهيه، وأبو سليمان عن قالون في المنصوب المنون»[(١)].

وأما الإمالة فإنَّ أكثر ما يميله حمزة يُميله الكسائي وخلف، ويُقلِّلُه نافع من طريق الأزرق عن ورش عنه، والتقليلُ إمالةٌ صُغرَى، بل أمال بعضُ القراء ما لم يُمِله حمزة، وأيضًا فإنه ما مِن قارئ من القرَّاء العشرة إلا رُويَت عنه الإمالةُ قَلَّت أو كثرت عدا ابن كثير وأبي جعفر.

وأما الإدغام فإنه ليس في قراءته حرفٌ مدغَم إلا وهو مُتابَعٌ عليه، قلَّ أو كثر، وحسبك في باب الإدغام بالإمام أبي عمرو بن العلاء البصري وكذلك الإمام يعقوب، فقد رَوَيَا من الإدغام ما هو أكثر بكثير من إدغامات حمزة.

على أن أصل الإدغام موجود لجميع القراء وبكَثْرة، كإدغامات النون الساكنة والتنوين وغيرهما.

يقول الدكتور عبده الراجحي: «القراءة بالإدغام كانت مشهورة وفاشية بين القراء حتى لا نكاد نجد واحدًا إلا وقد شارك فيه ولو بقدر قليل. ومعنى ذلك أن الإدغام لم يكن يقل شيوعًا في اللغة العربية عن الإظهار إن لم يزد عليه، حتى إن أبا عمرو بن العلاء يقول: «الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره»»[(٢)].

وأما ما انفرد به من القراءة بتشديد الطاء في قوله تعالى: ﴿اسْطَّاعوا﴾ [الكهف: ٩٧] على أن أصله «استطاعوا»، وأدغمت التاءُ في الطاء، مع الجمع بين سكون السين والطاء

---

(١) النشر (١/ ٣٤٠).

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٣١).

المشددة، فإن لذلك الإدغام نظائر كثيرة قرأ بها غيرُ حمزة بالجمع بين الساكنين كذلك، فقد قرأ أبو جعفر قولَه تعالى: ﴿فَنِعْمَّا﴾ [البقرة: ٢٧١] بإسكان العين مع تشديد الميم، وكذلك قالون وأبو عمرو وشعبةُ بخُلف عنهم، ونظائر ذلك لأبي عمرو ويعقوب كثيرة كإدغامهما الراء في الراء من قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَّمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] مع سكون الهاء، بخُلف عنهما، وغيره.

وأما ما ورد من كراهية القراءة بقراءة الإمام حمزة لما ذكروه من أن فيها تكلفًا وتنطعًا -وهو ما ذكره ابنُ قدامة عن الإمام أحمد- : «لم يكره أحمد قراءة أحد من العشرة إلا قراءة حمزة والكسائي لما فيهما من الكسر [أي الإمالة] والإدغام والتكلف وزيادة المد»[1] فمحمول على أن ذلك التكلف هو مِن أداء مَن قرأ بقراءة حمزة، وليس في قراءة حمزة ذاتها، إذ إن أجزاءَ قراءتِه فيها مُوافَقة لغيرها من القراءات.

ولذا قال شعيب بن حرب: كنتُ ألومُ من يقرأ بقراءة حمزة حتى دخلت فقرأت عليه، فلما رآه شعيب وسمع قراءته رضيها وقبلها، وكان يقول بعد ذلك لأصحاب الحديث: تسألوني عن الحديث ولا تسألوني عن الدر؟ فقيل له: وما الدر؟ فقال: قراءة حمزة[2].

وقال الإمام ابن الجزري: «وأما ما ذكر عن عبد الله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة فإن ذلك محمولٌ على قراءة مَن سمِعَا منه ناقلًا عن حمزة، وما آفةُ الأخبار إلا رواتها»[3].

وقال السخاوي: «وأمَّا أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- فقد قال سويد: مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل رحمه الله فقال: ما حاجتكما؟ قلنا: نحن نقرأ قراءةَ حمزة، وبلغنا أنك تكرهُ قراءَته، فقال أحمد رحمه الله: حمزةُ قد كان من العلم بموضع،

---

(١) المغني (٢/ ١٦٥).
(٢) جمال القراء (٢/ ٤٧٣).
(٣) غاية النهاية (١/ ٢٣٧).

ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم. فدعونا له وخرجنا وخرج معنا الفضلُ بن زياد، فقال لنا: إني لا أُصلِّي به، وأقرأ قراءةَ حمزة، فما نهاني عن شيء منها قط»[١].

قال ابن مفلح: «وعن أحمد ما يدل على أنه رجع عن الكراهة»[٢].

قال الشيخ عبد الله العبيد: «هذا ظاهر، فكأنَّ الإمام رضي الله عنه لما تبين له أن هذا الذي عابَه من جهة بعض الرُّواة عنه لا من القراءة نفسها»[٣].

وقال السخاوي: «وقد عاب قومٌ قراءةَ حمزة رحمه الله، وإنما كان يأخذ المبتدئين بالتأني والترتيل، وينهاهم مع ذلك عن تجاوز الحدِّ»[٤].

وقال ياقوت الحموي: «وأما ما ذُكر عن أحمد بن حنبل وأبي بكر بن عياش ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن إدريس وحماد بن زيد من كراهتهم لقراءة حمزة لما فيها من المد المفرط والسكت واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو ذلك من التكلف فإن حمزة أيضًا كان يكره ذلك، وينهى عنه، وروي أنه كان يقول لمن يفرط في المد والهمز: لا تفعل، أما علمت أن ما فوق البياض فهو بَرَص، وما فوق الجعودة فهو قَطَط، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءة.

وبعد، فقد انعقد الإجماع على تلقي قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلَّم فيها»[٥].

وجاء في «طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى: محمد بن الهيثم المقرئ: حدث عن إمامنا بأشياء، منها: قال: سألت أحمد: ما تكره من قراءة حمزة؟ قال: الكسر والإدغام، فقلت له: حدثنا خلف بن تميم قال: كنت أقرأ على حمزة، فمرَّ به سفيانُ الثوري فجلس إليه، وسأله عن مسألة. فقال له: يا أبا عمارة، أما القرآن والفرائض فقد

(١) جمال القراء (٢/ ٤٧٣).
(٢) الفروع (٢/ ١٨٤).
(٣) قراءة حمزة ورد ما اعترض به عليها (٣٢).
(٤) جمال القراء (٢/ ٤٧١).
(٥) معجم الأدباء (٣/ ١٢٢٠).

سلمناهما لك. قال أحمد: **أنتم أهل القرآن، وأنتم أعلم به**»[١].

وقال ابن مجاهد: «حدثني علي [بن الحسن] قال: قال محمد بن الهيثم: واحتجَّ مَن عاب قراءةَ حمزة بعبد الله بن إدريس أنه طعن فيها، وإنما كان سببُ هذا أنَّ رجلًا ممن قرأ على سُلَيم[٢] حضر مجلسَ ابن إدريس عبد الله فقرأ، فسمع ابنُ إدريس ألفاظًا فيها إفراطٌ في المد والهمز وغير ذلك من التكلف المكروه، فكره ذلك ابنُ إدريس، وطعن فيه. قال محمد: وهذا الطريقُ عندنا مكروه مذموم، وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه، وكذلك مَن أتقن القراءة من أصحابنا»[٣].

وقال الإمام أبو الكرم الشهرزوري: «قراءة حمزة نقل وأداء عن السلف ورواية، لأنه ما قرأ حرفًا إلا بأثر، وقد روى قومٌ عن حمزة فأتوا بها لا تجوز به القراءة من المد المفرط، والزعقات الهائلة، والأصوات العظيمة الهائلة، ولم نقرأ نحن بذلك على شيوخنا، بل قرأنا عن حمزة بالمد الذي مقداره ثلاث ألفات، هذا المد التام عنه. أخبرنا أبو محمد الصريفيني الخطيب إذنًا حدثنا أبو حفص الكتاني، حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال: كان حمزة بن حبيب بعيدًا مما حكوه، ينهى عن الإفراط، ويأمر بالتوسط، ولقد أخبرنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال: قرأ أخ لي أكبر مني على حمزة فجعل يمد، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمتَ أن ما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة.

واعلم أن الذين رووا عن حمزة المد المفرط، والزعقات الهائلة، والأصوات العظيمة قد أنكر عليهم مَن كان في زمانهم من الفقهاء وأصحاب الحديث، وهم الأئمة المرضيون، حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «إني لأكره القراءة بها»، يعني ما أورده هؤلاء عن حمزة، وحمزةُ مُنزَّه عما قالوه ونحلوه إليه مما لا يجوز على نحو ما رواه

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٣٢٥).
(٢) هو ابن عيسى الحنفي صاحبُ حمزة.
(٣) السبعة (٧٧).

سيد هذه الطائفة، وهو الإمام أبو بكر بن مجاهد رضي الله عنه»(١).

وقال السخاوي: «وأما قراءةُ حمزة -رضي الله عنه- فهي نقلٌ عن أئمته، ولم يقرأ حرفًا إلا بأثر.

ونسب قوم إليه قراءةً لا تجوز من مدٍّ مفرط، وهيئة شنيعة في إخراج الهمز».

ثم ذكر السخاوي بسنده شيئًا مما ذُكِرَ في كلام الشهرزوري السابق، ثم قال: «والذي نسبه هؤلاء (أي: المتكلِّفين) لحمزة هو الذي أنكره الأئمة، وقال أحمد رحمه الله: لا تجوز الصلاةُ به، **وحمزةُ منه بريء، وما كان يرى ذلك، بل كان ينهى عنه.**

قال عبيد الله بن موسى: قال لي حمزة: إني أكره ما تجيئون به - يعني من التشديد، وقال له رجل: يا أبا عمارة، رأيت رجلًا من أصحابك في الزياتين هَمَزَ حتى انقطع زره، فقال: لم آمر بهذا كله»(٢).

وأما ما ورد عن بعض النحاة من تضعيف بعضٍ ما قرأه حمزةُ من كلمات فرشية فقد ذكرت شيئًا من الرد عليه في هذا الكتاب كلٌّ في موضعه.

وأكثر موضع تعرض للنقد والتضعيف والرد في قراءة حمزة هو قراءته بجر كلمة «الأرحام» من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقد ذكرت ردًّا مُطوَّلًا فيه شيء من التفصيل في موضعه من سورة النساء.

وقد تصدَّى العلماء من القراء والمفسرين ومن النحاة أنفسهم لهذا الطعن من بعض النحاة في بعض ما روي من الحروف في القراءات المتواترة عمومًا، في قراءة حمزة وغيرها(٣).

---

(١) عزاه إليه الشيخ عبد الله العبيد في كتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرم الشهرزوري، رسالة دكتوراه للشيخ إبراهيم بن سعيد الدوسري (٤/ ١٤٩٥)، وينظر أيضًا جمال القراء (٢/ ٥٢٧).

(٢) جمال القراء (٢/ ٥٢٦، ٥٢٧).

(٣) بل إنهم يعملون أيضًا على توجيه ما شذَّ من القراءات، فقد أفرد أبو الفتح عثمان بنُ جني مثلًا كتابَ «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها»، في جزءين كبيرين.

قال إمام النحاة -رحمه الله-: «... **إلا أن القراءة لا تُخالَفُ؛ لأنَّ القراءةَ السُّنة**»[(١)].

وقال ابن الحاجب في مخالفة النحويين القراءَ في مسألة من مسائل الإدغام: «والأولى الرد على النحويين ...، وليس قولهم بحجة إلا عند الإجماع، ومن القراء جماعة من النحويين، فلا يكون إجماعُ النحويين حجةً مع مخالفة القراء لهم، ثم ولو قُدِّر أن القراء ليس فيهم نحويٌّ فإنهم ناقلون لهذه اللغة، وهم مشاركون النحويين في نقل اللغة، فلا يكون إجماعُ النحويين حجةً دونهم، وإذا ثبت ذلك كان المصيرُ إلى قول القُرَّاء أولى؛ لأنهم ناقلوها عمَّن ثبت عصمته عن الغلط في مثله، ولأن القراءةَ ثبتت تواترًا، وما نقله النحويون آحاد، ثُم ولو سلم أنه ليس بمتواتر فالقراء أعدل وأكثر، فكان الرجوع إليهم أولى»[(٢)].

وقال مصطفى لطفي المنفلوطي: «وليست مسألةُ الإعراب واللحن مسألةً عقليةً يكون للبحث فيها مجالٌ، وإنما الإعراب ما نطق به العَرَبُ، واللحن ما لم ينطقوا به، فلو أنهم اصطلحوا على نَصْب الفاعل ورفع المفعول مثلًا لكان رفعُ الأول ونصبُ الثاني لحنًا، ولكن جهلة المبشِّرين لم يُدركوا شيئًا من هذه المسلَّمات، واستدلوا على وجود اللحن في القرآن بقواعد النحو التي ما دوَّنها مُدَوِّنوها إلا بعدَ أن نظروا في كلام العرب وتتبعوا تراكيبَه وأساليبَه، وأكبرُ ما اعتمدوا عليه في ذلك هو القرآنُ المجيدُ، **فالقرآنُ حُجةٌ على النحاة، وليست النحاةُ حجةً على القرآن، فإذا وُجِدَ في بعض تراكيب القرآن أو غيرِه من الكلام العربي ما يُخالِفُ قواعدَ النحاة حكمنا بأنهم مُقَصِّرون في التتَبُّع والاستقراء، على أنهم ما قصَّروا في شيء من ذلك، وما تركوا كثيرًا ولا قليلًا ولا نادرًا ولا شاذًّا إلا دوَّنوه في كتبهم، فلا القرآن بملحون، ولا النحاةُ مقصِّرون**[(٣)]»[(٤)].

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ١٤٨).

(٢) الإيضاح في شرح المفصل (٢/ ٤٩٥).

(٣) كان -رحمه الله- يتكلم عن المبشرين الجاهلين الذين يطعنون في القرآن الكريم، ويدَّعون أن فيه لحنًا، وهذا الكلام لا يُوجَّه هكذا إلى النحاة رحمهم الله، ولكن غياب بعض الأساليب في اللغة عن بعضهم حملهم على ألا يقبلوا بعض ما ثبت من القراءات، فالتقصير واقع من بعضهم -واللغةُ لا يُدَّعى أن نحويًّا أحاط بها- إلا أن دافعَهم إلى ذلك صيانةُ القرآن الكريم وردُّ الشاذِّ عنه، فلا يعاملون معاملة المغرضين من المبشرين والمستشرقين.

(٤) النظرات (١/ ٢٧٢، ٢٧٣)، تحت عنوان الإسلام والمسيحية.

وقال الزركشي بعد ذكره تضعيفَ بعضهم شيئًا في قراءتَي حمزة وأبي عمرو: «وهذا تحامُل، **وقد انعقد الإجماعُ على صحة قراءة هؤلاء الأئمة، وأنها سُنة متبعة، ولا مجال للاجتهاد فيها**، ولهذا قال سيبويه في كتابه في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]: «وبنو تميم يرفعونه إلا من درى كيف هي في المصحف». وإنما كان كذلك لأن القراءة سُنَّة مَروية عن النبي ﷺ، ولا تكون القراءةُ بغير ما روي عنه»[(١)].

وقال الذهبي: «ومنهم مَن يقول: كان حمزةُ -رحمه الله- قليلَ المعرفة بالعربية، فجاء في حروفه أماكن يحتاج إلى الاعتذار عنها، **وهذا مردود عند الجمهور، وحمزة فلا يُشَكُّ في ورعه ودينه، ولا في حفظه لكتاب الله واعتنائه به**»[(٢)].

وقال أبو حيان -وهو عالم بالقراءات والتفسير والنحو- ردًّا على من ضعَّف قراءة حمزة في قراءته ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١] بالجر: «ما ذهب إليه أهلُ البصرة من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجارِّ، ومن اعتلالهم لذلك غيرُ صحيح، بل الصحيحُ مذهبُ الكوفيين في ذلك، ومن ادَّعَى اللحنَ فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب، وقد ورد من ذلك في أشعار العرب كثير، يخرج عن أن يجعلَ ذلك ضرورةً ... ولسْنا مُتعَبَّدين بقول نُحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حُكمٍ ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حُكمٍ ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، وإنما يعرفُ ذلك مَن له استبحارٌ في عِلم العربية، لا أصحاب الكنانيس المشتغلون بضروب مِن العلوم الآخِذون عن الصحف دون الشيوخ»[(٣)].

وقال الإمام ابن الجزري: «وأنَّى يسعهم إنكار قراءةٍ تواترت أو استفاضت عن رسول الله ﷺ إلا نُويس لا اعتبارَ بهم، ليس لهم معرفة لهم بالقراءات ولا بالآثار، جمدوا على ما علموا من القياسات، وظنوا أنهم أحاطوا بجميع لغات العرب أفصحِها وفصيحِها، حتى لو قيل لأحدهم شيءٌ في القرآن على غير النحو الذي أنزله الله يوافق

(١) البرهان في علوم القرآن (٢٢٥)، وكلام سيبويه في الكتاب (١/ ٥٩).
(٢) معرفة القراء الكبار (١/ ٢٦٠).
(٣) البحر المحيط (٣/ ٥٠٠).

قياسًا ظاهرًا عنده لم يقرأ بذلك أحدٌ لقطع له بالصحة!!، كما أنه لو سُئل عن قراءة متواترة لا يعرف لها قياسًا لأنكرها، ولقطع بشذوذها!!، حتى إن بعضَهم قطع في قوله عز وجل: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١] بأن الإدغام الذي أجمع عليه الصحابةُ – رضوان الله عليهم– والمسلمون لحن، وأنه لا يجوز عند العرب؛ لأن الفعل الذي هو «تأمَنُ» مرفوع، فلا وجه لسكونه حتى أدغم في النون التي تليه.

فانظر يا أخي إلى قلة حياء هؤلاء من الله تعالى!!، يجعلون ما عرفوه من القياس أصلًا، والقرآنَ العظيمَ فرعًا، حاشا العلماء المقتدى بهم من أئمة اللغة والإعراب من ذلك، بل يجيئون إلى كل حرف مما تقدم ونحوه يُبالِغون في توجيهه، والإنكارِ على مَن أنكره، حتى إن إمام اللغة والنحو أبا عبد الله بن مالك – رحمه الله – قال في منظومته الكافية الشافية في الفَصْل بين المضافين:

وَعُمْـــدَتِي قِـــرَاءَة ابـــنِ عَامِـــرِ فَكَـمْ لَهَـا مِـنْ عَاضـدٍ ونَـاصِرِ

ولولا خوف الطول، وخروجِ الكتاب عن مقصوده لأوردت ما زعم أن أهل اللغة أنكروه، وذكرت أقوالهم فيها، ولكن إن مدَّ الله في الأجل لأضعن كتابًا مستقلًّا في ذلك، يشفي القلبَ، ويشرحُ الصدرَ، أذكرُ فيه جميعَ ما أنكره مَن لا معرفةَ له بقراءة السبعة والعشرة.

ولله در الإمام أبي نصر القشيري حيث حكى في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء: ١] كلامَ الزجاج في تضعيف قراءة الخفض، ثم قال: «ومثلُ هذا الكلام مردودٌ عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمةُ القراء ثبتت عن النبي ﷺ، فمن ردَّ ذلك فقد ردَّ على النبي ﷺ، واستقبَحَ ما قرأ به، وهذا مقام محذور، ولا يُقَلَّدُ فيه أئمةُ اللغة والنحو»[(١)].

وقال الإمام الحافظ أبو عمرو الداني: «وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (٢٠٠: ٢٠٢).

القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيسِ في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والروايةُ إذا ثبتت لا يَرُدها قياسُ عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سُنَّ مُتبَعة، يلزمُ قبولها والمصير إليها»[(١)].

ثم رد ابنُ الجزري -رحمه الله- على مَن ادَّعى أن الخطأ في القراءة -على زعمه- محمول على قلة ضبط الرواة فقال: «لا والله، بل كله محمول على كثرة جهل مَن لا يعرفُ لها أوجهًا وشواهدَ فصيحة تُخَرَّج عليها، كما نبينه -إن شاء الله تعالى- في الكتاب الذي وعدنا به آنفًا – إذ هي ثابتة مستفاضة، ورواتها أئمة ثقات، وإذا كان ذلك محمولًا على قلة ضبطهم فليت شعري أكان الدينُ قد هَانَ على أهله حتى يجيءَ شخصٌ في ذلك الصدر يُدخِلُ في القراءة بقلة ضبطه ما ليس منه، فيُسمَع منه، ويؤخَذ عنه، ويُقرأ به في الصلوات وغيرها، ويذكره الأئمةُ في كتبهم، ويقرءون به، ويستفاض، ولم تَزَل كذلك إلى زماننا هذا، لا يمنع أحدٌ من أئمة الدين القراءةَ به، مع أن الإجماعَ مُنعقد على أن من زاد حركةً أو حرفًا في القرآن، أو نقص من تلقاء نفسه مُصِرًّا على ذلك يكفر، والله جل وعلا تولى حفظَه ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾».ا.هـ

ثم نقل عن أبي شامة: «ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأتِ في كلامهم مثلُه، لأنه نافٍ، ومَن أسندَ هذه القراءةَ مُثبِت، والإثباتُ مُرجَّح على النفي بالإجماع. قال: ولو نُقِلَ إلى هذا الزَّاعِم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر لرجع عن قوله، فما بالُه لا يكتفي بناقلي القراءة من التابعين عن الصحابة رضي الله عنهم»[(٢)].

وقال عبد الوهاب المزي: «فيا عجبًا من مُلحِّن حمزة كيف يتجرَّأ على ردِّ حرفٍ منقول عن الأئمة الثقات إلى رسول الله ﷺ، مع أنه يحتج في العربية بقول بعضِ صبيان العرب في الجاهلية، يقول قائلُهم: سمعت بعضَ الأعراب يقول كذا وكذا، فلا يردُّونه، ويردُّون حرفًا منقولًا متواترًا عن هؤلاء الأئمة، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات

(١) جامع البيان (٣٩٦).
(٢) منجد المقرئين (٢٠٣: ٢٠٥).

أعمالنا»[(١)].

وأخيرًا أقول: هكذا تبقى قراءةُ الإمام حمزة رحمه الله، لها جمالُها، وجذبُها للقلوب والأسماع، يأخذُها جيلٌ بعدَ جيل. وحيثما حَلَلْتَ في أيِّ قُطرٍ من العالم كُلِّه، شرقِه وغربِه، وشمالِه وجنوبِه، فستجدُ قراءةَ حمزةَ -رحمه الله- تُدرس في معاهد المسلمين ومساجدهم مع غيرها من القراءات، ويُجيز بها الأئمة بأسانيدهم المتصلة إلى الإمام حمزةَ، وهو بسندِه إلى رسول الله ﷺ، وتجد من الأئمة من يُصلون بها في المحاريبِ، فرحِمَ الله الإمامَ حمزة رحمةً واسعة، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء.



(١) أحاسن الأخبار (٣٣٤).



أولا: الأصول

باب الاستعاذة

قرأ حمزةُ بالجهر بالاستعاذة كجميع القرَّاء، وروي عنه إخفاءُ التعوذ، وذكر ابنُ الجزري في النشر أنه ورد عن حمزة روايتان في إخفاء التعوذ:

(إحداهما) الإخفاء مطلقًا، أي حيثُ قرأ سواء كان أول سورةٍ أو أثناءَها.

(والثانية) الإخفاء إلا في فاتحة الكتاب فبالجهر، والمراد بالإخفاء الإسرَارُ.

قال ابنُ الجزري: والأصحُّ عنه الجَهر.

جاء في شرح الطيبة: «وجه الإخفاء ليفرق بين القرآن وغيره، ووجه تخصيص الفاتحة بالجهر الفرق بين ابتداء القرآن وغيره، وذلك أن القرآن عنده كالسورة الواحدة، ولهذا آثَرَ وصل السورة بالسورة من غير فصل بين السورتين بالبسملة ولا غيرها، ولأنَّ أبا هريرة -رضى الله عنه- جَهَر بها في أول الفاتحة»[(١)]. ا.هـ

ووجه الجهر بالاستعاذة أن به إظهارًا لشعار القراءة كالجهر بالتَّلْبِية وتكبيرات العيد، ومن فوائده أن السامع له ينصت للقراءة من أولها لا يفوته منها شيء، وإذا أخفى التعوذ لم يعلم السامع بالقراءة إلا بعد أن فاته من المقروء شيءٌ، وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة خارج الصلاة وفي الصلاة، فإن المختار في الصلاة الإخفاء؛ لأن المأموم منصت من أول الإحرام بالصلاة[(٢)].

باب البسملة وما جاء بين السورتين

قرأ حَمزة بالوصل بين السورتين بدون بسملة، وكأن القرآن عنده سورة واحدة، فإذا أراد القارئ أن يقرأ آخر سورة الفاتحة وأول سورة البقرة مثلًا فيقرأ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ الٓمٓ﴾ [الفاتحة: ٧، البقرة: ١] مُتصلة.

ذكر الإمام أبو شامة عن أبي علي الأهوازي أنه نقل عن حمزة أنه قال: إنما فعلت

(١) شرح الطيبة المنسوب لابن ناظمها (٥١) بتصرف يسير.
(٢) إبراز المعاني لأبي شامة (٦٤).

ذلك -يعني وصل آخر السورة بأول السورة بعدها- ليعرف القارئ كيف إعراب أواخر السور[(١)].

وقال مكي بن أبي طالب: «لما كانت «بسم الله الرحمن الرحيم» ليست بآية من كل سورة عنده [يعني حمزة] وعند جماعة الفقهاء أسقطها في وصله السورةَ بالسورة، لئلا يظنَّ ظانٌّ أنها آيةٌ من أول كل سورة، فالقرآن عنده كله كالسورة الواحدة، فكما لا يفصل بين بعض سورة وبعض بالتسمية كذلك لا يفصل بين سورة وسورة بالتسمية. فأمَّا ثباتُها في المصحف فإنما ذلك ليُعلَم فراغُ سورةٍ وابتداءُ أخرى»[(٢)].

واختار بعضُ أهل الأداء عن حمزة السكتَ[(٣)] عند السور الأربع الزُّهْر[(٤)]، أي بين آخرِ المُدثر وأولِ القيامة، وآخر الانفطار وأول المُطففين، وآخر الفجر وأول البلد، وآخر العَصر وأول الهُمَزة.

وذلك للقبح في اللفظ عند الوصل، فكره ذلك إجلالًا للقرآن وتعظيمًا له، وذلك إذا قال: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] ثم يصلها بـ ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١]، فيقع لفظ النفي عقيب لفظ المغفرة، وذلك في السمع قبيح، وإذا قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] ثم يصلها بـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] فيقع لفظ الويل عقيب اللفظ باسم الله جل ذكره، وذلك قبيح، وكذلك السور الأخر.

قال مكي: «روى مالك أن النبي عليه السلام سُئِل عن العقيقة فقال: «لا أحب العقوقَ». قال مالك: فكأنه كره الاسمَ، يريد مالك أن فعل العقيقة جائز لم يكره النبيُّ

(١) إبراز المعاني (٦٦).
(٢) الكشف (٢٥، ٢٦).
(٣) السكت في الاصطلاح هو قطع الصوت زمنًا ما، دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس.
(٤) وتسمى سور القيامة والمطففين والبلد والهُمَزة بالأربع الزهر أو الغُر. «والزُّهرُ في اللغة جمع زهراء، وهو ما يدُل على إضاءة وإنارة، وفي الاصطلاح : هي السور الأربع المعلومة عند أهل القراءات، وهي القيامة والتطفيف والبلد والهمَزة، سُميت بذلك لشهرتها ووضوحها بين أهل القرآن». معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية (٦٣)

فعلَها، وإنما كره لفظ اسمِها، فانظر كيف كره النبيُّ عليه السلام قبحَ اللفظ»[(١)].

ووجه الوصل كباقي السور أن ذلك المعنى القبيحَ غيرُ وارد، كما أن له نظائرَ في القرآن الكريم بين الآيات ولم يقل أحدٌ بالسكت عند وصلها، والله تعالى أعلم.

باب الإدغام الكبير

الإدغام لغة: إدخال الشيء في الشيء، واصطلاحًا: النطق بالحرفين كالثاني مشددًا، وفائدته: تخفيف النطق.

وينقسم الإدغام إلي قسمين: كبيرٍ وصغير، فإن كان الحرفُ المدغَم متحركًا سُمِّي كبيرًا، وإن كان ساكنًا سُمِّي صغيرًا.

الإدغام والإظهار لغتان للعرب، فالقبائل التي تذهب إلى الإدغام هي: تميم وأسد وغنى وعبد القيس وبكر بن وائل وكعب ونمير وطيء وتغلب، والقبائل التي آثرت الإظهار: قريش وثقيف وكنانة والأنصار وهذيل، فالحجاز تميل إلى الإظهار إلا في بعضٍ[(٢)].

وقال ابن الجزري: «قال أبو عمرو بن العلاء: الإدغامُ كلامُ العرب الذي يجري على ألسنتها، ولا يحسنون غيرَه»[(٣)].

قرأ حمزةُ بإدغام التاء في الطاء من قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ [النساء: ٨١].

تخفيفًا للتجانس في المخرج.

وقرأ قولَه تعالى ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ [النمل: ٣٦] بإدغام النون في النون مع مد الواو.

بقصد التخفيف لاجتماع المثلين، وهو فعل مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه

(١) ينظر الكشف (٢٦).
(٢) ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٣١: ١٣٣)، في اللهجات العربية (٦٤).
(٣) النشر (١/ ٢٢٠).

من الأمثلة الخمسة، ودخلت عليه نونُ الوقاية، والعرب تجيز في مثله ثلاثة أوجه: إدغام النونين (تُمدُّونِّي)، وإظهارهما (تُمِدُّونَنِي)، وحذف إحداهما (تُمدُّونِي).

وقرأ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ [الصافات: ١ - ٣]، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات: ١] بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال مع مد الألف قبلها.

وقرأ خلاد بالإدغام والإظهار في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ [المرسلات: ٥]، ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ [العاديات: ٣].

لقرب التاء من الصاد والزاي والذال في المخرج.

باب الإظهار والإدغام

الإظهارُ أصل، والإدغامُ فرعٌ عليه، والمراد بالإدغام في هذا الباب الإدغام الصغير، وقد تقدم بيانُه عند الكلام عن الإدغام الكبير.

- **ذال « إذ »:**

قرأ حمزةُ بإدغام ذال «إِذ» في الدال والتاء من روايتيه نحو: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ﴾، ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ﴾.

وقرأ من رواية خلاد بإدغامها في حروف الصفير (الزاي والسين والصاد) نحو: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ﴾، ﴿إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾، ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ﴾.

- **دَال « قَد »:**

وقرأ حمزةُ بإدغام دال «قد» في حروف ثمانية وهي: حروف الصفير الثلاثة، والجيم، والذال، والشين، والضاد، والظاء نحو: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا﴾، ﴿قَدۡ سَمِعَ﴾، ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾، ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾، ﴿قَدۡ شَغَفَهَا﴾، ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا﴾، ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ﴾.

- **تاءُ التأنيث:**

وقرأ بإدغام تاء التأنيث الساكنة في ستة أحرف: الثاء، والجيم، والظاء، وحروف

الصفير نحو : ﴿ بِمَا رَحُبَت ثُّمَّ ﴾، ﴿ وَجَبَت جُّنُوبُهَا ﴾، ﴿ كَانَت ظَّالِمَةً ﴾، ﴿مَضَت سُّنَّتُ ﴾، ﴿خَبَت زِّدْنَٰهُمْ ﴾، ﴿ لَّهُدِّمَت صَّوَٰمِعُ ﴾.

● **لام « هَل » و« بَل »** :

وقرأ بإدغام لام «هَل» و «بَل» في التاء نحو : ﴿هَل تَّعْلَمُ ﴾، ﴿ بَل تَّأْتِيهِم ﴾.

وأدغم لامَ «هَل» في الثاء، ولم تقع إلا في ﴿هَل ثُّوِّبَ ﴾ [المطففين: ٣٦].

وأدغم لامَ «بَل» في السين، ولم تقع إلا في ﴿بَل سَّوَّلَتْ ﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣].

فـ«هل» و «بل» تشتركان في التاء، وتنفرد «هل» بالثاء، و«بل» بالسين.

واختُلِفَ عن خلاد في إدغام لام «بل» في الطاء، ولم تقع إلا في ﴿ بَل طَّبَعَ ﴾ [النساء: ١٥٥]، فله الإظهار والإدغام، وأما خَلف فقرأ بالإظهار كحفص.

علة كل ما تقدم من الإدغام التقارب في المخرج، فأدغم تخفيفًا.

● **الباء الساكنة** للجزم أو البناء:

قرأ حمزةُ بإظهار الباء عند الميم من ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ [هود: ٤٢]، إلا أنه ورد فيه الخلافُ لخلاد فله الإظهار والإدغام.

وأدغم حمزة الباءَ الساكنة عند الميم من قوله تعالى : ﴿وَيُعَذِّب مَّن﴾ من سورة البقرة: ٢٨٤ -وهو الموضع الأول في القرآن الكريم-.

وأدغم خَلاد وحده الباءَ الساكنة عند الفاء، وقد وردت في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَغْلِب فَسَوْفَ ﴾ [النساء: ٧٤]، ﴿ وَإِن تَعْجَب فَعَجَبٌ ﴾ [الرعد: ٥]، ﴿ قَالَ ٱذْهَب فَمَن ﴾ [الإسراء: ٦٣]، ﴿فَٱذْهَب فَإِنَّ لَكَ ﴾ [طه: ٩٧].

واختُلِف عنه في موضع الحجرات ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُب فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [الحجرات: ١١] فله فيها الإظهار والإدغام.

وذلك لاشتراك الباء مع الفاء في المخرج.

● **حروف أخرى قرُبت مخارجُها :**

وأدغم حمزةُ الثاءَ في التاء من ﴿ أُورِثْتُمُوهَا ﴾ [الأعراف: ٤٣ ، الزخرف: ٧٢]، ﴿لَبِثْتَ﴾ كيف وقع، ﴿ لَبِثْتُمْ ﴾.

وأدغم الذالَ في التاء من ﴿عُذْتُ﴾ [غافر: ٢٧، الدخان: ٢٠]، ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ [طه: ٩٦]، و﴿ أَخَذْتُ ﴾ كيف وقع ﴿ أَخَذْتُ ﴾، ﴿أَخَذْتُهَا﴾، ﴿ أَخَذْتُمْ ﴾، ﴿ أَخَذْتُهُمْ ﴾، و﴿ ٱتَّخَذْتُ﴾ كيف وقع ﴿ ٱتَّخَذْتَ ﴾، ﴿ ٱتَّخَذْتُمْ ﴾، ﴿ لَتَّخَذْتَ ﴾.

لقرب الثاء والذال من التاء في المخرج.

وأدغم دالَ « صَاد » في ذال « ذِكرِ » من ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ﴾ [مريم: ١-٢] حالَ الوصل، وأدغم الدال في الثاء من ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] بالموضعين.

لقرب الذال والثاء من الدال في المخرج.

وقرأ حمزةُ بإظهارِ نونِ «سِين» من ﴿ طسٓمٓ ﴾ [الشعراء: ١، القصص: ١] فلا يدغمُها في الميم، وقد انفرَدَ به حمزة، إلا أنَّ أبَا جَعفَر يُظهِرُ النونَ ولكن مع السَّكت.

لأن حروفَ التهجي مبنية على الوَقف، فهي وإن وُصِلَت في نية الوقف، والسُّكونُ مقدَّر على كل حرف فصَار في حُكم الفاصل، والله تعالى أعلم.

باب هاء الكِناية

هاء الكناية هي هاء الضميرِ التي يُكنى بها عن المفرد الغائب، وتسمى هاءَ الغائب.

وقد قرأ حمزة بإسكان الهاء في ﴿ يُؤَدِّهِۦ ﴾ معًا [بآل عمران : ٧٥]، ﴿ نُؤْتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٤٥، الشورى:٢٠]، ﴿ نُوَلِّهِۦ ﴾ و ﴿ وَنُصْلِهِۦ ﴾ [النساء: ١١٥].

وجه الإسكان كما نقل الفراء أن مِن العرب مَن يُسكِّن هاء الضمير إذا تحرك ما قبلها فيقول: ضربْتُهْ ضربًا، حملًا على ميم الجمع مثل: «عليْكُمْ»، فكما أن الميم ساكنة وقبلها متحرك فكذلك الهاء.

وقال الفارسي: حُمِلَت على ياء الضمير مثل: «لي»، ونُسِبَت إلى بني عقيل وبني كلاب، وقيل: حملت على الوقف، وقيل: نَبَّـهَ على المحذوف، فكما أن المحذوف وهو ياء الصلة ساكن فكذلك سكن ما قبلها لينبه عليها[(١)].

قال أبو حيان: «وما ذهب إليه أبو إسحاق [الزجاج][(٢)] من أن الإسكان غلط ليس بشيء، إذ هي قراءة في السبعة، وهي متواترة، وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء، فإنه عربي فصيح، وسامع لغة، وإمام في النحو، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا.

وقد أجاز ذلك الفراء -وهو إمام في النحو واللغة- وحكى ذلك لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع.

وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب: أنهم يختلسون الحركة في الهاء إذا كانت بعد متحرك، وأنهم يسكنون أيضًا. قال الكسائي: سمعت أعراب عقيل وكلاب يقولون: «لربهْ لكنود» بالجزم، و«لربه لكنود» بغير تمام، وله مال ...

وأبو إسحاق الزجاج يقال عنه: إنه لم يكن إمامًا في اللغة، ولذلك أنكر على ثعلب في كتابه الفصيح مواضعَ زعم أن العرب لا تقولها، وردَّ الناسُ على أبي إسحاق في إنكاره، ونقلوها من لغة العرب. وممن ردَّ عليه أبو منصور الجواليقي، وكان ثعلب إمامًا في اللغة، وإمامًا في النحو على مذهب الكوفيين»[(٣)].

وأنشد يَعلَى بن الأحول:

فَظَلْـتُ لَدَى البَيْـتِ العَتِيـقِ أُخيلُهُـو وَمِطْـوَايَ مُشْتاقـانِ لَهْ أَرِقَـانِ

قال ابن جني: جمع بين اللغتين، يعني إثبات الواو في «أخيلهُو»، وإسكان الهاء في

(١) ينظر الفتوحات الإلهية (٧٣).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٣١، ٤٣٢).
(٣) البحر المحيط (٣/ ٢٢١، ٢٢٢).

«لهْ»، وليس إسكان الهاء في «له» عن حذف لَحِقَ الكلمةَ بالصنعة، وهذا في لغة أزد السَّراة كثير. ومثله ما روي عن قطرب من قول الآخر:

وَأَشْرَبُ المَـاءَ مـا بِي نَحْوَهُـو عَطَـشٌ إِلَّا لأنَّ عُيُونَـهْ سَيْـلُ وَادِيهَـا

فقال: «نَحْوَهُو عطش» بالواو، وقال: «عيونَهْ» بإسكان الواو[1].

وقرأ ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ [النور: ٥٢] بكسر القاف مع صلة كسرة الهاء بخُلف عن خلاد (وَيَتَّقِهِۦ فَأُولَئِكَ)، والوجهُ الثاني لخلاد بإسكان الهاء (وَيَتَّقِهْ فَأُولَئِكَ).

الأصل في هذه القاف أن تكون مكسورةً لتكون دالَّةً على الياء المحذوفَةِ للجَزْم إذ أصله «يتَّقِيه»، والأصلُ في هذه الهاء أيضًا أن تكونَ موصولَةً بياء؛ لأنَّ ما قبلَها مُتحَرِّكٌ بالكسر، فحُكمها أن تتصل بياء، كما تقول: مَرَرْتُ بِهِي، مع جوازِ التسكِين، وقيل: إسكانها حملًا على إجراءِ الوَصل مجرَى الوقف، وقيل: إسكانها لغة لبعض العرب[2].

وقرأ حمزة بضم الهاء في ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ [طه: ١٠، القصص: ٢٩].

على أنَّ الضمَّ هو الأصل في هاء الضمير، وهو لغة الحِجَاز، وإنما الكسر لأجل كسر ما قبلها، وقيل إن الضمَّ للإتباع، أي إتباعه ما بعده -وهو ضمة الكاف، ولم يعتد بالفاصل الساكن-.

وقرأ ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] بكسر الهاء بدون صلة.

على أصله في مثل نظائره من هاء الكناية بعد الساكن وقبل المتحرك.

وقرأ بكسر الهاء من ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وعليه ترقيق لامِ اسمِ الجلالة.

لمناسبة الياء الساكنة قبلها.

---

(١) لسان العرب - مادة (ها).

(٢) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٥٥٥)، الكشف (٥٨٩).

باب الهمزتين من كلمة(١)

قرأ حمزة بزيادة همزة للاستفهام –فقرأ بهمزتين– في :

﴿ ءَامَنتُم ﴾ [الأعراف: ١٢٣، طه: ٧١، الشعراء: ٤٩].

﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ [الأعراف: ١١٣].

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ [الأعراف: ٨١].

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [القلم: ١٤].

على أن الاستفهام إنكاري في جميع ما ذكر، إلا في (أئِن لنَا لأجرًا) فعلى حقيقته، والله تعالى أعلم، ويأتي مزيد من التوجيه في موضعه –إن شاء الله تعالى–.

وقرأ بتحقيق الهمزة الثانية من ﴿ ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤].

على أصله من تحقيق الهمزتين من كلمة.

باب الهمز المفرَد

قرأ حمزة قوله تعالى : ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] بحذف الهمزة وضم الهاء.

الحذف والإبدال لغتان فيها، ويأتي المزيد في موضعه –إن شاء الله تعالى–.

وقرأ بإبدال الهمزة ألفًا وصلًا ووقفًا في ﴿ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ [الكهف: ٩٤، الأنبياء: ٩٦].

يحتمل أن يكون الإبدال فيهما للتخفيف، ويحتمل أن يكون اشتقاقهما من (ي ج ج) و(م ج ج)، ويأتي ذكره في موضعه من سورة الكهف.

(١) والمراد: الهمزتان فيما هو كالكلمة، فالهمزتان في ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ مثلًا في كلمةٍ رسمًا فقط، أما التحقيقُ : فهمزةُ الاستفهام كلمةٌ، و« أَنذَرَ » كلمةٌ، وتاءُ الفاعل كلمةٌ، وضميرُ الجمع كلمة. ينظر الفتوحات الإلهية ٩٣.

باب السكت على الساكن قبل الهمز وغيره

السكت قطع الصوت زمنًا دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس، وحمزةُ أشد القراء عناية بالسكت على الساكن قبل الهمز.

وقد اختلف راويا حمزة في السكت فقرأ خَلَفٌ عن حمزة بالسكت على الساكن قبل الهمز في «ألْ» و «شَيْء» حيث وقعا نحو : ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾، ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ ﴾، ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾.

وله السكتُ وعدمُه على الساكن المفصول عن الهمز بأن يكون الساكنُ آخِرَ الكلمةِ والهمزُ أولَ الكلمةِ الثانية نحو: ﴿مَنْ ءَامَنَ ﴾، ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ ﴾، ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، ويشترط في الساكن المفصول عن الهمز أن لا يكون حرفَ مَد نحو : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ ﴾ فإنه لا سكت عليه من الشاطبية.

وأما خلاد فقد رُوِي عنه السكتُ وعدمُه في «أل» و«شَيء»، ولم يرد عنه سكت على الساكن المفصول من هذا الطريق.

السكتُ على الساكن قبل الهمز سكتٌ قليل لطيف للتمكن من النطق بالهمزة وتحقيقها، وذلك لبُعدِ مخرجها حيث تخرج من أقصى الحَلَق.

وقرأ حمزة بترك السكت وجهًا واحدًا في ﴿عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا ﴾ [الكهف : ١ – ٢] مع تنوين «عوجًا» حال الوصل، ﴿ مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا ﴾ [يس: ٥٢]، ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ [القيامة: ٢٧]، ﴿ بَلْۜ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤] مع إدغام نون «مَن» ولام «بَل» في الراء بعدهما.

تنوين «عوجًا» على الأصل؛ لأن الكلمة مُعرَبة مُنصرِفة، لا ألِف ولام فيها، وليست مضافة، فالأصل أن تكون مُنونةً حالَ الوصل، وترك السكت وصلًا اعتِماد على أن التأمل في المعنى قرينةٌ على دفعِ إيهامِ أن يكون «قيمًا» نعتًا لـ «عِوجًا» الذي من أجله حصَلَ السكتُ.

وكذلك في ﴿ مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا ﴾ فالسكت لعدم توهم أن يكون قوله: ﴿هَٰذَا﴾ من

قول المشركين المنكرين للبعث، والتأمل في المعنى صارفٌ لذلك. على أن الوقف على قوله: ﴿مَّرۡقَدِنَا﴾ تام، فيستحب الوقف عليه والابتداء بما بعده لإيضاح المعنى.

وأجاز ابن الأنباري والدينوري الوقفَ على قوله: ﴿هَٰذَا﴾، على أنه تابعٌ للمرقد، على أنه صفة له، أو بدل منه، ثم يُبتدَأ بـ ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، على معنى: هذا ما وعدَ الرحمن، أي: بعثكم وعدُ الرحمن(١).

وكذلك في ﴿مَنۡۜ رَاقٍ﴾، ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾ فالسكت فيهما لعدم توهم أن كلًّا منهما كلمة واحدة، والتأملُ في المعنى صارف لذلك التوهم.

باب الوقف على الهمز

قرأ حمزة بتخفيف الهمزة إذا وقف على كلمة تحويها بإبدالها، أو تسهيلها بين بين، أو حذفها مع نقل حركتها إلى الساكن قبلها، أو حذفها مطلقًا على تفصيل طويل مذكور في محله من كتب القراءات(٢).

اختص حمزة بهذا الباب ليناسب قراءَته المشتملةَ على شدة الترتيل والمد والسكت.

قال ابن الجزري: «ومما صحَّ في القراءة وشاعَ في العربية الوقف بتخفيف الهمز وإن كان مما يُحقق في الوصل؛ لأن الوقف محل استراحة القارئ والمتكلم، ولذلك حُذِفت فيه الحركاتُ والتنوين، وأُبدِل فيه تنوين المنصوبات، وجاز فيه الروم والإشمام والنقل والتضعيف، فكان تخفيفُ الهمز في هذه الحالة أحقَّ وأحرَى».

وقال ابن أبي مريم: «وربما يزيدون في الوقف ما ليس من الكلمة نحو هاء بيانِ الحركة في نحو: اغْزُه وارْمِه وكتابِيَه، والتضعيفَ في الوقف نحو: فرَجّ وخالِدّ، وربما

---

(١) ينظر إيضاح الوقف والابتداء (٤٥٠)، المكتفى (١٩٥)، منار الهدى (٦٤١).

(٢) وللمؤلف: «الرسالة الوافية في باب وقف الإمام حمزة على الهمز من الشاطبية وزيادات الطيبة» - مكتبة أولاد الشيخ - القاهرة.

يُبدِلون عن الحرف غيرَه نحو الهاء عن التاءِ في نحو (الرحمة) و(الصلاة)»[(١)].

وقال مكي: «وحجة مَن خفف الهمزة هو ما ذكرنا مُتقدمًا من ثِقَلِ الهمزة وجلادتها وبُعْدِ مخرجِها، وتصرُّف العرب في تغيير لفظها، فخفَّفها طلبًا للتخفيف فيها لصعوبة التكلف في تحقيقها.

فإن قيل: فلِمَ خُصَّ الوقفُ بالتخفيف للهمزة دونَ الوصل؟

فالجواب: أن القارئ لا يقف إلا وقد وَهَنَتْ قوةُ لفظِه وصوتِه فيما قرأ قبلَ وقفِه، والهمزة حرف صعب اللفظ به، فلما كان الوقف يضعف فيه صوتُ القارِئِ بغيرِ همزٍ كان فيما فيه همزة أضعفَ، فخفف الهمزة في الوقف للحاجة إلى التسهيل والتخفيف على القارئ، مع أنها لغة للعرب، ومع نقله ذلك عن أئمته، فأما الوصل فإن قوة القارئ في لفظه وجمام قوته في ابتدائه تكفي عن تخفيف الهمزة، وإذ قد استولى عليها القارئ، وعلى اللفظ بها مُحققة لجسام قوته ووصله لكلامه»[(٢)].

ويُعزى الوقف بتخفيف الهمز المتطرف إلى لغة قريش، قال مختار الغوث: «ويمثِّل حمزةُ في الوقف على الهمز المتطرف لغةَ قريش، يوافقه هشام عن ابن عامر، وطائفة أخرى من غير القراء العشرة، منهم حمران بن أعين، وطلحة بن مصرف، وجعفر بن محمد الصادق، وسليمان بن مهران الأعمش في أحد وجهيه، وسلام بن سليمان الطويل»[(٣)].

باب أحكام النون الساكنة والتنوين

قرأ خَلفٌ بإدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء إدغامًا كاملًا بغير غنة نحو: ﴿مِن وَالٍ﴾، ﴿مِن يَوْمٍ﴾، ﴿ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ﴾، وإدغام النون الساكنة

---

(١) الكتاب الموضح (١/ ١١٩).
(٢) الكشف (٦٤، ٦٥).
(٣) لغة قريش (٥٧).

والتنوين عند الواو بغير غنة مما انفرد به حمزة من رواية خَلَف.

على الأصل في الإدغام؛ لأن الإدغام يقلب المدغم كالمدغم فيه، فإذا قلبت النونُ واوًا أو ياءً لم يبق غنة.

باب الفتح والإمالة وبين اللفظين

الفتح عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف، والإمالة هي أن تنحُوَ بالألف نحوَ الياء، وبالفتحةِ نحوَ الكسرة، ويُقال لها الكبرَى، والإضجاع، وأما بين اللفظين فهي الإمالة الصغرى بين الفتح الخالِص والإمالة الخالِصة، ويقال لها التقليل وبَيْنَ بَيْن. والفتح أصل، والإمالة بنوعيها فرعٌ عنه.

الفتحُ والإمالة لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسِنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامَّةِ أهلِ نجدٍ من تميم وقيس وأسد، ونقل ابن الجزري في «منجد المقرئين» عن الهذلي أن الإمالة لغة هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر[(١)].

وفائدة الإمالة سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع. وفيها إعلام بأن أصل الألف الياء أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء.

قال مكي: «واعلم أن الألف المالة تكون أصلية بدلًا من ياء، فتميلها، لتدل بالإمالة على أصلها، وتكون ألِفًا زائدة، تُمال لشبهها بالأصلية ولأنها لا أصلَ لها في الواو نحو: «معزى» و«قصارى»، وقد يكون أصلُها الواو، ولكنها أُمِيلت لرجوعها إلى الياء

---

(١) ينظر إبراز المعاني (٢٠٤)، النشر (٢/ ٢٦، ٢٧، ٣٠)، ورأى الدكتور إبراهيم أنيس أن سعدًا بن بكر ممن ينسبون إلى الفتح – في اللهجات العربية (٥٣).

في نحو: «أزكى»، ولكسرة مقدرة نحو: «خاف»، التي توجب الإمالة»[١].

وقد أمال حمزةُ كلَّ ألف مُنقلبة عن ياءٍ في اسم أو فِعل وصلًا ووقفًا إذا كانت الياء أصلًا وانقلبت الألفُ عنها، ومعرفة ذوات الياء من الأسماء بالتثنية، ومن الأفعال بإسنادِ الفعلِ إلى ضمير المتكلِّم أو المخاطَب، فإن ظهرت الياءُ فهي أصل الألِفِ، وإن ظهرت الواوُ فهي أصلها، فتقول في تثنية الأسماء من اليائي : فتى: فتيان، مولى : موليان، الهدى : الهديان، الهوى : الهويان.

ومن الواوي : صَفًا : صَفوان، سَنًا : سَنوان، عَصًا : عصوان.

وتقول في إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم أو المخاطب من اليائي: أبَى: أبيت، عَصَى: عصيت، استعلى: استعليت.

ومن الواوي: دَعَا: دَعَوت، نَجَا: نَجوت، دَنَا: دَنوت.

وجه الإمالة في ذلك هو الياء كما تقدم.

وأمال الألفَ في وزن «فعْلَى» كيف أتت نحو : ﴿أَسْرَىٰ﴾، ﴿إِحْدَى﴾، ﴿طُوبَىٰ﴾.

قال الدكتور محمد سلامة: «وأُلحِق بذلك ﴿مُوسَىٰ﴾ إذا كان اشتقاقه من «موس»، والصحيح أنه اسم أعجمي، ولا يجوز اشتقاقه من «موس» العربية، أما إذا كان من «وسى» فهو مُفْعَل، وألحق أيضًا ﴿عِيسَىٰ﴾ و﴿يَحْيَىٰ﴾».

والإمالة لأن هذه الألفات الدالة على التأنيث شابهت ألف الهدى المنقلبة عن الياء، ويمكن أن يقال: إن الألف تنقلب ياءً في بعض الأحوال، وذلك إذا ثنيت قلت: الحُسْنَيان.

وأما وجه إمالة ألفات «موسىٰ» و«عيسىٰ» و«يحيىٰ» فإنه مُشبَّه بالمشبَّه بالمنقلب عن ياء؛ فإنه أُلحِقَ بألف التأنيث المشبَّهة بألف «الهدىٰ»[٢].

---

(١) الكشف (١٠٧).

(٢) ينظر الفتوحات الإلهية (١٨١، ١٨٢).

وأمال ألف ﴿كِلْتَا﴾ وقفًا، وامتنعت الإمالة وصلًا لسقوط الألف عند الوصل.

اختُلِفَ في أَلِفها، فقيل: إنَّها للتأنيث، على وزن «فِعْلَىٰ» كإحْدَى وسِيمَا، وعليه فالألِفُ تُمال في الوقف، وقِيلَ: إنها للتثنيةِ فلا تُمال، قال في النشر: «والوجهانِ جَيِّدَان، ولكني إلى الفتحِ أجنحُ»[1].

وكذا أمال ما كان على وزن «فعَالىٰ» بضم الفاء أو فتحها نحو: ﴿كُسَالَىٰ﴾، ﴿فُرَدَىٰ﴾، ﴿يَتَـمَىٰ﴾، ﴿نَصَـٰرَىٰ﴾، ﴿ٱلْحَوَايَـآ﴾.

لرسمها بياء، ولحملها على الألف التي تقلب ياءً كـ «الـهُدىٰ»، وأما «الحوايا» فلوجود الياء قبل الألف المالة، وأيضًا أصلها «حَوَاوَىٰ» على وزن «فَعَالَىٰ» المال.

وأمال كذلك كل ألف متطرفة رُسِمتْ في المصاحف ياءً في الأسماء والأفعال نحو: ﴿مَتَىٰ﴾، ﴿بَلَىٰ﴾، ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ﴾، ﴿يَـٰحَسْرَتَىٰ﴾، ﴿عَسَىٰ﴾، ﴿أَنَّىٰ﴾ الاستفهامية، واستثنى من ذلك خمس كلمات وهن: ﴿حَتَّىٰ﴾، ﴿إِلَىٰ﴾، ﴿لَدَىٰ﴾، ﴿عَلَىٰ﴾، ﴿مَا زَكَىٰ﴾ للاتفاق على فتحهن.

وجه إمالة ما رُسِمَ بالياء تعلُّقُه بالياء بوجهٍ ما، بدليل رسمِها بها، ووجه رسم ألفِ النُّدبة ياءً مُعاقبتها ياء الإضافة، لا نقلًا بها عنها، كما قيل لثبوت ﴿يَـٰحَسْرَتَىٰ﴾.

فأمَّا «متىٰ» و«أنىٰ» فهما ظرفان، فهما أدخَلُ في الأسماء من كونهما في الحروف، ولما كُتبا في المصحف بالياء أُميلا لتدل الإمالةُ على أن حكمهما حكمُ الأسماء المالة، وأنهما في الخط بالياء.

وأما «بلىٰ» فهو حرف، لكن أصلها «بل»، ثم زيدت الألف للوقوف عليها، فأشبهت ألفَ التأنيث، فأُميلت كما تمال ألفُ التأنيث. وقد قيل: إنها ألفُ تأنيث على الحقيقة، دخلت لتأنيث الأداة، أو لتأنيث الكلمة، أو لتأنيث اللفظة، كما دخلت التاءُ في

(١) ينظر النشر (٢/ ٦٣).

«ثُمَّت» و«رُبَّت» و«لاتَ» لتأنيث الكلمة أو اللفظ[(١)].

ورسمُ ﴿ضُحَىٰ﴾ بالياء لعودة ياء في التثنية، ورسم ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ تبعًا للمصدر.

ورسم ﴿مَا زَكَىٰ﴾ لمناسبة ﴿يَزَّكَّىٰ﴾، و﴿حَتَّىٰ﴾ لوقوعها رابعةً، و﴿لَدَى﴾ و﴿عَلَىٰ﴾ و﴿إِلَىٰ﴾ لانقلاب ألفاتها ياءً مع المضمَر، تقول: لدَيْه، وعلَيْه، وإلَيْه.

وفتحت هذه المستثنيات ولم تُـمَل للآتي:

أما «لدَى» فلرسمها بالألف في سورة يوسف، واختلف فيها في الطول، ولأنها ظَرف غير متمكن بمعنى «عند»، ألفه مجهولة فالتزم الأصل، وهو الفتحُ.

وأما «إلى» و«حتى» و«على» فلبُعد الحرف عن التصرُّف، ولأن الحروف لا أصل لهن في الإمالات؛ إذ لا أصلَ لألفهن في الياء، وأما «زكى» فللتنبيه على الأصل، فهو من ذوات الواو[(٢)].

وأمال أيضًا ألفَ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ و﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، و﴿ٱلۡقُوَىٰ﴾ و﴿ٱلۡعُلَىٰ﴾ كيف أتيا، و«كِلا» من ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وجه إمالة ذلك: قيل: إن من العرب مَن يثني ما كان كذلك بالياء وإن كان واويًّا، فيقول: رِبَيَان، وضحَيَان، وقُويان، وعُليان فرارًا من الواو إلى الياء لأنها أخفُّ.

وقال مكي: مذهب الكوفيين أن يثنوا ما كان من ذوات الواو ومضموم الأول أو مكسوره بالياء، وربما قوَّى هذا السببَ سببٌ آخر وهو الكسرة قبل الباء في «الربا»، وكون «الضحىٰ» و«ضحاها» و«القوىٰ» و«العلىٰ» رؤوس آيات فأميل للتناسُب.

وأما «كلاهما» فاختلف في ألفها، فقيل: منقلبةٌ عن واو، وعلى هذا فعِلَّة إمالتها كسرةُ الكاف، ولم يعتد باللام؛ لأن الحرفَ الواحد لا يمنع، ولا يحجز، وقيل: منقلبة

---

(١) الكشف (١٢٤).

(٢) ينظر شرح الطيبة للنويري (١/ ٥٧٣)، الفتوحات الإلهية (١٨٣، ١٨٤)، الكشف (١٢١).

عن ياء لقول سيبويه: لو سميت بها لقلبت ألفها في التثنية ياءً[١].

وقد استثنى حمزةُ من ذلك كلمات فقرأ بفتحهن وهي:

﴿ أَحۡيَا ﴾ كيف وقع عدا ﴿ وَأَحۡيَا ﴾ [النجم: ٤٤] المقترن بالواو – وهو بالنجم فقط – فيُمَـال، وفتح ﴿ ءَاتَىٰنِۦَ ﴾ [النمل: ٣٦].

الفتح للتنبيه على شبه الواو، والإمالة في النجم لمشاكلة الفواصل، من أجل إمالة سابقه ولاحقه ليتم التناسُق.

وفتحَ ﴿ أَنسَىٰنِيهُ ﴾ [الكهف:٦٣]، ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ﴾ [مريم: ٣٠]، ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ [الأنعام: ٨٠]، ﴿ ٱلرُّءۡيَا﴾ كيف وقع، «خَطَايَا» كيف وقع، ﴿ مَّرۡضَاتِ ﴾ كيف وقع، ﴿مَحۡيَاهُمۡ ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿عَصَانِي ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ﴿وَأَوۡصَٰنِي ﴾ [مريم: ٣١]، ﴿ وَمَحۡيَايَ ﴾ [الأنعام:١٦٢]، ﴿ هُدَايَ ﴾ المضاف للياء وهو بسورتي [البقرة: ٣٨ وطه: ١٢٣]، ﴿مَثۡوَايَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

للتنبيه على رسم الألف، وانضم إلى «الرؤيا» أن تقريب الياء إلى الكسر ثقيل، ففتح للاستخفاف؛ لأن الفتحَ على الياء أخفُّ من الكسر، مع أن الهمزة قبل الياء فيه ثقيلة، فلما اجتمع عِلَّتان فتح، وانضمَّ إلى «محياهم» و«مرضات» شبه الواو، وإلى «خطايا» شبه الهمزة.

وفتحَ أيضًا ﴿ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾ [النور: ٣٥].

للتنبيه على رسمها واوًا للأصل، وقيل: مجهولة.

وقرأ حمزةُ بإمالة ﴿ ضِعَٰفًا ﴾ [النساء: ٩] بخُلْفٍ لخلاد، فلِخَلف الإمالة فيها بلا خِلاف، ولخلاد الفتح والإمالة.

لوجود الكسرة السابقة، إذ الكسرة تؤثر لاحقة مباشرة وسابقة مفصولة بحرف

(١) من الفتوحات الإلهية (١٨٤) بتصرف يسير، وينظر الكشف (١٠٩).

لتعذر المباشرة[١].

وقرأ حمزةُ بإمالة الألف في ﴿ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ [النمل: ٣٩،٤٠] في الموضعَين بخُلفٍ لخلاد، فلِخَلَف الإمالة فيهما بلا خِلاف، ولخلاد الفتح والإمالة.

لكسرة التاء التالية للهمزة الممالة ليعمل اللسان عملًا واحدًا في المستفل، ووجه الفتح توهم الأصل بحمله على أخواته «يأتيك وتأتيك»[٢].

وأمال حمزة الراءَ والهمزةَ من لفظ «رَأى» مُطلقًا عند الوقف، وأمالها كذلك عند الوصل إذا وقع بعده متحرك نحو: ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦]، ﴿رَءَاكَ ٱلَّذِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، فإذا وقع بعده ساكنٌ أمال الراءَ فقط نحو: ﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

أمال الألف لأنها يائية، ولزم من إمالتها الهمزة، ثم أميلت فتحة الراء للمجانسة في إمالةٍ لإمالة، لاسيِّما وهي راء، وأيضًا لاصقَتْ همزة، ولهذا لم تجُز إمالة فتحة نون «نرى» وراء «رمى».

وقرأ بإمالة الراء دون الهمزةِ وصلًا من قوله تعالى: ﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء: ٦١]، وإذا وقفَ أمالَ الراءَ، والهمزةَ – مع تسهيلها –.

إذا وقف وقف على ألفٍ بعد الهمزة، أصلها الياء؛ لأنه من «رأىٰ»، فيميل الألف ليقربها من أصلها، ولا تتمكن الإمالة في الألف حتى تميل ما قبلها نحو الكسر، وهو الهمزة المفتوحة، ومن شأنه تخفيف الهمزة في الوقف، فيخففها بعد ألف ممالة، فتصير همزة ممالة بين الهمزة المبالة عن الفتح، وبين الألف الممالة، وقد كان في وصله يميل الألف التي بعد الراء لإمالة حرفين بعدها، ولم يعتد بحذف الألف الأخيرة لأنه عارض، فأبقى الإمالة في الراء والألف التي بعدها لبعدهما من المحذوف، ولم يمكنه لإمالة الألف التي بعد الراء لإمالة ما بعدَها حتى يميل فتحة الراء إلى الكسر، فقويت الإمالة في الألف التي بعد الراء لإتيان حرفين ممالين بعدها، وهما الهمزة والألف التي

(١) الفتوحات الإلهية (٢١٠).
(٢) الفتوحات الإلهية (٢١٠).

بعدها، ولذلك ثبت أفهالة في الوصل في الراء والألف التي بعدها مع سقوط الإمالة من الهمزة لذهاب الألف التي بعدها لالتقاء الساكنين، وقوي ثبات ذلك لبعده من المحذوف آخرًا.

وهذه كلمة تجتمع فيها في وقف حمزة أربعة أحرف مُمالة مُتوالية: الراء، والألف التي بعدها، والهمزة المخففة، والألف التي بعدها[1].

وقرأ بإمالة الهمزة من قوله تعالى: ﴿وَنَئَا﴾ [الإسراء: ٨٣ ، فصلت: ٥١]، وأمالَ خَلف النونَ أيضًا، فلِخَلف إمالة النون والهمزة، ولخلاد إمالة الهمزة فقط.

إمالة الهمزة لإمالة الألف المنقلبة عن ياء كما تقدم، وإمالة خلف للنُّون لأنه لما وقع بعدها حرفان ممالان أمال النونَ للإمالة التي بعدها، فيكون عملُ اللسان من جهةٍ واحدة، وهذا من الإمالة للإمالة.

وقرأ حمزة بإمالة الألفِ التي هي عين الفعل الماضي الثلاثي في عشرة أفعال وهي : «جَاءَ»، «شَاءَ»، «خَابَ»، «ضَاقَ»، «طَابَ»، «زَادَ»، «خَافَ»، «حَاقَ»، «رَانَ»، و«زَاغَ» عدا الموضعين المقترن فيهما بالتاء وهما «زَاغَت» بالأحزاب:١٠ و ص: ٦٣ فبالفتح فيهما، فإن كان الفعلُ رُبَاعِيًّا نحو ﴿ فَأَجَآءَهَا ﴾ [مريم: ٢٣]، ﴿ أَزَاغَ ﴾ [الصف: ٥] فلا إمالةَ فيه.

أمال ذلك ليدل على أن الحرف منها ينكسرُ عند الإخبار في قولك: جِئت، وشِئت، وخِبت، وضِقت، وطِبت، وزِدت، وخِفت، وحِقت، ورِنت، وزِغت، فدل بالإمالة على أن الأول مكسور منها عند الإخبار، فعملت الكسرة المقدرة، فأميلت الألف لها.

وهذه الأفعال يفضل بعضها بعضًا في قوة الإمالة فيها، فأقواها في الإمالة «جاء» و«شاء»، وذلك أن فيها أربعَ علل تقوى الإمالةُ بها:

إحداهن: أن الأول ينكسر عند الإخبار في قولك : جِئت، وشئت.

---

(١) الكشف (١٢٠، ١٢١).

والثانية: أن الألفَ التي هي عين الفعل المُمالةَ أصلُها الياء فيهما[(١)].

والثالثة: أن الهمزة في آخرها تشبه الألف، لأنها أختها في قرب المخرج، وفي أنها تبدل من الهمزة كثيرًا، فصار كأن في آخرها ألفًا، فقويت الإمالة لذلك.

والرابعة: أن العين في المستقبل منهما مكسورة، فأميلت الألف في الماضي لتدل على كسرة العين في المستقبل، كما أميل «خاف» لكسر الخاء في الإخبار، فهي إمالة لشيء مقدر في الكلام فيهما.

وفي إمالة «شاء» مزية في القوة على إمالة «جاء»؛ لأن مستقبل «شاء» جاء على مثال مستقبل «فعِل» بكسر العين؛ لأنه جاء على «يفعَل» بفتح العين لأجل الهمزة، وأصل عينه الكسرة، كما كان في «يجيء»، فكأن العين من «شاء» يشبه العين من «خاف» التي أصل عينها الكسر، فقويت الإمالة في «شاء» لاجتماع خمس علل فيها تقوي الإمالة.

ثم يلي إمالة «شاء» و«جاء» في القوة باقي الأفعال المذكورة، إلا «خافَ» فهي دون أخواتها في قوة الإمالة؛ وذلك أن «طاب» و«خاب» و«ضاق» و«زاغ» و«حاق» و«زاد» أميلت لعلل ثلاث، وهي ما تقدم من العلل عدا الثالثة[(٢)].

ثم دون ذلك في قوة الإمالة «خاف» لأنها أميلت لعلتين:

إحداهما: أن الأول منها ينكسر في الإخبار في قولك: خِفْت.

والثانية: أن عين الفعل منها أصله الكسر[(٣)]، فأميلت لعلتين فقط.

وقد يأتي من الإمالة ما تُتَّبع فيه الرواية، ولا تقوى فيه علة، فقد أمال «ضاقت» في

---

(١) «جَاءَ» أصلها: جَيَأَ، على وزن «فَعَلَ»، تحرَّكت الياءُ وانفتح ما قبلها فقُلِبَت ألفًا، و«شَاءَ» أصلها: شَيَأَ أو شَيِءَ، فوزنه «فَعَلَ» أو «فَعِلَ»، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا. ينظر معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم (٣٥٠، ٤١٥).

(٢) أصل «طَابَ»: طَيَبَ، و«خَابَ»: خَيَبَ، و«ضَاقَ»: ضَيَقَ، و«زَاغَ»: زَوَغَ أو زَيَغَ، جاء في لسان العرب: «زاغَ عن الطريق زَوْغًا وزَيْغًا: عَدَلَ، والياءُ أفصح».ا.هـ، وأصل «حَاقَ»: حَيَقَ، و«زَادَ»: زَيَدَ، على وزن «فَعَلَ»، تحرَّكت الياءُ فيهن وانفتح ما قبلها فقُلِبَت ألفًا.

(٣) أصله: خَوِفَ، على وزن «فَعِلَ»، تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها فقُلِبَت ألفًا.

الموضعين كما أمال «ضاق»، وفتح «زاغت» في الموضعين ولم يُمِل كما أمال «زاغ»، فهذا للجمع بين اللغتين ولاتِّباع الرواية.

فإن قيل: فلِمَ ترك إمالةَ «ساء» و«باء» ونحوه؟

فالجواب: أن هذا وشبهه لا عِلَّة فيه تُوجِبُ الإمالةَ؛ لأن عينَه في الماضي مفتوحة، وفي المستقبل مضمومة، ولأن عينه أصله الواو، فلا علة فيه للإمالة، فأتى بالفتح على الأصل، وأيضًا فإن الأول منهما لا ينكسر في الإخبار كما ينكسر في الأفعال المذكورة[(١)].

وإن قيل: لم فتح «وخافون» وهو يميل «خاف» حيث وقعت؟

فالجواب: أنه أمال «خاف» للعلتين المذكورتين، وأما «وخافونِ» فهو فعل مستقبل لا أصل له في الكسر، بل هو مفتوح الواو في قولك «يخاف»؛ لأن أصله «يَخْوَف»، ولأنك إذا أخبرت عن نفسك في المستقبل قلت: «أَخاف»، فأوله مفتوح، ولا سبيل إلى إمالته لامتناع وجود إحدى العلتين فيه، ومثله: «يَخاف» و«يخافا» وشبهه لا يُمال لما ذُكِرَ[(٢)].

وأمال أيضًا الراءَ من ﴿ الٓر ﴾ أول يونس وأخواتها، و﴿ الٓمٓر ﴾ [الرعد: ١]، والهاءَ من ﴿ طه ﴾ [طه: ١]، والياء من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ و﴿ يسٓ ﴾ [فاتحتي مريم ويس]، والطاءَ من ﴿ طه ﴾ [طه: ١] و﴿ طسٓمٓ ﴾ [الشعراء: ١، القصص: ١] و﴿ طسٓ ﴾ [النمل: ١]، والحاء من ﴿ حمٓ ﴾ في السبع.

عِلَّة الإمالة في ذلك كله أن هذه الحروف ليست بحروف معانٍ كـ «ما» و«لا»، إنما هي أسماء لهذه الأصوات الدالَّة على الحروف المحكية المقطعة، والأسماء لا تمتنع إمالةُ ألفها ما لم تكن من الواو، وليست الألفُ فيها من الواو.

ويدل على أنها أسماء أنك تخبر عنها فتعربها، فتقول: حاؤُك حسَنة، وصادُك محكمة،

(١) الكشف (١١٠، ١١١).
(٢) الكشف (١٢٣).

وإذا عطفت بعضَها على بعض أعربتها كالعدد، فلما كانت أسماءً أمالها ليفرق بينها وبين الحروف التي للمعاني التي لا يجوز إمالتها نحو: «ما» و«لا» و«إلا»، وإنما لم تجُز إمالةُ هذه الحروف ليفرق بين الحرف والاسم، ولو سميت بهذه الحروف جازت إمالتُها[1].

وقرأ حمزة بتقليلِ الألِفِ الواقعة قبل الراءِ المتطرفةِ المكسورةِ في حرفين: ﴿ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ حيث وقع مجرورًا، والألف الواقعة بين رائين أولاهما مفتوحة والثانية مجرورة، وهي في ثلاثة أسماء: ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾، ﴿قَرَارٍ﴾، ﴿ٱلْقَـرَارِ﴾، ﴿ٱلْأَشْرَارِ﴾.

وزيد لحمزة من الطيبة في ﴿ٱلْبَوَارِ﴾، ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ المجرورين الفتحُ، وزيد له في مكرر الراء المجرور الإمالةُ، وزيد لخلاد فيه الفتحُ أيضًا.

وعِلَّة مَن أماله أنه لما وقعت الكسرةُ بعد الألف قرب الألف نحو الياء، لتقرب من لفظ الكسر؛ لأن الياءَ من الكسر، ولم يمكن ذلك حتى قربت الفتحة التي قبل الألف لفظ الكسر، فحسن ذلك ليعمل اللسانُ عملًا واحدًا مستفلًا، فذلك أخفُّ مِن أن يعمل متصعدًا بالفتحة والألف، ثم يهبط مستفلًا بكسرة الراء.

وهو مع الراء أحسنُ؛ لأن الكسرة عليها قوية وكأنها كسرتان، فقويت الإمالةُ لذلك مع الراء لأنها حرفُ تكرير، الحركةُ عليها مقامُ حركتين.

وعِلَّةُ مَن قرأه بين اللفظين أنه توسط الأمرَ، فلم يُمِل لئلا يُخرِجَ الحرفَ عن أصله، ولم يفتح لقوة الكسرة في الراء، فقرأ ذلك بين اللفظين، أي بين الفتح والإمالة.

وعلة مَن فتح أنه أتى به على الأصل، ولم يستثقل التَّسَفل بعد التَّصَعد[2].

وقرأ بتقليل الألف من لفظ ﴿ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ حيث وقع.

وزيد له من الطيبة الإمالة أيضًا؛ وذلك لأن أصلَ ألفِها الياءُ. وقد اختلف فيها على

---

(١) الكشف (١١٨).

(٢) الكشف (١٠٧، ١٠٨).

قولين:

أحدهما: ما ذهب إليه البصريون من أنه اسمٌ على وزن «فَوْعَلَة»، أصله: وَوْرَيَة، و«فَوْعَلَة» كثير في الكلام، نحو: الحَوْقَلة، وهو مِن: وَرِي الزِّنْد يَري أي: يتَّقِد[١]، أبدلوا الواوَ الأولى تاءً، كما فعلوه في «تجاه» و«تُقاة»، وهما من الوجه والوقاية؛ لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لأبدلوا منها همزةً تخلصًا من اجتماع الواوين أول الكلمة فصارت: «تَوْرَيَة»، تحركت الياء، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا فصارت «توراة».

والثاني: ما ذهب إليه الكوفيون من أنه يصلح أن يكون «تَفْعَلَة» والأصل تَوْرَيَة، قُلِبَت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، وأن يكون «تَفْعِلَة»، ولكن قُلِبَت من «تَفْعِلَة» إلى «تَفْعَلَة»، وردَّ الزجَّاج على الأول بأن «تَفْعَلَة» لا تكادُ توجَد، وعلى الثاني بأن هذا القلب من وزنٍ إلى وزن لم يثبت، فلم يقولوا في «تَوْقِيَة»: توقاة، ونسب ابنُ منظور إلى الفراء: التوراة من الفعل التفْعِلَة، كأنها أخذت من أَوْرَيْت الزنادَ ووَرَّيتها، فتكون تَفْعِلَة في لغة طَيِّئ؛ لأنهم يقولون في التَّوصِية: تَوْصاة، وللجارية: جَاراة، وللناصية: ناصاة.

فعِلَّة الإمالة محاولةُ تقريب الألف إلى أصلها، وهو الياء، ولا يتمكن ذلك إلا بتقريب فتحة الراء إلى الكسرة، والتقليل كذلك على ما ذُكِر[٢].

وإذا وقع بعد الألف المُمالة ساكنٌ، وسقطت الألف لذلك الساكن امتنعت الإمالة من أجل سقوط تلك الألف، سواء كان الساكنُ غيرَ تنوين نحو: ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾، ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾، أو كانَ تنوينًا، وهو يلحق الاسمَ المقصورَ، وذلك في سبعة عشر حرفًا:

﴿مَوْلًى﴾، ﴿مُّسَمًّى﴾، ﴿مُّفْتَرًى﴾، ﴿أَذًى﴾، ﴿رِبًا﴾، ﴿غُزًّى﴾، ﴿سُوًى﴾،

---

(١) وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢]، وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١].

(٢) ينظر الكشف (١١٥، ١١٦)، معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم (٢٨٨، ٢٨٩)، لسان العرب (٤٨٢٢) – مادة (وري)، المحتسب (١/ ١٥٢)، وللمزيد من التفصيل والاحتجاج للإمالة ينظر الحجة لأبي علي الفارسي (٣/ ١٠: ١٧).

﴿سُدًى﴾، ﴿ضُحًى﴾، ﴿طُوًى﴾، ﴿مَثْوًى﴾، ﴿عَمًى﴾، ﴿قُرًى﴾، ﴿فَتًى﴾، ﴿مُصَلًّى﴾، ﴿مُّصَفًّى﴾، ﴿هُدًى﴾، فإذا زال ذلك الساكنُ بالوقف عادت الإمالةُ.

عدم الإمالة في نحو: ﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ لسقوط الحرف المال، وهو الألف، فلا مُوجِب للإمالة حال الوصل، وبقيت موجودةً حال الوقف لوجود مُوجِبها.

والعِلَّة في المنوَّن قيل: لأن ما كان منه في موضع رفع أو خفض فلا تعويض من التنوين فيه، فالوقف على الألف الأصلية بالإمالة لتدل الإمالةُ على أصلها، وذلك نحو: ﴿سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ هذا في موضع رفع، ونحو: ﴿عَن مَّوْلًى﴾ هذا في موضع خفض، والتنوين لا يعوض منه شيء في الرفع والخفض.

فالوقف على الألف الأصلية التي هي عِوضٌ من الياء بالإمالة لأن الإمالة لازمةٌ فيه.

وأمَّا ما كان في موضع نصب فالوقف عليه أيضًا بالإمالة، وعلة ذلك أنك لما وقفت عوضت من التنوين ألفًا، وقبلها ألف أصلية عوض من الياء الأصلية، فحذفت الثانية لالتقاء الساكنين، وبقيت الأولى، وهي الأصلية، وكان بقاءُ الأصل أولى من بقاء الزائد، فأميلت في الوقف لأنك تقف على الألف أصلُها ياء[1].

وقرأ حمزة من بعض طرق الطيبة بإمالة هاء التأنيث وقفًا على تفصيل مذكور في محله من كتب القراءات، وهاء التأنيث هي الهاء التي تكون في الوصل تاءً آخرَ الاسم نحو: ﴿رَحْمَةً﴾، ﴿جَنَّةٌ﴾، ﴿خَلِيفَةً﴾، فتبدل في الوقف هاءً.

إمالة هاء التأنيث لغة ثابتة حكاها سيبويه عن العرب، وحُكِيَ أنها لغة نجد[2]، ولا زالت موجودة في بعض البلاد حتى الآن.

ووجه الإمالة أنها أشبهت ألف التأنيث في لزوم السكون -عند الوقف- وفتح ما

(١) ينظر الكشف (١٢٦).

(٢) اللهجات العربية في التراث (١٢٧).

قبلها، وكان الشبه من خمس جهات:

إحداهن: قرب المخرج من الألف، **الثانية**: أنها زائدة كألف التأنيث، **الثالثة**: أنها تدل على التأنيث كالألف، **الرابعة**: أنها تسكن في الوقف كالألف، **الخامسة**: أن ما قبلها لا يكون إلا مفتوحًا كالألف.

فلما تمكَّن الشبهُ في الوقف بالسكون أُجريت مجرى الألف في الوقف خاصة، فأُميل ما قبلها من الفتح، فقرب من الكسر كما يفعل بألف التأنيث، إلا أن ألف التأنيث تقرب في الإمالة نحو الياء، وليست كذلك الهاء، فإن وُصِلت فُتِحت؛ لأنها تصير تاءً، فلا تشبه حينئذ الألف، فلذلك حسُن الوقف بالإمالة[(١)].

باب ياءات الإضافة

ياء الإضافة هي ياء المتكلم، وتتصل بالاسم والفعل والحرف نحو : ﴿ وَأُمِّيَ ﴾، ﴿ مَسَّنِيَ ﴾، ﴿ لِي ﴾، وتُعرف بصلاحية حلول الكاف والهاء محلها فتقول في أمي : أمك وأمه، وفي مسني : مسَّك ومسَّه، وفي لي : لك وله.

وقد قرأ حمزة بإسكان ياء الإضافة في :

- ﴿ بَيْتِيَ ﴾ وهي بالبقرة والحج ونوح.
- ﴿ وَجْهِيَ ﴾ بآل عمران والأنعام.
- ﴿ يَدِيَ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٢٨].
- ﴿ وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ ﴾ [المائدة: ١١٦].
- ﴿ أَجْرِيَ إِلَّا ﴾ بيونس، وموضعين بهود، وخمسة بالشعراء، وموضع بسَبَأ.
- ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى ﴾ [البقرة: ٢٥٨].
- ﴿ حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].
- ﴿ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].
- ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ﴾ [إبراهيم: ٣١].
- ﴿ عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].
- ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].
- ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ ﴾ [الزمر: ٥٣].
- ﴿ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

(١) ينظر الكشف (١٢٧، ١٢٨)، الفتوحات الإلهية (٢١٧، ٢٢٢).

- ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠].
- ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].
- ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [ص: ٤١].
- ﴿أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].
- ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ [الملك: ٢٨].
- ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].
- ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى﴾ [النمل: ٢٠].
- ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ﴾ [يس: ٢٢].
- ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].
- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ﴾ [ص: ٦٩].
- ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ﴾ [ص: ٢٣].
- ﴿مَعِيَ﴾ أين وقعت.

الفتح والإسكان في ياء الإضافة لغتان فاشيتان في القرآن الكريم ولغة العرب، وإسكان حمزة إياها جريٌ على أصله فيها.

وذكر الدكتور محمد سلامة أن إسكانَ الياء وفتحها أصلان، الإسكانُ هو الأصلُ الأول؛ لأنها مبنيَّة، والأصلُ في البناء السكون، والفتحُ هو الأصل الآخر؛ لأنه اسم على حرف غير مرفوع فقوي بالحركة، وكانت فتحةً للتخفيف، والإسكان أكثر؛ لأن أكثر المتفق عليه ساكن(١).

وجعل مكي الفتحَ الأصلَ، والإسكان للتخفيف(٢).

باب ياءات الزَّوائد

هي الياءات الزائدة على خط المصحف العثماني، وتقع في الاسم والفعل نحو: دُعائي، آتاني، أتمدونني.

وقد قرأ حمزة بإثبات الياء وصلًا وحذفها وقفًا في ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[إبراهيم: ٤٠].

وبإثباتها وصلًا ووقفًا في ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] – وقد سبق ذكر إدغام النون في النون –، وقرأ بحذفها في الحالَين في ﴿ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٣٦].

وجه إثباتها في الحالَين أنه الأصل؛ لأنها لام أو ضمير المتكلم، ويستحق الثبوت.

(١) ينظر الفتوحات الإلهية (٢٥٩، ٢٦٨).
(٢) الكشف (٢١٥).

قال ابن قتيبة: هي لغة الحجازيين، وتوافق الرسمَ تقديرًا؛ لأن ما ما حُذِفَ لعَارِض في حكم الموجود، كألف ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفاتحة: ١، وحيث ورد]، وياء ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وواو ﴿يَـدۡعُ﴾ [القمر: ٦]، ووجه حذفها في الحالين التخفيف، والاجتزاء بدلالة الكسرة، وهي لغة هذيل.

قال الكسائي: تقول العرب: الوالي والوالِ، والقاضِي والقاضِ، والرامي والرام.

وقال الفراء: سمعت العرب تقول: «لا أَدْرِ» و«لَعَمْرِ».

ووجه إثباتها في الوصل دون الوقف مُراعاةُ الأصل والرسم، وخص الوقف بالحذف مناسبة، وهي مركبة من اللغتين[١].

الإِشْمَام

قرأ خَلَف لفظ «صِرَاط» حيث وقع في القرآن الكريم، مُنكرًا، أو مُعرفًا بأل، أو مُضافًا، بإشمام الصاد صوتَ الزَّاي نحو ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، ﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾، وأمَّا خَلاد فأشمَّ الموضع الأول بالفاتحة فقط ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ومعناه مَزْجُ لفظ الصاد بالزاي، فينطق بحرف ليس بصاد خالصة ولا بزاي خالِصة، فيكون لفظها كلفظ العوام بالظاء من غير أن يخرج فيها لسانه، ويكون صوت الصاد أغلب.

«هي لغة قيس، وذلك للمبالغة في طلب التجانس لزيادة الزَّاي على الصَّاد بصفة الجهر الملازم للطاء»[٢]، وأما القراءة بالصاد فلُغة قريش[٣].

وقرأ حمزة بإشمام الصَّاد صوتَ الزاي أيضًا من كل صادٍ ساكنةٍ بعدَها دَال في كلمة

(١) الفتوحات الإلهية (٢٧٤).
(٢) مرشد الأعزة (هامش صـ٨)، وينظر القراءات وأثرها في علوم العربية (١٠٠).
(٣) الإتحاف (١٦٣).

واحدة، نحو: ﴿أَصۡدَقُ﴾، ﴿يَصۡدِفُونَ﴾، ﴿فَٱصۡدَعۡ﴾، ﴿يَصۡدُرُ﴾.

«لأن الصَّادَ مهمُوسَة والدَّال مَجهورة، فكرهوا الخروج من الهمس إلى الجهر فأشَمُّوا الصادَ بعضَ الزاي لمناسبتها الصاد في الصفير والدالَ في الجهر»[1].

وقرأ حمزة بالإشمام أيضًا في ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧]، ﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] بخُلفٍ عن خلاد، فلخَلف الإشمام وجهًا واحدًا، ولخَلاد الإشمامُ والصادُ الخالِصة.

لغة فيه، وعلى ما مرَّ في «الصراط».

مُلحقات بالأصول

قرأ حمزة بضم الهاء وصلًا ووقفًا في «عَليهم»، «إِليهم»، «لديهم» حيث وقعت في القرآن، سواء كان بعدها متحرك نحو ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، أو كان بعدها ساكن نحو ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

عزي الضم فيها إلى قريش والحجازيين[2]، على الأصل؛ لأن الهاء لما كانت ضعيفة لخفائها خصت بأقوى الحركات، ولذا تُضَم مُبتدأة نحو: «هُم»، وبعدَ الفتحِ «لَهُ»، والألفِ نحو: «اجتباهُ»، والضمةِ نحو: «ربُّهُ»، والواوِ نحو: «عقلوهُ»، والسكون غير الياء نحو: «مِنْهُ». وتخصيص الألفاظ الثلاثة دون غيرها نحو: «فيهِم» و«أيديهِم» لانقلاب الياء عن الألف في الثلاثة بدليل: «على زيد»، «إلى عمرو»، «لدَى بكر»، وما بعد الألف لا يكون إلا مضمومًا نحو: «مَا هُم»، فكذلك بعد المنقلب عنها حَسُنَ فيه الضمّ[3].

وقرأ بضم الهاء وميمِ الجمع وصلًا فقط فيما إذا كان قبل الهاء كسر أو ياء ساكنة وبعدَ

---

(١) ينظر مرشد الأعزة (هامش صـ٨).

(٢) عزاها الشيخ البنا في الإتحاف (١٦٤)، وذكر إبراهيم أنيس أن المشهور الشائع في البيئة الحجازية هو الكسر – في اللهجات العربية (٨٤).

(٣) ينظر الإتحاف (١٦٤)، مرشد الأعزة (هامش صـ٨).

ميم الجمع ساكن نحو: ﴿قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي﴾، ﴿بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ فإذا وقفَ كسرَ الهاءَ وأسكن الميمَ كحَفص.

ضم الهاء وصلًا تبعًا لضم الميم، ولمعادلة الهاء الخفية بأثقل الحركات وهو الضم، وذكر البنا أن ضمَّ الميم وكسرَ الهاء لغة بني أسد وأهل الحرمين[(١)].

وقرأ بحذف هاءِ السَّكتِ وصلًا فقط، مع إثباتها وقفًا في: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿ٱقْتَدِهْ قُل﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩]، ﴿سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ﴾ [الحاقة: ٢٩ - ٣٠]، ﴿مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ﴾ [القارعة: ١٠ - ١١].

لأن هذه الهاء جيء بها للوقف لبيان حركةِ ما قبلَها، ولذلك استُغنِيَ عنها حال الوصل؛ لأن الحركة فيما قبلها ثابتة في الوصل، ولذلك سميت هاء السكت، فهي مثل ألف الوصل التي جيء بها للابتداء، فإذا لم يُبتدَأ بها، واتصل الكلامُ استُغني عنها، وهي مثل ألِفِ «أنا» على مذهب البصريين، وعلى هذا المذهب أكثر النحويين[(٢)].

وقرأ بكسر الباء من لفظ «بيُوت» كيف وقع، وكسر الجيم من «جيُوبهن» بالنور، وكسر العين من «عيُون» معرفًا ومنكرًا، وكسر الشين في «شيُوخًا» بغافر، وكسر الغين في «غيُوب» كيف وقع.

لغة فيهن للتخفيف، ولمناسبة الياء، نُسب الكسر إلى أهل الحجاز، والضم إلى تميم وقيس وأسد وبكر[(٣)].

وقرأ حمزة من الطيبة بتوسط مد «لا» النافية للجنس بخُلفه، وهي المُعبَّر عنها بـ «لا» التبرئة، وهي «لا» النافية الداخلة على النكرة المبنية على الفتح، نحو: ﴿لَا رَيْبَ﴾، ﴿لَّا مَرَدَّ﴾.

المد للمبالغة في النفي وتأكيده.

(١) الإتحاف (١٦٥).
(٢) ينظر الكشف (٢٠٣).
(٣) ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٣: ١٢٥).



ثانيًا: الفَـرش

سورة الفاتحة

قولُه تعالى: ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ [الفاتحة: ٤]: قرأه حمزة بالقصر -أي بحذف الألف- (مَلِكِ).

صفة مُشبَّهة، صارت اسمًا لصاحب الـمُلْك (بضم الميم)، أي أن الله الـمُلكَ يوم الدين خالصًا دونَ جميعِ خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازِعونه الـمُلكَ ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغرة الأذلَّة، وأن له من دونهم ودون غيرِهِم الـمُلكَ والكبرياء والعزَّة والبهاء، كما قال -جلَّ ذكره وتقدست أسماؤه- في تنزيله: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فأخبَر -تعالى ذكرُه- أنه المنفرِد يومئذ بالـمُلك دونَ ملوك الدنيا الذين صَاروا يومَ الدينِ من مُلكِهِم إلى ذلَّة وصَغار، ومِن دنياهم في المعاد إلى خَسار.

وقال الشيخ البنَّا: «على وزن «سَمِع»، صفة مشبَّهة، أي قاضي يوم الدين».

وأما القراءة بالألف «مالِك» فهي اسم فاعل من «مَلَكَ يَمْلِك» إذا اتصف بالمِلك -بكسر الميم-، وكلتا القراءتين من «ملك»، وأصل مادة «ملك» في اللغة ترجع تصاريفها إلى معنى الشد والضبط كما قاله ابن عطية.

قال ابن عاشور: «وقراءة «مَلِك» بدون ألف تدل على تمثيل الهيئة في نفوس السامعين لأن المَلِك -بفتح الميم وكسر اللام- هو ذو الـمُلك بضم الميم، والمُلك أخصُّ من المِلك، إذ المُلك -بضم الميم- هو التصرف في الموجودات والاستيلاء، ويختص بتدبير أمور العقلاء، وسياسة جمهورهم وأفرادهم ومواطنهم، فلذلك يقال: مَلِكُ الناس، ولا يقال: مَلِكُ الدوابِّ أو الدراهم، وأما المِلك -بكسر الميم- فهو الاختصاص بالأشياء ومنافعها دون غيره»[(١)].

(١) ينظر التحرير والتنوير (١/ ١٧٥)، إتحاف فضلاء البشر للبنا (١٦٣)، تفسير الطبري (١/ ١٥٠).

سورة البقرة

﴿فَأَزَلَّهُمَا ﴾ [البقرة: ٣٦] قرأها حمزة بألف بعد الزاي وتخفيفِ اللام (فَأَزَالَـهُمَـا)، وهي مما انفرد به حمزة من بين القراء العشرة.

من الإزالة بمعنى التنحية، أي نحَّاهما وأبعَدَهُما عن نعيم الجنة، ويُقوي ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٣٦] فإن الإخراج قريب المعنى من الإزالة، واتبع في ذلك مطابقة معنى ما قبله على الضد، وذلك أنه -تعالى ذِكرُه- قال لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] فأمرهما بالثبات في الجنة، وضدُّ الثبات الزوال، فسعى إبليس اللعين فأزالهما بالمعصية عن المكان الذي أمرهما اللهُ بالثبات فيه مع الطاعة.

فإن قيل: قراءة «أزالهما» قريبة المعنى من الإخراج الذي ذُكِر بعدها، فقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ يدل عليه قوله: «فأزالهما الشيطان عنها»، فما فائدة هذا التكرار؟

يُجب بقول ابنِ عاشور -رحمه الله-: «قد نُبِّهَ عليه بخصوصه مع العلم بأنَّ من خَرج مِن الجنة فقد خرج مما كان فيه إحضارًا لهذه الخسارة العظيمة في ذهن السامعين حتى لا تكون استفادتها بدلالة الالتزامِ خاصَّةً، فإنها دلالة قد تخفى، فكانت إعادتُه في هذه الصلة بمرادفه كإعادته بلفظه في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨]».

وقول المهدوي: «إذا كان التكرار مفيدًا فهو حسن، ألا ترى أنه يجوز أن يزيلهما عن المكان الذي كانا فيه ولا يخرجهما عمَّا كانا فيه من الرفاهية ورغد العيش، فصار قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ يفيد أنهما زالا من الجنة وخرجا مما كانا فيه من الرفاهية ورغد العيش»[(١)].

وقال النويري -رحمه الله-: «... وناسب الإزالةَ عن مكانهما فأخرجهما من الجنة؛

(١) شرح الهداية (١٦٣).

فلا تكرار، أو عنِ الجنة فأخرجهما من النعيم»[(١)].

وقال الدكتور أحمد الخراط في الجمع بين القراءتين -بعد توضيح معنى قراءة الجمهور-[(٢)]: «وقراءة الجمهور ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ تُؤذِن بوقوع آدم عليه السلام وزوجته في الزلَّة، فيكون «أزلَّ» بمعنى استزلَّ، أي: طلب زلَّتهما.

وتحمل القراءة تأويلين: أحدهما: كسَبَهما الزلَّةَ، والآخر: أن يكون من «زلَّ» بمعنى عثر.

مما سبق يتبينُ لنا أن قراءة «أزلَّهما» أفادت المشهدُ الأول من قصة آدم أبي البشر، إذ تصف عزمَ الشيطان على إدخاله في الزَّلل، ويُقوِّي ذلك قولُه في موضع آخر: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الأعراف: ٢٠]، والوسوسة إنما هي إدخالُهما في الزَّلل بالمعصية، وتزيينُ فعلِ المعصية، فيكون معنى «فأزلَّهما» الزللَ في الدين، كقوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤]. وقد كان انتقاء الفعل «أزلهما» لتصوير الحركة، وإنك لتكادُ تلمَحُ الشيطانَ وهو يزحزحُهما عن الجنة، ويدفع بأقدامهما فتزل وتهوى.

أمَّا المشهد الثاني فتعبر عنه القراءة الثانية «فأزالَهما»، فقد قال لهما سبحانه: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، أي: اثبتا فيها، فثبتا، ثم حدثت الزلةُ منهما والعثار، فكان ثمرة ذلك تنحيتهما عن رغد العيش، ومغادرتهما جنةَ الله ونعيمَه، فحصل الزوال مقابل الثبات، والثبات في المكان استقرار فيه، أما الزوال فمفارقة عنه.

وبذلك يكون كل من القراءتين يمثل مشهدًا حيًّا من مشاهد قصة آدم وزوجه في رحاب الجنة.

لقد رسمت كلمةٌ واحدة بإيحاءاتها ودلالاتها مرحلتين، تكمل إحداهما الأخرى، بتغييرٍ طفيف في التلفظ بها، فينشأ مع كل تغيير دلالةٌ تختلف عن الدلالة الأخرى،

---

(١) شرح الطيبة للنويري (٢/ ١٥٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٤٣٤).

(٢) بتصرف من الإعجاز البياني (١٥٢: ١٥٥).

ولكن الدلالتين تتكاملان في الوصول إلى المعنى المنشود، فزلَّة القدم حَدَثَتْ في المرحلة الأولى؛ إذ خالفا أمرَ ربِّهما، ولم يلتزما النهيَ عن الاقتراب من شجرةٍ بعينها، وأعقبَ ذلك تنحيتَهما عن النعيم المقيم الذي كانا عليه».

﴿ هُزُوًا ﴾ [البقرة: ٦٧] قرأها حيث وقعت في القرآن الكريم بسكون الزاي وهمز الواو (هُزْؤًا)، وكذلك ﴿ كُفُوًا ﴾ [الإخلاص: ٤] بالهمز وإسكانِ الفاء (كُفْؤًا).

الإسكان لغة تميم وأسد وعامة قيس[١]، وقراءتُه أصلها الضمُّ (هُزُؤًا) كقراءة الجماعة إلا أنه خُفف كقولهم في عُنُق: عُنْق، وقيل: بل هي أصلٌ بنفسها، ليست مخففةً من ضم، حكى مكي عن الأخفش عن عيسى بن عمر: «كلُّ اسمٍ ثلاثي أوله مضمومٌ يجوز فيه لغتان: التثقيل والتخفيف».

وفي لسان العرب: الهُزْء والهُزُء السُّخْرِيَة، وهَزَأَ يَهْزَأ هُزْءًا وهُزوءًا ومَهْزَأة وتَهَزَّأَ واستهْزَأَ به: سَخِرَ.

﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: ٨٣] قرأها بياء الغيْبة (يَعبُدُونَ).

لأن مبنى الكلام على الغيبة، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، والأسماء الظاهرة حكمها الغَيبة[٢]، والمراد بالنفي في القراءتين النهي.

قال الدكتور فضل حسن عباس: «أسلوب الغيبة هنا فيه نَعْيٌ على بني إسرائيل وتَبكيتٌ وتقريع، فهم لم يُراعوا حقَّ هذا الميثاق، بل نقضوه، أما القراءة الأخرى ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ففيها إلزام لهم وإرخاء العنان علهم يرعوون ويرجعون عن غيِّهم ويتركون ما كان عليه آباؤهم من قبل»[٣].

وقال حسن العبادلة: «.. وبالقراءة الثانية «لَا يَعبُدون» وإن دلَّت على الإخبار عن بني إسرائيل إلا أنَّها تُفيد معنى آخر، وهو طمأنة قلب القارئِ أو المستمع؛ فهذه الآيات نزلت على سيدنا محمد ﷺ، فأسلوب الخطاب بالإخبار عن بني إسرائيل يُشعِر السامعَ

(١) ينظر الدر المصون (١/ ٢٥٣، ٢٥٤)، شرح الطيبة للنويري (٢/ ١٦٥).
(٢) ينظر الدر المصون (١/ ٢٧٥).
(٣) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية (٢٨).

أو القارئَ أنه أقربُ إلى الله -سبحانه وتعالى- من هؤلاء الذين أخبرَت عنهم الآيةُ الكريمة، والله سبحانه وتعالى أعلم»[١].

وأما القراءة بالتاء فحكاية على ما خوطبوا به، وفيها التفات من الغيبة إلى الخطاب، وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب ليكون أدعَى للقبول، وأقربَ للامتثال، إِذ فيه الإقبالُ من الله على المخاطَب بالخطاب[٢].

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قرأ ﴿حُسْنًا﴾ بفتح الحاء وتحريك السين بالفتح (حَسَنًا).

على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: قولوا قولًا حَسَنًا، وهذه الصفة (حَسَن) يكثر حذفُ موصوفِها، نحو قولهم: هذا حَسَنٌ، ورأيت حَسَنًا، ومررت بحسن، وقلما يذكر معها الموصوف، وقد جاء نظير ذلك في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الرعد: ٣] ولم يذكر الجبال، وقوله: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ [سبأ: ١١] ولم يذكر الدُّروع؛ إذ دلَّ وصفُها على موصوفِها. ونقل القرطبي عن الأخفش أن حُسْنًا وحَسَنًا بمعنى واحد مثل البُخْل والبَخَل.

﴿أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ [البقرة: ٨٥] قرأ ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ بفتح الهمزة، وإسكان السين من غير ألف (أَسْرَى).

على وزن «فَعْلَى»، جمع أسير بمعنى مأسور، كجَريح وجَرْحَى وقتيل وقتلى.

وقرأ ﴿تُفَٰدُوهُمۡ﴾ بفتح التاء، وإسكان الفاء مع حذف الألف (تَفْدُوهُمْ).

من الفِدَاء، ذهب جماعة اللُّغويين إلى أن «فَدَى» و«فَادَى» لغتان بمعنى واحد، من باب سَافرت، ورأى آخرون أنهما مختلفتا المعنى[٣].

وقال النويري: «ووجه ﴿تُفَٰدُوهُمۡ﴾ أن حقيقة الـمُفاعَلَة من اثنين، فالأسيرُ

---

(١) من أوجه القراءات القرآنية إبدال الحروف وأثره في التفسير (٤٣).

(٢) البحر المحيط (١/ ٤٥٧)، وينظر الكتاب الفريد (١/ ٣٠٨).

(٣) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (٣٩).

يُعطي العِوضَ، والآسِرُ المعوضَ، ...، ووجه ﴿تَفْدُوهُمْ﴾: أن الفادي يُعطي فِداءَ الأسير، فهو طرف واحد، ويوافق صريح الرسم. وقيل: معنى فداه: خلصه بمال، وفاداه: خلصه بأسير، وعليه قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧] فيفترقان ...»[١].

قال الدكتور أحمد سعد: «... الآية قد وردت في مقام ذَمِّ اليهود وتبكيتِهم على مواقفهم المتناقضة مع أنفسهم ومع كتابهم؛ لأنهم أُمِروا فيه ألَّا يقتلوا أنفسَهم ...، فخالفوا ذلك بأن تحالف فريقٌ منهم مع الأوس، وآخر مع الخزرَج في حروبهم ومنازعاتهم قبل الإسلام، فإذا أُسِر منهم كان عليهم -مع ذلك- فداءُ أسراهم بالمال أو غيره، أو مُفاداتُهم بِرَدِّ أسرى الأوس والخزرج واسترداد أسراهم، فهم يُقاتِلون أنفسهم، ثم ينقذون أسراهم، وبناءً على ذلك فإن كلَّ قراءةٍ تُمَثِّلُ موقفًا من مواقفِ اليهود مع أسراهم؛ ففريق يَفْدُونَ أسراهم بالمال أو غيرِه، وآخرون يُفَادونَ أسراهم بردِّ أسيرٍ مثلِه»[٢].

﴿ لِّجِبْرِيلَ ﴾ [البقرة: ٩٧]، ﴿ وَجِبْرِيلَ ﴾ [البقرة: ٩٨] قرأ بفتح الجيم والراء مع إثبات همزة مكسورة بعد الراء (جَبْرَئِيل)، وكذلك بسورة التحريم.

لغة فيه. نسبها أبو حيان إلى تميم وقيس وكثير من أهل نجد، وهذا قد وافق قولهم: عَنْتَرِيس ودَرْدَبِيس وقَمْطِرِير. وقال حسَّان:

شَهِدْنَا فَمَا تَلْقَ لَنَا مِنْ كَتِيبَةٍ   يَدَ الدَّهْرِ إلَّا جَبْرَئِيلُ أَمَامَهَا

وأما «جِبْرِيل» كقِنديل فذكر أبو حيان أنها لغة أهل الحجاز. ونقل ابن منظور عن ابن جني: وزن جَبْرَئِيل فَعْلَئِيل، والهمزة فيه زائدة لقولهم: جبْرِيل[٣].

﴿ وَمِيكَنلَ ﴾ [البقرة: ٩٨] قرأها بإثبات همزةٍ مكسورة بعد الألف فياءٍ ساكنة، مع المد

(١) شرح الطيبة للنويري (٢/ ١٧٠).
(٢) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (٣٩، ٤٠).
(٣) ينظر لسان العرب (جبرل)، البحر المحيط (١/ ٥٠٩، ٥١٠)، الكتاب الموضح (١/ ١٥١).

المتصل (مِيكَائِيل).

لغة فيه أيضًا.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [البقرة: ١٠٢] قرأ بتخفيف النون في ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ مع كسرها وصلًا لالتقاء الساكنَين، ورفع ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: (وَلكِنِ الشيَاطِينُ).

على إبطال عمل «لكن»، فهي مخففة من الثقيلة جيء بها للاستدراك، ورُفِع ما بعدَها على الابتداء.

﴿لَرَءُوفٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] قرأها كيف وقعت بقصر الهمزة -أي بحذف الواو بعدها- (لَرَؤُف)، على وزن «فَعُل».

لغة بني أسد، وهي لغة فاشية في أهل الحجاز، وهي الغالبة عليهم[(١)] بوزن «يَقُظ».

﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤] بتاء الخطاب.

قال أبو حيان -بتصرف يسير-: «يحتمل أن يُرادَ به المؤمنون لقوله: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ويحتمل أن يُرادَ به أهلُ الكتاب فيكون عائدًا على «الذين»، ويكون من باب الالتفات، ووجهُه: أن في خطابهم بأن اللهَ تعالى لا يغفل عن أعمالهم تحريكًا لهم بأن يعملوا بما علموا من الحق؛ لأن المواجهة بالشيء تقتضي شدةَ الإنكار وعِظمَ الشيء الذي يُنكَر، ومن قرأ بالياء فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجيءِ ذلك في نَسَقٍ واحِد من الغيبة، وعلى كلتا القراءتين فهو إِعلامٌ بأن الله تعالى لا يُهمِل أعمالَ العِباد، ولا يغفل عنها، وهو متضمن الوعيد»[(٢)].

وقال الباحث عبد الله الملاحي: «كل قراءةٍ تتضمَّنُ وعدًا ووعيدًا. فعلى قراءة الجمهور «يَعملون» فإن الضمير يعود إلى الذين أوتوا الكِتابَ، فيكون تهديدًا لهم لمخالفتهم، وهذا يستلزِم الوعدَ للمسلمين إن استجابوا بالأجر العظيم، وعلى قراءة

(١) تفسير القرطبي(١/ ٦٤٨)، الكتاب الموضح (١/ ١٥٨).

(٢) ينظر البحر المحيط (٢/ ٢٥، ٢٦).

«تَعملون» فالضمير يعود على المسلمين، وفيه وعدٌ لهم إن امتثلوا أمرَ الله في تحويل القبلة، وهذا يستلزم التهديدَ والوعيدَ لأهل الكتاب إن خالفوا أمرَ الله وأثاروا الشبُهات. وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى أن على المسلمين التمسكَ بأمر الله في تحويل القبلة لما فيه من الخير والأجر العظيم لهم، وعليهم ألا يغتروا بما يثيرُه أعداءُ الإسلام من أهل الكتاب من شبهات حول تحويل القبلة فإن اللهَ سيُجازيهم على أعمالهم في الدنيا والآخرة»[(١)].

وقيل: الضمير على القراءتين لجميع الناس، فيكون وعدًا للمؤمنين ووعيدًا للكافرين.

﴿ وَمَن تَطَوَّعَ ﴾ [البقرة: ١٥٨] قرأها بالياء وتشديد الطاء وجزم العين (يَطَّوَّعْ)، وكذلك في ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ ﴾ [البقرة: ١٨٤].

على أنه فعل مضارع، وأصله «يَتَطَوَّع» فأدغِمت التاءُ في الطاء لتقاربهما، وجُزمت العينُ للشرط، والقراءة بالمضارع تفيد الاستقبال، والمعنى: فمن تطوع فيما يُستقبَل خيرًا فهو خير له، فإنَّ الله شاكر لفعله، عليم به.

والقراءة بالماضي «تَطَوَّعَ» يجوز أن تكون على الشرطية بمعنى الاستقبال أيضًا، ويجوز أن تكون للماضي لفظًا ومعنى، للإخبار لا للشرط، و«مَن» بمعنى الذي، والمعنى: فالذي تطوَّعَ فيما مضى خيرًا فإن اللهَ شاكِرٌ لفعله عليمٌ به[(٢)].

وهنا فائدة لطيفة: وهي أن قراءة الماضي لما كانت تحتمل معنيين: أحدهما الإخبار عمن تَطَوعَ فيما مضى، والثاني أن تكون بمعنى الاستقبال لمن يتطوع مستقبلًا - جاءت قراءةُ «يَطَّوَّع» على الاستقبال لتؤكد هذا المعنى، ولم يكتف بقراءة «يَطَّوَّع» حتى لا يُظنَّ أن من تطَوَّعَ فيما مضى خارج عن هذا، فكانت كل قراءة مكملة لمعنى الأخرى، والله

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وينظر التحرير والتنوير (٢/ ٣٤، ٣٥).

(٢) ينظر الكشف (١/ ٢٧٠).

أعلم[١].

﴿ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ [البقرة: ١٦٤] قرأها بإسكان الياء وحذفِ الألف التي بعدها (الرِّيح)، وكذلك في الأعراف والحجر والكهف والنمل والموضع الثاني بالروم: ٤٨ وفي فاطر والجاثية.

على الإفراد، اسم للجنس، يدل على القليل والكثير، فهو أعَمُّ، كما يُقال: أهلكَ الناسَ الدينارُ والدرهمُ، أي الدنانير والدراهم. قال الكسائي: والعرب تقول: «جاءت الريحُ من كل مكان»، فقولهم: «من كل مكان» وقد وحَّدُوها يدل على أن بالتوحيد معنى الجمع[٢].

وقد قيل: يكثر استعمال الرياح بصيغة الجمع في ريح الخير، وبالإفراد يكثر استعمالُها في ريح الشر، واعتضدوا بحديث: «اللهم اجعلها رياحًا، ولا تجعلها ريحًا»[٣]، والحديث لا يصحُّ، وهذه تفرقة أغلبية، وإلَّا فقد غُيِّر بالإفراد في موضع الجمع والعكس في قراءة كثيرٍ من القراء[٤]، وقد قرأ أبو جعفر -من القراء العشرة- بالجمع في أكثر المواضع في القرآن الكريم.

قال ابن خالويه: «فالحجة لمن أفرد أنه جعلها عذابًا، واستدل بقول النبي ﷺ: «اللهم اجعلها رياحًا لا ريحًا»، والحجة لمن جمع أنه فرَّق بين رياح الرحمة ورياح العذاب، فجعل ما أفرده للعذاب، وما [جمعه] جعله للرحمة»[٥].

وعلى التحقيق يقال[٦]: الريح ليست للعذاب دائمًا، وليست شرًّا محضًا، لقوله

---

(١) اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها - حكمه ودلالته/ مجلة جامعة الشارقة (مجلد ٥/ عدد ١).

(٢) ينظر حجة القراءات لابن زنجلة (١١٨)، الكتاب المُوضح (١/ ١٦٠).

(٣) في ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني (٤٤٦١): ضعيف جدًا، الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي الضعيفة (٤٢١٧).

(٤) الدرر الباهرة (١/ ٧٦).

(٥) الحجة (٩١).

(٦) أفدت ذلك من مواقع علمية على شبكة المعلومات.

تعالى: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢] فوصفها الله بأنها طيبة، ولا يوصف العذاب بأنه طيب.

ولنهي النبي ﷺ عن سب الريح، ففي الحديث: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به»[(١)].

وفي الحديث أيضًا: «لا تسبوا الرِّيحَ، فإنها من روح الله تعالى، **تأتي بالرحمة والعذاب**، ولكن سلوا اللهَ من خيرها، وتعوَّذوا بالله من شرِّها»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا لعَنَ الريحَ عند النبي ﷺ فقال: «لا تلعنِ الريحَ، فإنها مأمورة، وإنه مَن لعنَ شيئًا ليس له بأَهْلٍ رجعتِ اللعنةُ عليه»[(٣)]، وفي لفظ عند أبي داود: إنَّ رجلًا نازعته الريحُ رداءَه على عهد النبي ﷺ فلَعَنَها، ثم ذكر الحديث.

وعن أم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريحُ قال: «اللهم إني أسألك خيرَها، وخيرَ ما فيها، وخيرَ ما أُرسِلَتْ به، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ ما فيها، وشرِّ ما أُرسِلَتْ به»[(٤)].

وكان النبي ﷺ إذا اشتدَّ الريحُ قال: «اللهم لَقحًا لا عَقيمًا»[(٥)].

وفي هذا دليل على أن الريح قد تأتي بالخير، وأنها ليست شرًّا محضًا.

﴿خُطُوَٰتِ﴾ [البقرة: ١٦٨] بإسكان الطاء حيث وقع في القرآن الكريم (خُطْوَات).

للتخفيف، على لغة تميم وأسد وعامة قيس، لاستثقالهم الضمتين بعدهما واو في

(١) رواه الترمذي (٢٢٥٢)، وأحمد في المسند (٢١٠٣٧)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٥).

(٢) صحيح الجامع (٧٣١٦): أحمد في المسند، وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٨)، وأبو داود (٤٩٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٤٧).

(٤) رواه مسلم (٨٩٩).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٨)، والحاكم في المستدرك (٧٧٧٠/ ٩٢) عن سلمة بن الأكوع، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني (٢٠٥٨)، وحسنه في صحيح الجامع (٤٦٧٠).

كلمة واحدة، والضم لغة الحجازيين.

قيل: الأصل الإسكان وأتبع، أو الضم وأسكن تخفيفًا كالرسُل والرسْل[١].

﴿مِن مُّوصٍ﴾ [البقرة: ١٨٢] قرأها بفتح الواو وتشديد الصاد (مُّوَصٍّ).

اسم فاعل من «وَصَّى»، قيل: وَصَّى وأَوصَى لغتان. قال مكي: لكن في التشديد معنى التكرير والتكثير.

وقال الدكتور الزهيري: «هُما لغتان كما قال ابنُ جرير، أو يُقال: قراءة «موَصٍّ» فيمن أوصى بمال كثير أو بوصايا كثيرة، وقراءة «مُوصٍ» فيمن أوصى بمال قليل، والقراءتان لبيان حُرمةِ الظلم ولزوم النصح عند خوفِ الظلمِ سواءٌ أكان المال الموصَى به قليلًا أم كثيرًا»[٢].

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾، ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾، ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] قرأ بحذف الألف في الأفعال الثلاثة، مع فتح حَرف المُضارَعة وإسكان القاف، وضم التاءِ بعدها في الأوَّلَيْن (وَلا تَقْتُلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيه فَإِن قَتَلُوكُمْ).

أي: لا تأخذوا في قتلهم حتى يأخذوا في قتلكم، أو: ولا تقتلوا بعضَهم حتى يقتلوا بعضَكم، فإن قتلوا بعضَكم...، يُقال: قتَلَنا بنو فلان، يريد: قَتَلوا بعضَنا، وقال:

فـإن تقتُلونَـا نُقَتِّـلكم وإن تَفْصِـدُوا الدَّم نفْصِـدِ[٣]

وقد عبَّر عن الفِعل الواقع على بعضهم بالفعل الواقع عليهم جميعًا، ولهذا الملمح قيمتُه البالغة في تصويرِ تلاحمِ المسلمين في وجه قوى العدوان؛ فهم كالجسد الواحد، وهم -فيما كانوا- يد واحدة على من عاداهم أو اعتدى عليهم حتى في ذلك الحرم

(١) شرح الطيبة للنويري (٢/ ١٦٥، ١٦٦).
(٢) الدرر الباهرة (١/ ٨٢).
(٣) ينظر البحر المحيط (٢/ ٢٤٤، ٢٤٥).

الآمن أو الشهر الحرام[١].

ويروى أن الأعمش قال لحمزة: أرأيت قراءتك إذا صار الرجل مقتولًا فبعد ذلك كيف يكون قاتلًا لغيره؟ فقال حمزة: إن العرب إذا قُتِل رجل منهم قالوا قُتِلنا، وإذا ضُرِب رجل منهم قالوا ضُرِبنا.

﴿ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] قرأبفتح التاء وكسر الجيم (تَرْجِعُ الأُمُورُ)، وكذلك حيث وقع.

على البناء للفاعل، من «رجعَ» اللازم، و«الأمورُ» فاعل، كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٣].

﴿ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٩] قرأها بالثاء المُثَلَّثَة بدل الباء الموحدة (كَثِير).

من الكثرة حملًا على المعنى، وذلك أن الخمر تُحدِث مع شُربِها آثامًا كثيرة مِن لَغَط وتخليط وسبٍّ وأيمان، وعداوة وخيانة، وتفريط في الفرائض، وفي ذكر الله، وفي غيرِ ذلك، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ٩١].

وأيضًا يمكن اعتبار الكثرة بالآثمين من الشاربين والمُقامِرين فلِكُلِّ واحدٍ إثم، أو باعتبارِ ما يترتبُ على تعاطيهما من توالي العقاب وتضعيفه، أو باعتبار ما يترتبُ على شُربها مِمَّا يصدرُ من شاربِها من الأقوال السيئة والأفعال القبيحة، أو باعتبار مَن يُزاوِلُها من لَدُن كانت عِنبًا إلى أن شُرِبَت، فقد لعن رسولُ الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرَها، ومُعتصِرَها، وشاربَها، وحامِلَها، والمحمولة إليه، وساقيَها، وبائِعَها، وآكِلَ ثمنِهَا، والمشتري لها، والمُشتَرَاة له[٢]، فناسبَ ذلك أن يُوصَف إثمُها بالكثرة، أو باعتبارِ جميع ذلك، وأيضًا فإن قوله تعالى: ﴿إِثْمٌ﴾ مقابل لـ ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾، و«مَنافِع» جمع، فناسب أن توصف مقابلةً بمعنى الجَمعِيَّة وهو الكثرة، واللهُ تعالى أعلم.

---

(١) التوجيه البلاغي (٧٢، ٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٩٥)، وابن ماجة في الأشربة (٣٣٨١)، وهو صحيح فيه على حكم الألباني.

﴿ يَطْهُرْنَ ﴾[البقرة: ٢٢٢] قرأها بفتح الطاء والهاء مع تشديدهما (يَطَّهَّرْن).

مضارِع «تَطَهَّرَ»، والأصل «يَتَطَهَّرْن» فأدغِمت التاءُ في الطاء لاتحاد المخرج، قال ابنُ أبي مريم: «معناه: يتطهرن بالماء، وأراد الاغتِسَالَ؛ لأنهُن ما لم يغتسِلنَ فهُن في حُكم الحُيَّض في كثير من الأشياء[1]، ويُؤيد ذلك أنهم أجمعوا على «تَطهَّرْنَ» في قولِه: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فكما أن ذلك لا يكون إلا الاغتِسال، فكذلك ينبغي أن يكون معنى هذا أيضًا».ا.هـ[2].

وأيضًا فإن «تطَهَّرن» قالوا: وهي على وزن «تفَعَّلن» فيجب أن يكون لها فِعل، وفِعلُها إنما هو الاغتسال؛ لأن مجرد انقطاع الدم ليس من فعلها.

قال الدكتور الزهيري: «قراءة شعبة وحمزة والكسائي «**حَتى يَطَّهَّرن**» تدل على لزوم الغسل؛ فإن التشديد يفيد ذلك، وعليه فقراءة «**يَطَّهَّرن**» بالتشديد فائدتها الدلالة على أن الطهارة اللازمة هي الغسل الكامل، وليس مجرد غسل الفرج، وأما قراءة «يَطْهُرْنَ» بالتخفيف ففيها فائدتان:

أ- الدلالة على أن الغسل لا ينفع الحائض حتى تطهر وينقطع دمُ حيضها.

ب- الدلالة على أنها إذا انقطع دمُ حيضها -وإن لم تغتسل- تكون قد خرجت من حكم الحائض إلا فيما دل دليل آخر على خلافه، فمثلًا لو وطئها زوجُها بعد انقطاع الدم وقبلَ الغسل أَثِم، ولكن لا تجب عليه كفارةُ إتيان الحائض، وكذا يصح صومُها إن انقطع الدمُ قبل الفجر وإن لم تغتسل، وكذا يصح طلاقُها وإن لم تغتسل، فأكرم بحلاوة القرآن!

قال الآلوسي: لا تعارض بين القراءتين لأن انقطاع الدم غاية لحرمة وطء الحائض باعتبار آخره، فيكون وقت الانقطاع داخلًا فيها، والاغتسال غاية لها باعتبار أوله،

---

(١) ككونها ممنوعة من الصلاة والتلاوة، وأن لزوجها أن يراجعها إذا كانت مُطلقة فانقطع الدمُ ولم تغتسل، كما كان له أن يُراجعها قبل انقطاع الدم. الكتاب الفريد (١/ ٥١٠)

(٢) الكتاب الموضح (١/ ١٧٣)، وللمزيد ينظر أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهيَّة (٩٥: ١١٤).

ولعل فائدة بيان الغايتين بيان مراتب حرمة القربان، فإنها أشدُّ قبلَ الانقطاع مما بعده»[(١)].

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ [البقرة: ٢٢٩] قرأها بضم الياء (يُخَافَا).

على البناء للمفعول، و«أن يُقيمَا» بدلٌ من ألف الضمير في ﴿يَخَافَآ﴾ لأنه يحِل محله، تقديره: «إلا أن يُخافَ عدمُ إقامتِهما حُدودَ الله»، وهو من بدل الاشتمال، كقولك: خِيفَ زيدٌ تركُه إقامةَ حدودِ الله، وكان الأصل: إلا أنَ يخاف الحاكمُ أو الوُلاةُ الزوجَيْن ألا يقيما حدود الله، فحُذِفَ الفاعِلُ الذي هو «الولاةُ» للدلالة عليه، وقام ضمير الزوجين مقامَ الفاعل، وبقِيَتْ «أن» وما بعدَها في محل رفع بدَلًا، وهذا المعنى مُتأكد بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، ولم يقُل: «خَافا»، فجَعَلَ الخوفَ لغيرهما.

قال مكي بن أبي طالب: «بنى الفعلَ للمفعول، والضمير في «يُخافا» مرفوع لم يُسَمَّ فاعلُه، يرجع للزوجين، والفاعل محذوف، وهو الولاة والحكَّام، والخوف بمعنى اليقين، وقيل: بمعنى الظن، وقد أُلزِم من قرأ بضم الياء أن يقرأ: «فإن خِيفَا»، وهذا لا يلزم؛ لأن مَن قرأ بفتح الياء يلزمُه أيضًا أن يقرأ: «فإن خافا»، ولكنه في القراءتين جميعًا حسنٌ من باب الخروج من الغيبة إلى الخِطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، وكقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهو كثير»[(٢)].

وقال الدكتور الزهيري: «في الآية على القراءتين التفاتٌ من الخِطاب إلى الغيبة، فعلى قراءة الجمهور «يَخافا» بفتح الياء يكون التقدير: «ولا يحلُّ لكم أيها الأزواجُ أن تأخذوا مما آتيتم أزواجَكم من المهور شيئًا، لكن إن خاف الزوجُ والزوجةُ ألَّا يُقيما حدودَ الله فلا جُناحَ عليهما فيما افتدت به الزوجةُ»، وعلى قراءة حمزة «يُخافا» بضم الياء يكون التقدير: «ولا يحِلُّ لكم أيها الأزواجُ أن تأخذوا مما آتيتم أزواجَكم من المهور

(١) الدرر الباهرة (١/ ٩٨).

(٢) الكشف (١/ ٢٩٥).

شيئًا، لكن إن خاف الوُلاةُ ألَّا يُقيمَ الزوجُ والزوجةُ حُدودَ الله فليُمضوا الخلعَ، ولا جُناحَ على الزوج والزوجة فيما افتدت به الزوجةُ»، ويصحُّ أن يكون التقديرُ: «لكن إن خافَ الوُلاةُ على الزوجَينِ ألَّا يُقيما حدودَ الله ... إلى آخره»، فعلى قراءة الجمهور: يجوز الخُلعُ من غير سُلطانٍ ولا قاضٍ؛ وهذا محمول على ما لو [تراضَيا] الزوجان فيما بينهما، وعلى قراءة حمزة: لا يجوزُ الخُلعُ من غير سُلطانٍ أو قاضٍ؛ وهذا محمول على ما لو تنازعَ الزوجان ولم يتَّفِقا، ويحتمل في قراءة حمزة أن يكون التقديرُ: «ولا يحلُّ لكم أيها الأزواجُ أن تأخذوا مما .... لكن إن خِيفَ من الزوجين ألَّا يُقِيمَا حدودَ الله فليمضِ أولياؤهما الخلعَ ولا يمنعوه، ولا جُناحَ على الزوج والزوجة فيما افتدت به الزوجةُ»»[(١)].

وقال القرطبي عن قراءة حمزة: «وفي هذا حُجَّة لمن جعل الخُلعَ إلى السلطان»[(٢)].

﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦ ، ٢٣٧] قرأ بضم التاء، وإثبات ألِف بعدَ الميم مع المد المشبع للساكن اللازم (تُمَاسُّوهُنَّ)، وذلك في جميع القرآن.

قال الراغب في المفردات: «... كُنِّيَ به عن النكاح، فقيل: مسَّها وماسَّها».

و«تُماسُّوهن» مِن المُفاعَلة، يحتمل أن تكون على بابها مِن المُشارَكة، فإن بَدَنَ كلِّ واحدٍ منهُما يمسُّ بدنَ صاحبه ويتماسَّان جميعًا، وقد جاء قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾[المجادلة: ٣] فوقع الفعلُ لهما كذلك، وأيضًا فإن الفعلَ من الرجل والتمكينَ من المرأة، ولذلك قيل لها زانية، ويحتمَل أن يكون «فاعَلَ» هنا بمعنى «فَعَلَ»، فتكون «تُماسّوهن» بمعنى «تمسُّوهن»، من باب طارَقَ النعْلَ أي: طرقَه، وعافاه الله، وعاقبَ اللصَّ، وهو كثير، والله تعالى أعلم[(٣)].

---

(١) الدرر الباهرة (١/ ١٠٠).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٠٥٠)، وللمزيد يُنظر: الدر المصون (١/ ٥٥٩: ٥٦١)، البحر المحيط (٢/ ٤٧١: ٤٧٣)، أثر اختلاف القراءات (٢٩٤: ٣٠٦).

(٣) ينظر الدر المصون (١/ ٥٨١، ٥٨٢)، الكتاب الموضح (١/ ١٧٥)، مفردات ألفاظ القرآن/ مادة (مسس).

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قرأ برفع الفاء (فَيُضَاعِفُهُ)، وكذلك بسورة الحديد.

عطفًا على ﴿يُقْرِضُ﴾ وهو صِلة ﴿ٱلَّذِى﴾، والتقدير: يقرِضُ فيضاعِفُ، أو مرفوع على الاستئناف، أي فهو يضاعفُه، «هو»: مبتدأ، وجملة «يضاعِفُه»: خبر.

﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قرأها خَلفٌ بالسين فقط، وقرأها خلاد بالسين والصاد.

القراءة بالسين على الأصل (بَسَطَ يبسُطُ بَسْطًا)، والقراءة بالصاد تيسيرًا؛ لأن الصاد أخت الطاء، فقلبت السين صادًا ليكون اللسان من جهة واحدة، ولا يُنتقل من السين المستفلة إلى الطاء المطبقة المستعلاة.

﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرأ ﴿أَعْلَمُ﴾ بهمزة وصل مع سكون الميم (قالَ اعْلَمْ)، وإذا ابتدأ بـ(اعْلَمْ) بدأ بالهمزة مكسورة.

أمرًا من العِلم، والآمِرُ هو الله سبحانه وتعالى، أو الـمَلَك القائل له عن الله، فهو موافق لسائر ما قبله من قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ و﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ و﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾، وكذلك أيضًا قوله: «اعْلَمْ أنَّ الله» إذ كان في سياق ذلك.

وعليه فإن الجمع بين القراءتين يُبيِّن لنا استجابَته لأمر الله سبحانه، فقد قال الله تعالى له: «اعْلَم»، فبادر هو إلى القول: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أو خاطَبَ هو نفسَه لَمَا علِمَ العِلمَ الذي لا طريق للشبهة عليه، وهذا يَؤولُ معناه إلى الخبر، كأنه يُحقق عند نفسه هذا العلمَ، فلما تبين له ذلك نزَّلَ نفسَه منزلةَ غيرِه، فخاطبها كما يُخاطِب غيرَها، فقال: (اعلمْ أنَّ الله على كُل شَيء قَدير)، وهذا مما تفعله العرب، كقول الشاعر:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكبَ مُرْتَحِلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

﴿فَصُرْهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٦٠] بكسر الصاد (فصِرْهُنَّ).

قال مكي: «وحُجَّة من كسر أنها لغة معروفة، يُقال: صارَه إذا أماله، وصاره إذا قطعه، يُقال: صِرت الشيء أملته، وصرته قطعته. يُقال: صَارَ يصِير، ويصار يصور.

وحُجَّة من ضَمَّ الصاد أنه أتى به على لغة من قال: صار يَصُور، على معنى: أَمِلْهُنَّ، وعلى معنى: قطعهن، فإذا جعلته بمعنى أملهن كان التقدير: أملهن إليك فقطعهن، وإذا جعلته بمعنى قطعهن كان التقدير: فخذ أربعة من الطير إليك فقطعهن، فكل واحد من الكسر والضم في الصاد لغة في الميل والتقطيع، فالقراءتان بمعنى[(١)]. وقد قيل: إن الكسر بمعنى: قطعهن، والضم بمعنى: أَمِلْهُن وضُمَّهن»[(٢)].

وعلى التفريق في المعنى بين القراءتين يقول الدكتور الخراط: «... يتبينُ مما تقدَّم أن قراءةَ «فصُرهنَّ» أفادت الطلبَ من إبراهيم عليه السلام أن يميل الطير إليه، ويوجهها إليه، ويضُمَّها، وهذه هي المرحلة الأولى من العملية التي قام بها النبيُّ الكريم.

أما قراءة الكسر فالتقدير فيها: فخذ أربعةً من الطير فصِرْهن، أي: قَطِّعْهُنَّ، وشقِّقْهُنَّ، ومزِّقْهُنَّ...

نخلص مما تقدَّمَ أن قراءة «صِرهن» تُنبئك عمَّا بعد الإمالة من التقطيع، وهذا هو الذي فعله إبراهيم عليه السلام بعدَ أن أمال إليه الطيرَ، فقطَّعهنَّ وفق ما طلبَ الله منه. ومن هنا فإنَّ مَن لا يجمعُ بين القراءتين يضطرُّ إلى تقدير ما حُذِفَ من المعنى لدى كُلِّ قراءة: ففي قراءة ضمِّ الصاد سوف يُقَدِّر بعد قوله: ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ ثم قطِّعهُنَّ، ويتابع قراءَته: ﴿ ثُمَّ ٱجْعَلْ ﴾، وفي قراءة كسر الصاد سوف يُقدِّر أوَّلًا: فأمِلْهُنَّ.

وهكذا وجدنا أنَّ كلًّا من القراءتين تكمل إحداهما الأخرى في الوصول إلى المعنى المنشود؛ إذ تبدأ العمليةُ بإمالة الطير إلى إبراهيم عليه السلام، وتوجيهها نحوه، ثم يَعقُبُ ذلك مباشرةً التقطيعُ، فتوزيعُ الأجزاء على كل جبل...

فالجمع بين القراءتين جعلَنا نستكملُ حلقات المعنى، وقد كان الفرقُ بينهما في حركة الصاد وتغيُّرها من الضم إلى الكسر. أليسَتْ كُلُّ قراءةٍ من القراءتين آيةً قائمة

---

(١) نُسب الكسر إلى أهل الحجاز، والضم إلى تميم وقيس وأسد وبكر، ونسب الفراءُ الكسرَ إلى هُذَيل وسُلَيم. ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٤، ١٢٥)، معاني القرآن (١/ ١٧٤)

(٢) الكشف (١/ ٣١٣).

برأسها؟»[1].

﴿ بِرَبْوَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] قرأها بضم الراء (بِرُبْوَةٍ)، وكذلك بسورة المؤمنون.

«رَبْوَة» بفتح الراء لغة تميم، وبضمها لغة قريش، وهو أشهر اللغات وأكثرها، وفي الكلمة لغات: رَبْوَة، ورُبْوَة، ورِبْوَة، ورَبَاوَة، ورُبَاوَة، ورِبَاوَة، ورَبْو، ورباة، ورَبَاء، كل ما ارتفع من الأرض ورَبَا، وفعله: رَبَا يَرْبُو، والربوة المكانُ المرتفِع[2].

وقال ابنُ عاشور: «تخصيص الجنة بأنها في ربوة لأن أشجار الرُّبَى تكون أحسنَ منظرًا وأزكى ثمرًا».

﴿ فَنِعِمَّا ﴾ [البقرة: ٢٧١] قرأ بفتح النون (فنَعِمَّا).

على الأصل؛ لأن الأصل «نَعِم» مثل «عَلِم وشَهِد».

﴿ وَيُكَفِّرُ ﴾ [البقرة: ٢٧١] قرأ بنون العظَمَة وجزم الراء (وَنُكَفِّرْ عَنكُم).

عطفًا على جواب الشرط الذي هو في محل جزم، إذ لو ذُكِر فِعلٌ في جواب الشرط لكان مجزومًا نحو: وإن تُخفوها يكنْ ذلك خيرًا لكم ونكفرْ عنكم.

والقراءة بالجزم تفيد تخصيص التكفير بالإخفاء؛ لأنها معطوفة على جواب الشرط الثاني ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، ويكون الوقف على ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[البقرة: ٢٧١] حسنًا، فيمكن الوقف عليه، ولكن لا يُبدأ بما بعده.

قال الداني: «ومن قرأ «ويكفر» بالجزم لم يقف على «فهو خير لكم»؛ لأن «ويكفر» معطوف على موضع الفاء من «فهو» فلا يقطع من ذلك»[3].

﴿فَأْذَنُواْ ﴾ [البقرة: ٢٧٩] قرأ بفتح الهمزة، وإثبات ألف بعدها، وكسر الذال (فآذِنُوا).

من آذَنَهُ بكذا أي أعْلَمَه، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[الأنبياء: ١٠٩]،

(١) الإعجاز البياني بتصرف (٢٣٧: ٢٣٩).
(٢) لسان العرب (مادة ربا)، التفسير الكبير (٣/ ٦٠٥)، الكتاب الفريد (١/ ٥٧٨).
(٣) المكتفى (٥٥).

والمعنى: أعلِمُوا غيرَكم، أُمر المخاطبون بترك الربا أن يُعلِموا غيرَهم ممن هو على حالهم في المقام بالربا بمحاربة الله ورسوله ﷺ، فالمفعول هنا محذوف، وإذا أعلموا غيرَهم فهم عالِمون، فهو أبلغ، فإذا كنتَ على حالة فقلتُ لك: «يا فُلان أعلِم فلانًا أنه مرتكِبٌ قبيحًا»، وهو شيءٌ مُماثِل لما أنت عليه علِمتَ قطعًا أنك مأمورٌ به أيضًا، بل هو أبلغ من أمري لك مُواجهة، وفي القراءة بالمد فائدة أن هذه الحرب لكل مَن أكل الربا، وليست خاصة بهؤلاء المخاطَبين فقط.

يقول الدكتور الخراط: «وفي هذا التبليغ إشارة لإحياء رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الخطر الناجم عن جريمة الرِّبا الذي يلحق المجتمعات؛ إذ إن خطر هذه الجريمة لا يقف عند مَن يرضى لنفسه أن يرتكس في حمأته، ومن هنا ينبغي إعلام الآخرين بما يصيب المجتمعَ كله، وفي هذا الإعلام تنمية لرسالة الشعور بخطر فشو هذه الجريمة في المجتمع المسلم».

وقال الطبري وابن زنجلة: أي فأعلِمُوا غيرَكم وأخبروهم بأنكم على حربهم.

وقال ابن عطية: ««فآذِنوا» بالمد فالمعنى أنفسَكم وبعضَكم بعضًا، وكأن هذه القراءة تقتضي فسحًا لهم في الارتياء والتثبيت، أي: فأعلموا نفوسَكم هذا ثُمَّ انظروا في الأرجح لكم: ترك الربا، أو الحرب».

وأما القراءة بالقصر ﴿فَأْذَنُواْ﴾ فمن أَذِنَ به، أي: عَلِمَ، والمعنى: فاعلموا ذلك واستيقنوه، وكونوا على عِلم وإذن من الله لكم بذلك. ومن دلالات هذه القراءة طلب اليقين بحرب من الله ورسوله، وفيها توجيه رسالة للمخاطبين، وبيان خطر تجاوزها، والاستهانة بها.

يقول الدكتور الخراط: «وهكذا تشترك القراءتان في تبليغ رسالة التنبيه على خطر الرِّبا، فتخاطب قراءةُ القصر الفردَ، في حين تُخاطب قراءةُ المد المجتمعَ؛ إذ يتعدَّى أثرُ الربا الفردَ، فلا مناصَ من تبليغ رسالة خطرِه الآخرين ليحذروا منه، والفرق بين

القراءتين همز الفعل ومده فحسب، وكل قراءة بمنزلة آية»[(١)].

﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] قرأها بتشديد الصاد (تَصَّدَّقوا).

على أن الأصل «تتصدقوا» فأدغمت التاء الثانية في الصاد لقُرب المخرجَين، والمعنى واحد، وقال مكي: «لكن في التشديد معنى التكثير»[(٢)].

﴿أَن تَضِلَّ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قرأ بكسر الهمزة (إِن تَضِلَّ)، وقد انفرد حمزة بكسرها.

«إن»: حرف شرط، و«تضل»: فعل الشرط مجزوم، والأصل «تضْلِلْ»، فلما أُدغمت اللامُ في اللام فتحت لالتقاء الساكنَين؛ والفتحة أخفُ الحركات، كقوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ ﴾ [المائدة: ٥٤]، ففتحة اللام على هذه القراءة فتحة بناء لالتقاء الساكنين.

وبكسر الهمزة يكون الوقف على ﴿ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] كافيًا، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده. قال الأشموني: ««من الشهداء» كافٍ إن قرئ «إِن تضل» بكسر الهمزة على أنها شرطية، وجوابها «فتذكر» بشد الكاف ورفع الراء استئنافًا»[(٣)].

﴿فَتُذَكِّرَ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قرأ برفع الراء (فتذَكِّرُ)، وقد انفرد حمزة بهذا أيضًا.

على أنه جواب الشرط فيكون مرفوعًا لدخول الفاء، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]، وكما تقول: إن تضربْ زيدًا فيضربُك، بالرفع، أي فهو يضربُك، ويكون موضعُ الفاء وما دخلت عليه الجزمَ، وما بعد الفاء في الآية مستأنَف، والتقدير: فهما تذكرُ إحداهما الأخرى، أو: فهي تُذكِّرُها الأخرى.

﴿ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً ﴾ [البقرة: ٢٨٢] برفع التاء فيهما (تِـجَـارَةٌ حَاضِرَةٌ).

على أن «كانَ» تامَّة، أي: إلا أن تحدثَ أو تقعَ تجارةٌ، فـ«تجارة» فاعِل، وعلى هذا تكون جملة «تدِيرُونها» في محل رفع صفة لـ«تجارة» أيضًا، أو تكون «كانَ» ناقصة، واسمها «تجارة»، والخبر جملة « تدِيرُونها»، كأنه قيل: إلا أن تكون تجارةٌ حاضرةٌ مُدارةً،

(١) الإعجاز البياني (١١٥).
(٢) الكشف (٣١٩).
(٣) منار الهدى (١٤٨).

وساغ مجيءُ الاسم نكرةً لكونه موصوفًا.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٨٤] قرأ بجزم الراء في (فيَغْفِرْ)، والباء في (وَيُعَذِّب).

عطفًا على فعل الجزاء وهو ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وفي هذا مُشاكَلة لما قبلهما، وعليه فلا يفصل بين ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ وبين ما بعده بالوقف[(١)].

وأما القراءة بالرفع فعلى الاستئناف، أي: فهو يغفرُ.

وعن تعدد المعاني باختلاف القراءتين يقول محمد الجمل: «وليس الأمرُ بتعدد وجوه الإعراب هذه من قبيل الفذلكة في النحو. إن تعدد المعاني هنا تشير إليه وجوه الإعراب المتعددة. فالقراءةُ على الاستئناف المرفوع «فيغفرُ» تشير إلى إسناد المغفرة إليه دون غيره -تعالى- بعد تمام الحساب، ولذلك كان التقدير: فهو -لا غيره- يغفرُ لمن يشاء، ويعذبُ من يشاء .

والقراءةُ بالجزم عطفًا على المجزوم «يحاسبْكم» تهدف إلى إبراز ما تشير إليه الفاءُ من مباشرة وتعقيب، ودون تراخٍ، وذلك من أجل إدخال الطمأنينة في نفوس المؤمنين، فكأن الآيةَ تخبرُهم بأن الله سيغفرُ لمن يشاء عقب الحساب مباشرة دون أن يطول الزمنُ بين الحساب والمغفرة»[(٢)].

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] قرأ بكسر الكاف وفتح التاء وألف بعدها (وَكِتَابِهِ).

على أن المرادَ القرآن الكريم، ثم إن الإيمان به يستلزم الإيمانَ بجميع الكتب والرسل.

أو أنه بالإفراد على معنى الجنس، فيوافق معنى الجمع، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ

(١) ينظر منار الهدى (١٥٠)، المكتفى (٥٦).
(٢) الوجوه البلاغية (٤٧٩، ٤٨٠).

ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال الرازي: «فإن قيل: اسمُ الجنس إنما يفيد العموم إذا كان مقرونًا بالألف واللام، وهذه مضافة. قلنا: قد جاء المضاف من الأسماء ونعني به الكثرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وهذا الإحلال شائعٌ في جميع أنواع الصيام».

وقال الدكتور الزهيري: «قراءة الإفراد تفيد تخصيص الكتاب -القرآن- بالإيمان، وهو كذلك، فأتباع محمد ﷺ يؤمنون بالقرآن إجمالًا وتفصيلًا، ومُتعبَّدون بالعمل بما فيه، بينما يؤمنون بالكتب السابقة إجمالًا دون تعبد بما فيها إلا ما دلَّ عليه شرعُنا وكتابنا، كما أن في قراءة الإفراد إشارةً لمزيد فضل القرآن على سائر الكتب المنزلة من السماء، والله أعلم»[1].

سورة آل عمران

﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢] قرأ بياء الغيبة فيهما (سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ).

وذلك لأنهم غُيَّبٌ حين أمر الله نبيه بالقول لهم، وهم اليهود، وقيل: هم المشركون، وكلاهما غائب، وقد جاء على مثل هذا في القرآن قولُه تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، و﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ ﴾ [الجاثية: ١٤]، و﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

فالقراءة بالتاء أمرٌ بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغَلَبة والحشر إلى جهنم، ويواجههم بذلك، والقراءة بالياء أمرٌ بأن يحكي لهم.

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ ﴾ [آل عمران: ٢١] قرأ بضم الياء وفتح القاف مع أَلِفٍ

(١) الدرر الباهرة (١/ ١٢٦)، وينظر التفسير الكبير للرازي (٤/ ٤١، ٤٢).

بعدها وكسر التاء (وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ)، وقد انفرد حمزة بهذا، وأمَّا ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٢١] فقرأها كحفصٍ وغيره.

على أنه من المُقاتَلة فيكون من الجانِبَين، أو أن «فَاعَلَ» هُنا بمعنى «فَعَلَ» فتكون القراءتان بالمعنى نفسه، والله تعالى أعلمُ.

قال الدكتور الزهيري: «القراءتان متواترتان، وهما مُتكاملتان، فقراءة «يُقاتِلون» مع قراءة «يَقتلون» تفيدان حرصَ هؤلاء المجرمين الكافرين على قتلِهم للذين يأمرون بالقسط من الناس سواءٌ في القِتال أو في غير قتال، وتدلُّ قراءةُ «يُقاتِلون» كذلك على مشروعية قتال الدعاة الآمرين بالقسط لهؤلاء المجرمين الكافرين -وذلك إن لم تُخشَ المفسدة أو كانت المصلحةُ أعظم- كما تدل على أن الجهاد في سبيل الله أمرٌ بالقسط في الحقيقة»[(١)].

وقال الباحث عبد الله الملاحي: «وبالجمع بين القراءتين نجِدُ أن العقوبة حاصلة سواء ترتب عليها إزهاق روحٍ -وهو القتل-، أو لم يترتب عليها ذلك، **وفي هذا تهديد ووعيد لمن يُحارب دينَ الله وأولياءَه**»[(٢)].

﴿فَنَادَتْهُ﴾ [آل عمران: ٣٩] قرأ بألِف مُمَالة بعد الدال (فنَادَاهُ).

على التذكير؛ لأن الفاعل -وهو «الملائكة»- جمع تكسير، مؤنث غير حقيقي التأنيث، فيجوز تذكير الفعل باعتبار الجمع كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، وتأنيثه باعتبار الجماعة، ومما يُحسِّنُ تذكيرَ الفعل هنا تقدمُه والفصل بالمفعول -وهو الضمير المتصل- بينه وبين الفاعل.

وقال ابنُ زنجلة وغيره: ذكر الفعل للمعنى؛ لأن الذي ناداه هو جبريل، والتقدير: فناداه الـمَلَك، فأخرج الاسم الواحد بلفظ الجمع، عَبَّر عن جبريل عليه السلام

(١) الدرر الباهرة (١/ ١٣٤).
(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١/ ٢٧٢).

بالملائكة إذ هو اسمُ جِنسِه[(١)].

وقال السمين: «والجمهور على أن «الملائكة» المراد بهم واحدٌ وهو جبريل. قال الزجاج: أتاهُ النداءُ من هذا الجِنس الذين هم الملائكة، كقولك: «فلان يركب السفن» أي: هذا الجِنس، ومثله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وهم نعيم بن مسعود، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني أبا سُفيان، ولما كان جبريل رئيسَ الملائكة أخبر عنه إخبار الجماعة تعظيمًا له. وقيل: الرئيس لا بد له من أتباع، فلذلك أخبر عنه وعنهم، وإن كان النداءُ إنما صدَرَ منه، ويؤيد كونَ المنادِي جبريلَ وحدَه قراءةُ عبدِ الله -وكذا في مصحفه-: «فناداه جبريلُ»، والعطف بالفاء في قوله: «فنادته» مُؤذِنٌ بأن الدعاء معتقب بالتبشير»[(٢)].

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٩] قرأ بكسر الهمزة (إِنَّ).

على إضمار القول؛ لأن همزة «إنَّ» تكون مكسورة بعد القول، كأنه قال: فنادته فقالَتْ: إن الله يبشرك، فحُذِف، وهذا عند البصريين، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤] أي يقولون: سلام، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي يقولون: أخرِجوا، وعند الكوفيين لا إضمارَ لأن النداء يجري مجرى القول في الحكاية فكُسِرَت الهمزة بـ «نَادَاهُ الملائكة» لأن معناه: قالت له[(٣)].

و(يَبْشُرُكَ) بفتح حرف المضارعة وإسكان الباء وضم الشين مخففة، وكذلك في ﴿يُبَشِّرُكِ ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وكذلك في التوبة والإسراء والموضع الأول بالحجر والكهف والشورى وموضعي مريم.

من «بَشَرَ» الثلاثي. يُقال: بَشَرَه يَبْشُرُه بَشْرًا، من البِشْرِ بمعنى التبشير، فهما لغتان.

---

(١) ينظر حجة القراءات لابن زنجلة (١٦٢)، الحجة لابن خالويه (١٠٨)، المحرر الوجيز (١/ ٤٢٨).
(٢) الدر المصون (٢/ ٨١).
(٣) انظر الكتاب الموضح (١/ ٢٠٠)، الدر المصون (٢/ ٨٢).

قال الطبري في معناه: إن الله يَسُرُّك بولَد يهبه لك، من قول الشاعِر:

بَشَرْتُ عيـالي إذ رأيـتُ صَـحِيفةً أَتَتْك مـن الحَجَّـاجِ يُـتلَى كِتابُهَـا

قال: وقد قيلَ: إن «بَشَرت» لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش، وإنهم يقولون: «بشَرتُ فلانًا بكذا، فأنا أبشُره بَشْرًا» و«هل أنت باشِرٌ بكذا؟».

ونُسِب «بَشَّر» بالتشديد لأهل الحجاز[(١)]، ولتميم[(٢)].

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ [آل عمران: ٤٨] قرأ بنون العظمة (وَنُعَلِّمُهُ).

على إخبار الله تعالى عن نفسه، وهو من باب الالتفات، خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم لما في ذلك من الفخامة - تبارك ربُّنا وتعالى.

وجاء في التوجيه البلاغي: «فقيمة الالتفات إلى التكلم في الآية الكريمة أنه يُضيف إلى تفرُّدِ الخلقة -التي مازَ اللهُ بها عيسى عليه السلام من سائر البشر- نوعًا آخر من الخصوصية؛ إذ يصنعه اللهُ سبحانه على عينه ويتفرد بتعليمه، لإظهار بركته، تبشيرًا لأمِّه مريم وجبرًا لقولها: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ... ﴾ [آل عمران: ٤٧] وإزاحةً لما أهمَّها من خوف اللوم عندما أُخبِرَت أنها ستلِد من غير زواج»[(٣)].

﴿ فَيُوَفِّيهِمْ ﴾ [آل عمران: ٥٧] بنون العَظَمة (فنُوَفِّيهِم).

على إخبار الله تعالى عن نفسه، بالنون الدالة على المتكلم المعظم شأنه، ولم يأتِ بالهمزة كما في الآية التي قبلها: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٦] ليُخالِفَ في الإخبار بين النسبة الإسنادية فيما يفعله بالكافر وبالمؤمن كما خالف في الفعل، لأن المؤمن العامِلَ للصالِحات عظيمٌ عند الله، فناسَبَه الإخبار عن المُجازِي بنون العظمة، وفيه أيضًا مناسبةٌ لما بعده وهو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ [آل عمران: ٥٨].

---

(١) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢٢٥).

(٢) من القضايا الكبرى في القراءات القرآنية (٥٨).

(٣) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (٣٤٨).

﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ [آل عمران: ٨١] قرأ بكسر اللام (لِمَا ءَاتَيْتُكُم)، وقد انفرد حمزة بكسرها.

على أن اللام للتعليل، و«ما» مصدرية، أي لأجل إيتائي إياكم بعضَ الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به، أو موصولة بمعنى «الذي»، أي للذي آتيتُكُموه من كتاب وحكمة.

وقال ابن عاشور: «.. اللام للتعليل، متعلقة بقوله: ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ﴾ أي شُكرًا على ما آتيتكم، وعلى أن بعثتُ إليكم رسولًا مُصدِّقًا لِـمَا كنتم عليه من الدين»[(١)].

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ .... ﴿يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] قرأ بتاء الخطاب في الفعلين (تَبْغُونَ)، (تُرْجَعُون).

على الخطاب؛ لأن ما قبله خِطاب كقوله تعالى: ﴿ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ﴾ [آل عمران: ٨١]، فلا يبعُد أن يقال للمسلم والكافر ولكل أحد: أفغيرَ دين الله تبغون مع علمكم بأنه أسلمَ له مَن في السماوات والأرض وأن مَرجعَكم إليه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقيل: يجوز أن يكون ابتدأ خِطابًا مُجددًا عامًّا لليهود وغيرِهم من الناس.

قال مكي: «أجراه على الخطاب لهم، أمر اللهُ نبيَّه أن يقول لهم: أفغير دين الله تبغون أيها الكافرون، وإليه ترجعون؟، لأنهم كانوا ينكرون البعثَ وينتحلون غيرَ دين الله، فخوطبوا بذلك على لسان النبي عليه السَّلام».

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] قرأ بفتح الواو (مُسَوَّمِين).

«مُسوَّمين» اسم مفعول، والفاعل هو الله تعالى، كأن الله تعالى سوَّمَهم، أو أن غيرَهم من الملائكة سوَّمهم، مِن السَّوْمة وهي العلامة، أي: مُعلَّمين بعلامات، ويجوز

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٩)، وللمزيد ينظر الدر المصون (٢/ ١٥٣: ١٥٥).

أن يكون المراد مُرسَلين، مِن قولهم: سَوَّمَ الرجلُ خيلَه أي أرسلَها، والإبل السائمة المرسَلة في الرعي، فالمعنى: بألف من الملائكة مرسَلين، أرسلَهم الله لنصرة نبيِّه والمؤمنين.

قال ابن عاشور: «تطلَقُ السَّوْمة على علامة يجعلها البطل لنفسه في الحرب من صوف أو ريش ملون، يجعلها على رأسه أو على رأس فرسِه، يرمز بها إلى أنه لا يتقي أن يعرفَه أعداؤُه، فيُسَدِّدوا إليه سِهامَهم، أو يحمِلون عليه بسيوفهم، فهو يرمز بها إلى أنه واثِقٌ بحمايته نفسَه بشجاعته وصدق لقائه، وأنه لا يعبأ بغيره من العدوِّ...، ووصف الملائكة بذلك كناية عن كونهم شِدَادًا».

والقراءة بصيغة المفعول في «مُسوَّمين» موافقة لما جاء في الآية قبلها من قوله تعالى: ﴿ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤] بصيغة المفعول كذلك، فكأنهم أُنزِلوا مُسوَّمِين.

﴿ قَرۡحٌ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] معًا: قرأ بضم القاف (قُرْح)، وكذلك ﴿ ٱلۡقَرۡحُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

قيل في القراءة بالفتح والضم أوجه:

الوجه الأول: إن معناهما واحد، وهُما لغتان كالـجَهْدِ والـجُهْد، والوَجْد والوُجْد، والضَّعف والضُّعف، وهما مصدران، يُقال: قَرَحَه قَرْحًا وقُرْحًا، إذا جرحه، فهو قريح، وقوم قَرْحَى. قيل: الفتحُ لغة تهامة والحجاز، ويُنسب الضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد[1].

وقال ابن مقسم: هما لغتان، إلا أن المفتوحة توهم أنها جمع قرحة.

والثاني: إنه بالفتح مصدر، وبالضم اسم.

والثالث: -وهو قول الفراء- إنه بالفتح الجراحة بعينها، وبالضم ألمُ الجراحة[2].

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٠: ١٢٢).

(٢) ينظر التفسير الكبير (٤/ ٤٦٦)، الكتاب الفريد (٢/ ١٣٣).

﴿ يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً ﴾ [آل عمران: ١٥٤] قرأ بتاء التأنيث (تغْشَى).

حملًا على لفظ ﴿ أَمَنَةً ذ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أي تغشَى الأمنةُ طائفةً، إذ إن الأصل الأمنة، والنُّعاس بدل، ورد الكناية إلى الأصل حسن، وأيضًا الأمنة هي المقصود، وإذا حصلتِ الأمنةُ حصلَ النعاس لأنها سببُه، فإن الخائفَ لا يكادُ ينعَس. وقيل: يجوز أن تكون «تغشى» جملةً مستأنفة، جوابًا لسؤال مُقدَّر، كأنه قيل: ما حكم هذه الأمنة؟ فأخبرَ تعالى بقوله: «تَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُم»، والله تعالى أعلم.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] قرأ بياء الغيبة (بِمَا يَعْمَلُون).

قيل: على أنه للذين كفروا، وقيل: للمنافقين، وفيه وعيدٌ لهم، رُدَّ على لفظ الغيبة الذي قبله في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾، وقوله: ﴿حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقال الدكتور الزهيري: «قراءة التاء تحتمل الخطابَ للمؤمنين على أنها عِدَةٌ بعظيم الأجر والمثوبة على جهادهم في سبيل الله، وتحتمل أن تكون خطابًا للمنافقين المخذِّلين غيرَهم عن الجهاد على سبيل التوبيخ والتهديد، وكذا قراءة الياء تحتمل الأمرين، فعَلَى أن المراد المنافقون يكون إعراضٌ عن خطابهم لنفاقهم، وعلى أن المراد المؤمنون المجاهدون فالمراد تعميمُ الأجر والمثوبة لكل مجاهد صابر مؤمن وليس لهؤلاء المخاطبين فقط»[(١)].

﴿مُتُّمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٧، ١٥٨] قرأه بكسر الميم حيث وقع في القرآن (مِتُّم).

الكسرُ والضم لغتان، الكسر لأهل الحجاز، والضمُّ لسُفلَى مُضَر[(٢)]، فالفِعل بالكسر من مَات يَمَاتُ مِتّ كخافَ يخاف خِفْت، ونامَ يَنام نِمْت، والأصل مَوِتَ بكسر عينه كخوِفَ، فمضارعه بفتح العَين، فإذا أسند إلى التاء أو إحدى أخواتها قيل: مِتُّ بالكسر،

(١) الدرر الباهرة (١/ ١٧١).

(٢) ينظر تفسير القرطبي (٢/ ١٥٩٢)، البحر المحيط (٣/ ٤٠٦).

أصله: مَوِتٌّ، نُقِلتْ حركة الواو إلى الميم بعد سلب حركتها دلالة على بِنية الكلمة في الأصل، ثم حُذِفت الواو للساكنَيْن[١].

وأما بالضمِّ فمن ماتَ يمُوت مُتّ كقال يَقُول قُلْت، وطَافَ يَطُوفُ طُفْت.

﴿ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧] قرأ بتاء الخطاب (تَجْمَعُون).

على الخطابِ للمؤمنين، مُشاكلةً لما قبله وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، والمعنى: لَمغفرة من الله ورحمة خيرٌ مما تجمعون من أعراض الدنيا لو بقيتم.

﴿ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] قرأ بضم الياء وفتح الغين (يُغَلَّ).

من «غَلَّ» ثُلاثيًّا، والمعنى: ليس لأحدٍ أن يَغُلّه أي: يخونه، فهو نفيٌ في معنى النهي، أي: لا يغُلّه أحدٌ، وخصَّ النبيَّ ﷺ بالذكر وإن كان ذلك حرامًا مع غيره لأن المعصيةَ بحضرة النبي ﷺ أشنعُ لِما يجبُ من تعظيمه وتوقيره، كالمعصية بالمكان الشريف واليوم المُعظَّم،

ويحتمل أن يكون من «أغَلَّ» رُباعيًّا، وفيه أوجه:

أحدها: أن يكون من «أغلَّهُ» أي: نسَبَه إلى الغُلول، و«يُغَل» بمعنى يُـخَوَّن، أي: يُنسب إلى الخيانة، كقولهم: أكْذَبْته أي نسَبْته إلى الكذب، وهذا أيضًا نفي في معنى النهي، أي لا ينسِبْه أحدٌ إلى الغلول؛ لأن نبي الله لا يَخُون، فهو أمين الله في الأرض.

والثاني: أن يكون من «أغلَّهُ» أي: وجَدَهُ غالًا، كقولهم: أحْمدتُّ الرجُلَ وأبْخلْتُه وأجْبَنْتُه أي وجدتُّه محمودًا وبخيلًا وجبانًا.

والثالث: أن يكون من أغللته، إذا أخذت من المغنم شيئًا بغير إذنه، أي: وما كان له أن يُخان، أي: أن يؤخذ شيءٌ من غنيمته بغير إذنه.

---

(١) ينظر الدر المصون (٢/ ٢٤٤)، مُعجَم مُفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم (٤٧٣، ٤٧٤).

وأما القراءة على البناء للفاعل ﴿ يَغُلَّ ﴾ فمعناها: ما كان لنبي أن يخون أُمَّتَه في المغانِم، وأنه لا يمكن حدوث ذلك منه، وفي هذا النفي إشارةٌ إلى أنه لا ينبغي أن يُتوَّهَم فيه ذلك، ولا أن يُنسَب إليه شيءٌ من ذلك.

قال الدكتور محمد الجمل: «وهكذا نجد أن القراءتين نتَجَ عنهما جملةُ معانٍ، فقراءة البناء للفاعل تنفي عن الرسول ﷺ تهمة الغلول نفيًا قاطعًا، يُفهَم من «ما كان»، أي: ما كان ليمكن أن يُتصوَّر وجودُه في الذهن فضلًا على وجوده في الواقع، والمعنى هنا على النفي.

أما قراءة البناء للمفعول فالمعنى فيها على النهي، فهي تنهى الناسَ عن الغلول، وبخاصة مع النبي ﷺ، هذا معنًى،

ويمكن أن يُفهم منها نهيٌ آخر، وهو أن يُنسَب إلى الرسول ﷺ الخيانةُ أو الغلول.

فالآية على القراءتين تضمَّنَت خبَرًا ونهيَيْن، وقامت مقامَ ثلاثِ آيات في لفظ موجز وبيان معجز»[1].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] قرأ بتاء الخطاب فيهما (وَلا تَحْسَبَنَّ) ، وقد انفرد بهما حمزة.

على أن الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل أحد، و«الذين كفروا» مفعول أول، و«أنما نملي لهم خير» بدل من المفعول، سدَّ مسدَّ المفعولَيْن، ولا يلزم منه أن تكون عمِلت في ثلاثة لأن المُبدَل منه في نية الإسقاط، ألا تراك تقول: جعلت متاعَك بعضَه فوقَ بعض، مع امتناع سكوتك على : متاعك.

و«مَا» في ﴿ أَنَّمَا نُمْلِي ﴾ موصولة أو مصدرية، أي: لا تحسبن أن الذي نُمليه للكفار أو إملاءَنا لهم خيرًا لهم. و«الذين يبخلون» أول مفعولي «حَسِبَ» على تقدير مضاف،

(١) الوجوه البلاغية (٤٣٦، ٤٣٧).

أي: بُخل الذين يبخلون، و«هو» ضميرُ فصل، و«خيرًا» ثاني مفعولَيْه[(١)].

وبالجمع بين القراءة بالياء والتاء في الآية الأولى يُرَى أن فيهما وعدًا للمؤمنين ووعيدًا للكافرين، فيُصبح المعنى: يا مُحَمَّد - ﷺ - لتطمئنَّ ولْيطمئنَّ من معك من المؤمنين، ولا تحزنوا على ما أصابكم يومَ أُحُد من جِرَاح وآلام، ولْيعلمِ الكافرون أن انتصارهم في جَولة أو ما يحصلون عليه في هذه الحياة الدنيا من النِّعِم الزائلة ما هو إلا استدراج لهم حتى إذا أخذناهم لم نُفلتْهم[(٢)].

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ [آل عمران: ١٧٩] قرأ بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء مُشدَّدَة (يُمَيِّزَ)، وكذلك في الأنفال.

«يَمِيز» من مازَ الشيءَ يمِيزُه مَيْزًا، إذا عزله وفرزه، وكذلك «يُمَيِّـز» من مَيَّـزَ يُمَيِّـز تمييزًا، فهما لغتان، وفي المشدَّد معنى التكثير والمبالغة[(٣)].

وحُكيَ عن أبي عمرو: «لا يكون «يُميّز» بالتشديد إلا كثيرًا من كثير، فأمَّا واحدٌ من واحد فـ «يمِيْز» على معنى يعزل». قال الدكتور الزهيري: «هما قراءَتان متواترتان متكاملتان، فقراءة التشديد تفيد أن الله يميز الخبيثَ من الطيِّب، مهما كثُر الخبيث وعظُم، وقراءة التخفيف تفيد أن الله يميز جنسَ الخبيث عن جنس الطيب حتى يصير كل واحد منهما واضحَ المعالم، والله أعلم»[(٤)].

﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ﴾ [آل عمران: ١٨١] قرأ ﴿سَنَكۡتُبُ﴾ بياء مضمومة وفتح التاء، وقرأ برفع اللام مِن ﴿وَقَتۡلَهُمُ﴾: (سَيُكْتَبُ مَا قالُوا وَقتْلُهُمُ الأنبِيَاءَ)، وهذا مما انفردَ به حمزة.

مبنيًّا للمفعول، و«ما» اسم موصول نائب فاعل، أو مصدرية، والمصدر المؤول

---

(١) ينظر إتحاف فضلاء البشر (٢٣٢)، وللمزيد يُنظر الدر المصون (٢/ ٢٦٥، ٢٦٦)، والكتاب الفريد (٢/ ١٧٥، ١٧٦).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١/ ٣٢٥).

(٣) يُنظر الإتحاف (٢٣٣)، الكتاب الفريد (٢/ ١٧٨)، وللمزيد يُنظر الدر المصون (٢/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٤) الدرر الباهرة (١/ ١٨٢).

نائبُ الفاعل، أي سيُكتَب الذي قالوه أو قولُهم، و«قتلُهم» معطوف على نائب الفاعل.

﴿وَنَقُولُ﴾ [آل عمران: ١٨١] قرأه بياء الغيبة (وَيَقُولُ ذُوقُوا)، انفردَ به أيضًا.

على أن الضمير لله تعالى، مُناسبةً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٩٥] قرأ الفعلَ الأول بالبِناء للمجهول، والثاني بالبِناء للمعلوم (وقُتِلُوا وَقَاتَلُوا)، وكذلك في ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] قرأ ببناء الأول للمفعول والثاني للفاعِل (فيُقْتَلونَ وَيَقْتُلونَ).

بيانًا لفضيلة المقتولين على القاتلين وتقدُّم مَرتبة الشهَادة وعُلوِّ منزلِتها، وإيذانًا بعدم مُبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى، بل بكونه أحبَّ إليهم من السلامة كما قيل في حقهم:

لَا يَفْرَحُـــونَ إذَا نَالَـتْ رِمَاحُهُــم	قَوْمًـا وَلَيْسُــوا مَجَازِيعًـا إذَا نِيلُــوا
لا يقـــعُ الطعْــنُ إلَّا في نُحُورِهِـــم	ومَا لهُم عن حِيـاضِ الموتِ تَهْلِيـلُ

وقد جاء قولهم: قُتِلنا وربِّ الكعبة، إذا ظهرَت أماراتُ القتل، أو إذا قُتِل قومُه وعشائره، فيكون في ذلك مبالغة في مدحهم؛ لأنهم لم يَهِنوا، ولا ارتاعوا لقتل أصحابِهم، بل جَدُّوا في القتال بعد قتلِ أصحابِهم، وبذلك استحقوا ثناءَ الله تبارك وتعالى في الآية قبلها: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾[آل عمران: ١٤٦].

أو يُحمل ذلك على التوزيع، أي: منهم مَن قُتِل ومنهم من قاتَل، لما قُتِل منهم قومٌ قاتلَ الباقون ولم يهِنُوا ولم يَضْعُفوا، أو على أن الواو هنا لا تفيد الترتيب، قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾[آل عمران: ٤٣]. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟﴾ على قراءة مَن قرأ «قُتِلَ» مبنيًا للمفعول واعتبَر «ربيُّون» نائبَ الفاعل.

سورة النساء

﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾[النساء: ١] قرأ بجر الميم (وَالأرْحَامِ)، وقد انفرد حمزة بها من القراء العشرة.

في توجيهها أربعة أوجه:

الأول، وهو الظاهر: أنه معطوف على الضمير المجرور محلًّا -أي الهاء في «بـ(ـهِ)»- من غير إعادة الجارّ، وعلى هذا فسرها الحسنُ والنخعي ومجاهد، ويؤيده قراءة عبدِ الله: «وبِالأرحَامِ». وكانوا يتناشدون بذكر الله والرحم، يقول الرجل: سألتك بالله والرَّحِم.

الثاني: أنه مجرور بباء مقدَّرة، أي: تساءلون بِه و(بِـ)ـالأرحام، وقراءة عبد الله المذكورة صريحة بها، وحُذِف حرف الجر للعلم به ولتقدم ذكره، وإليه ذهب ابنُ جني، ونحوه قولهم: «بِمَنْ تَمْرُرْ أَمْرُرْ، وعلى مَن تَنزِلْ أَنزِلْ»، ولم يقولوا: «أمْرُر (به)»، ولا: «أنزِل (عليه)»[(١)]، فقد حذفوا الجار والمجرور للعلم بهما، ولدلالة ما قبلهما عليهما.

وعلى هذين الوجهين يكون المعنى -والله تعالى أعلم-: اتقوا الله الذي من تعظيمكم إيَّاه أنكم تتساءلون به، فسؤالكم به الدالُّ على تعظيمكم إياه مُوجِبٌ لأن تتقوه، وإذا كان كذلك فإنَّ الأرحام التي تتساءلون بها تعظيمًا لها ذلك مُوجِبٌ أيضًا لأن تتقوها، فتؤدُّوا حقها، وتَصِلوها ولا تقطعوها.

وفي هذا معنى زائد على القراءة بالنصب، والتي فيها أمرٌ باتقائها مباشرةً، دون الالتفات لذلك المعنى، وهو أن سؤالكم بها مُوجِبٌ لأن تتقوها، كما أن سؤالكم بالله موجب لأن تتقوه، إلا أن يُقدَّر في قراءة النصب: «واتقوا الأرحامَ التي تتساءلون بها كذلك»، فيكون في كلتا القراءتين تقدير. قال أبو شامة: «قراءة النصب على تقدير: «واتقوا الأرحامَ التي تتساءلون بها»، فحذف استغناءً بما قبله عنه، وفي قراءة الخفض

---

(١) ينظر الخصائص (١/ ٢٤٨).

حذف: «واتقوا الأرحامَ»، ونبَّه بأنهم يتساءلون بها على ذلك»[(١)].

وعلى هذين الوجهين من توجيه القراءة بالجر يكون الوقفُ على «والأرحام» كافيًا، فيحسن الوقف عليها، والابتداء بها بعدها[(٢)].

قال ابن عاشور –رحمه الله– عن قراءة حمزة: «... فتكون تعريضًا بعوائد الجاهلية، إذ يتساءلون بينهم بالرحم وأواصر القرابة ثم يهملون حقوقَها ولا يصلونها، ويعتدون على الأيتام من إخوتهم وأبناء أعمامهم، فناقضَتْ أفعالُهم أقوالَهم، وأيضًا هم قد آذَوا النبيءَ ﷺ وظلموه، وهو من ذوي رحمهم وأحق الناس بصلتهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾[التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣]، وعلى قراءة حمزة يكون معنى الآية تتمة لمعنى التي قبلها»[(٣)]. ا.هـ، ولعلَّه يعني بداية الآية، وإلا فهي آيةٌ واحدة.

الثالث: أنه مجرور على القسَم، فالواو للقسم، واختلف في المقسَم به، فقيل: إنه «الأرحام»، وهو الظاهر، وقيل: على تقدير: «ورَبِّ الأرحام»، حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

قال البقاعي: «وخفض حمزة الأرحام المقسم بها تعظيمًا لها وتأكيدًا للتنبيه على أنهم قد نسوا اللهَ في الوفاء بحقوقها –كما أقسم بالنجم والتين وغيرهما، والقراءتان مؤذنتان بأن صلة الأرحام من الله بمكان عظيم، حيث قرنها باسمه، سواء كان عطفًا كما شرحته آية ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣] وغيرها، أو كان قَسَمًا»[(٤)].

وعلى وجه القسم يحتمَل معنيان:

---

(١) إبراز المعاني (٤١٠).

(٢) ينظر منار الهدى (٢٠٢، ٢٠٣).

(٣) التحرير والتنوير (٤/ ٢١٨).

(٤) نظم الدرر (٥/ ١٧٦).

أحدهما: ما ذكره القرطبي: «قال القشيري: وقد قيل: هذا إقسام بالرحم، أي: اتقوا الله وحقِّ الرحم، كما تقول: افعل كذا وحَقِّ أبيك، وقد جاء في التنزيل: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾، ﴿وَٱلطُّورِ﴾، ﴿وَٱلتِّينِ﴾، ﴿لَعَمۡرُكَ﴾، وهذا تكلُّف.

قلت: لا تكلُّفَ فيه؛ فإنه لا يبعد أن يكون «والأرحامِ» من هذا القبيل، فيكون أقسَم بها كما أقسم بمخلوقاته الدالة على وحدانيته وقدرته تأكيدًا لها حتى قرنها بنفسه، والله أعلم. ولله أن يُقسِم بما شاء، ويمنع ما شاء، ويبيح ما شاء، فلا يبعد أن يكون قَسَمًا، والعرب تُقسِم بالرحم»[(١)].

وعلى هذا الوجه يكون الوقف على «والأرحامِ» كافيًا، فلا يُوقف معه على ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾، بل يوقف على «والأرحامِ» ثم يبدأ بما بعدها.

والثاني: أن يكون جواب القسم (أو المقسم عليه) قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾، وعلى هذا يكون الوقف على «به» تامًّا، ثم يُبدَأ بقوله: ﴿وَالأَرحَامِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾؛ لأن القسم موضع استئناف[(٢)].

واستبعد أبو شامة وجهَ الجر على القسم فقال: «والوجه الثاني في تعليل قراءة الخفض في الأرحام أنها على القسم، وجوابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾، أقسم سبحانه بذلك كما أقسم بما شاء من مخلوقاته من نحو: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾، إما بها أنفسها، أو على إضمار خالقها عز وجل، وهو كإقسامه بالصافات وما بعدها على أن إلهكم لواحد، **وهذا الوجه وإن كان لا مطعن عليه من جهة العربية فهو بعيد**؛ لأن قراءة النصب وقراءة ابن مسعود بالباء [وبالأرحام] مصرحتان بالوصاة بالأرحام على ما قررناه»[(٣)].

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٦٧٠).

(٢) ينظر المكتفى (٦٩)، أحاسن الأخبار (٣٣٥)، علل الوقوف (٢/ ٤١٣).

(٣) إبراز المعاني (٤١١، ٤١٢).

والوجه الرابع: قيل: معناه: واتقوه في الأرحامِ أن تقطعوها[١].

وقد تكلم في هذه القراءة قديمًا بعض النحاة وغيرهم –غفر الله لهم–، وقد اعترضوا عليها من جهتين، من جهة النحو، ومن جهة المعنى:

فمن جهة النحو قالوا:

لا يجوز عطفُ الاسم الظاهر (وهو هنا «الأرحَامِ») على الضمير المجرور (وهو هنا الهاء في «بِهِ») إلا بعد إعادة الخافض (أي «به وبالأرحامِ»)[٢].

وعلَّلوا ذلك بما يلي:

١- قالوا: اتصال الضمير المجرور بالحرف أشد من اتصال الفاعل بالفعل؛ لأنهما كالكلمة الواحدة، وليس للمجرور متصل يؤكَّد به كالمرفوع، فأعيد الجار.

ووجه الاتصال أن ضمير الجر مُنزَّل منزلة المضاف إليه، والمضاف إليه معاقب

(١) ذكر هذا الوجه ابن خالويه في الحجة (١١٩).

(٢) بل زعم الزجاج (معاني القرآن ٢/ ٦) إجماعَ النحويين على قُبح ذلك، وهو غير صحيح، فقد حكى ابن الأنباري الخلاف بين البصريين والكوفيين في ذلك، وأن الكوفيين يجيزونه، وقال الشيخ محمد محيي الدين: وقد وافق الكوفيين في هذه المسألة وحكمَ بجواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة العامل في المعطوف عليه مع المعطوف: يونسُ ابن حبيب شيخ سيبويه، والأخفشُ، وقطرب، والشلوبين، وابنُ مالك. الإنصاف (٢/ ٤٦٣، ٤٦٤)

وقد نسب القولَ بجواز ذلك العطف إلى الكوفيين ابنُ الأنباري وكثيرٌ غيره، ويرى الدكتور سليمان خاطر أن هذه النسبة على الإطلاق خطأ، من غير تحقيق (منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم/ ٤٢٣: ٤٢٥)، وعبَّر عبد الوهاب المزي بجوازه عند «جمهور الكوفيين» (أحاسن الأخبار/ ٣٣٧)، والنويري عبَّر بـ «جُل الكوفيين» (شرح الطيبة ٢/ ٢٦١)، وأيًّا ما كان الأمر، فإن ادعاء الإجماع في المسألة غيرُ صحيح، ولا يخلو من مبالغة، وقد تقدم ذكر مَن أجاز ذلك، وليس العدد محصورًا فيهم، فقد أجازه غيرُهم كذلك، وإذا علم اختلاف النحاة في المسألة فليس قولُ أحدٍ من النحاة حجةً على النحو، ويكفينا للاستشهاد لصحة أسلوب ورودُ القرآن الكريم به، ولا نجدُ في صدورنا حرجًا منه.

ومن أوائل مَن نُسِب إليه ردُّ هذه القراءة من النحاة أبو العباس المبردُ - غفر الله له -، بل وصل التعصب إلى أن روي عنه أنه قال: «لو قرأ الإمامُ بهاته القراءة لأخذتُ نعلي وخرجت من الصلاة»!!.

وعلق عليه ابن عاشور رحمه الله قائلًا: «وهذا من ضيق العطن، وغرور بأن العربية منحصِرة فيما يعلمه».ا.هـ

وأقول: يقطعُ صلاتَه أو لا يقطعها، فما يضرُّ حمزةَ - رحمه الله - أن يأخذ المبردُ أو غيرُه نعلَه وينصرف.

للتنوين، والتنوين بعضُ الكلمة، وبعضُ الكلمة لا يصلح للعطف عليه، ولذلك لم يفصل بينهما، فأعيد الخافض ليكون المعطوف كالمستقل بنفسه، ولذلك ذهب الـجَرْمي والزيادي إلى الجواز عند تأكيد المجرور بظاهر، نحو: مررت بك أنت وزيدٍ، وحاصل كلام الفراء فإنه أجاز: مررت به نفسِه وزيدٍ، ومررت بهم كلِّهم وزيدٍ[(١)].

٢- وعللوا أيضًا بأن قالوا: الثاني في باب العطف شريك للأول، وحقُّ الشريكين أن يصلح كل واحد منهما لأن يحل محل الآخر، وضمير الجر غير صالح لحلوله محل المعطوف عليه، فكما لم يَجُز: مررت بزيدٍ وكَ، لم يجز: مررت بك وزيدٍ.

٣- قالوا: ولم يجئ ذلك إلا في الشعر، والشعر موضعُ ضرورة.

انتهى قولهم، وفيه نظر. وقبل أن أذكر ما أُجيب به عما قالوه من حُجَج نظرية أذكر ما قاله الدكتور عبد القادر الهيتي: «وقد منع ذلك البصريون [أي: العطف المذكور من غير إعادة الجار]، ولا ينظر إلى منعهم ذلك؛ لأن قواعدهم قائمة على حجج نظرية، والعربية كغيرها من اللغات الأخرى -لا تقيمُها القواعدُ والحججُ النظرية، وإنما هي عبارة عن استعمالها من قِبَل الناطقين بها[(٢)]، وليست هي مجرد نظريات متكلفة قائمة على التقدير والتأويل»[(٣)].

وفي الجواب عما ذكروه يقال:

أمَّا حملهم إيَّاه على المرفوع ولا منفصل للمجرور فلا يلزم؛ لأن المرفوع إنما ينزل منزلة الجزء لاستتاره في الفعل، بخلاف المجرور، ولو امتنع في المجرور بهذا التعليل لامتنع في المنصوب، نحو: «رأيتك وزيدًا»، مع أن إعادة الجار لا تغني عن تأكيد المرفوع؛ لأن حلول الشيء محل غيره على غير وجه النيابة لا يعطيه شيئًا من أحكامه.

وأما تنزيلهم إيَّاه منزلةَ التنوين فغيرُ جيد؛ لأنه لو كان بمنزلة التنوين لم يجز العطف

(١) نسبته للفرَّاء في شرح الأشموني (٢/ ٤٣٠).
(٢) سيتقدم ذكـرُ نطقِ العرب بذلك العطف.
(٣) ما انفرد به كل من القراء السبعة (٩٢).

عليه البتة؛ لأن التنوين لا يُعطف عليه، ولو كان ذلك ممنوعًا لم يجز الإبدال منه، ولم يجز تأكيده، وكلاهما جائز بالاتفاق[(١)].

قال ابن مالك عن جواز هذا العطف: «والجواز أصحُّ من المنع، لضعف احتجاج المانعين، وصحة استعماله نثرًا ونظمًا.

أمَّا ضعفُ احتجاجهم فبيِّن، وذلك أن لهم حجتين ...». وذكر ما تقدَّم مما قالوه،

ثم قال: «والحجتان ضعيفتان. أما الأولى فيدلُّ على ضعفها أن شبه الضمير بالتنوين ضعيف، **فلا يترتب عليه إيجابٌ ولا منع**، ولو منع من العطف عليه لمنع من توكيده، ومن الإبدال منه؛ لأن التنوين لا يؤكد، ولا يُبدل منه، وضمير الجر يؤكد ويبدل منه بإجماع، فللعطف عليه أسوةٌ بهما.

وأما الثانية فيدل على ضعفها أنه لو كان حلول كلِّ واحد من المعطوف والمعطوف عليه محل الآخر شرطًا في صحة العطف لم يجُز: رُبَّ رجلٍ وأخيه، ولا:

أي فتى هيجاءَ أنت وجارِها

ولا: كم ناقة لك وفصيلها، ولا: الواهبُ الأمةِ وولدِها، ولا: زيدٌ وأخوه منطلقان.

وأمثالُ ذلك من المعطوفات الممتنع تقدمها وتأخر ما عُطفت عليه كثيرة، فكما لم يمتنع فيها العطف - لا يمتنع في: مررت بك وزيدٍ، ونحوه»[(٢)].

وقال أبو شامة: «وكل ما يُذكر من أسباب المنع فموجود في الضمير المنصوب مثلُه، وقد أجازوا العطفَ عليه، فالمجرور كذلك قياسًا صحيحًا»[(٣)].

وقال السَّمين: «وأما ضعف الدليل: فهو أنهم منعوا ذلك لأن الضمير كالتنوين، فكما لا يُعطَف على التنوين لا يُعطف عليه إلا بإعادة الجار.

---

(١) أحاسن الأخبار (٣٢٧: ٣٢٩).
(٢) شواهد التوضيح (١٠٧، ١٠٨).
(٣) إبراز المعاني (٤١١).

ووجه ضعفه أنه كان بمقتضى هذه العِلَّة ألا يُعطَف على الضمير مُطلقًا، أعني سواء كان مرفوعَ الموضع، أو منصوبَه، أو مجرورَه، وسواء أُعيد معه الخافضُ أم لا كالتنوين.

وأما القياس فلأنه تابع من التوابع الخمسة، فكما يُؤكَّد الضميرُ المجرورُ ويُبدَل منه فكذلك يُعطَف عليه»[(١)].

وقال المنتجب الهمذاني نقلًا عن بعض أهل العربية: «إن ضمير المجرور وإن اشتد اتصاله بالجار، وأنه لا ينفصل، فشبه بالتنوين من هذين الوجهين من حيث لا يقوم بنفسه كما لا يقوم التنوينُ بنفسه، فلما كان العطف على التنوين لا يجوز، كان العطف على ما هو بسبيله بمنزلته، فإن له بحق الاسمية مزية، بدليل توكيده، والبدلِ منه، والإخبارِ عنه، وتثنيته وجمعه، فله هذه الأحكام من الاسمية، وله الشَّبَهُ المذكور بالتنوين، فنُعطيه تارةً بالاسمية حكم الاسم فنعطف عليه، وتارة بالشَّبه حكم التنوين فنمنع من العطف عليه»[(٢)].ا.هـ.

وقيل أيضًا: إن الظاهر والمضمر في الآية الكريمة سواء؛ لأن الظاهر هو اسم الله تعالى، ولا يجوز تنكيره أبدًا، بخلاف «زيد» و«عمرو» وشبههما مما يجوز تنكيره، والمضمر كذلك لا يجوز تنكيره، فساوى المضمر الظاهر، والظاهر المضمر في هذا المكان، فكما يجوز أن يقال: سألتك بالله والرحمِ، يجوز أن يقال: سألتك به والرحمِ[(٣)].

وعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار جائز عند جمهور الكوفيين، وعند يونس، والأخفش، وقطرب، وتبعهم الأستاذ أبو علي الشلوبين، وابن مالك، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن هشام، وابن القيم، ومعظم المتأخرين.

قال ابن مالك رحمه الله:

---

(١) الدر المصون (١/ ٥٣١)، وينظر البحر المحيط (٢/ ٣٨٨، ٣٨٩).
(٢) الكتاب الفريد (٢/ ٢٠١).
(٣) أحاسن الأخبار (٣٣٧).

وَعَــوْدُ خَــافِضٍ لَدَى عَطْــفٍ عَلَى ضَــمِيرِ خَفْـضٍ لَازِمًـا قَـدْ جُعِـلَا
وَلَـيْسَ عِنـدِي لَازِمًـا إِذْ قَـدْ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّـحِيحِ مُثْبَتًـا[١]

وقال أبو حيان: «وما ذهب إليه أهلُ البصرة وتبعهم فيه الزمخشري وابنُ عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجارِّ ومن اعتلالهم لذلك غيرُ صحيح، بل الصحيح مذهبُ الكوفيين في ذلك وأنه يجوز»[٢].

وقال أبو زرعة: «... وأنكروا أيضًا أن الظاهر لا يعطف على المضمر المجرور إلا بإظهار الخافض، وليس بمنكر، وإنما المنكر أن يعطف الظاهر على المضمر الذي لم يجر له ذكر، فتقول: مررت به وزيدٍ، وليس هذا بحسن، فأما أن يتقدم للهاء ذِكْرٌ فهو حسن، فكذلك الهاء في ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾، وتقدم ذكرها، وهو قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾»[٣].

وقال السمين: «والذي ينبغي أنه يجوز مطلقًا؛ لكثرة السماع الوارد به، وضعف دليل المانعين، واعتضاده بالقياس»[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار على المذهب المختار، وشواهدُه كثيرة، وشُبَهُ المنع منه واهية»[٥].

وجاء ذلك كثيرًا في أشعار العرب، من ذلك ما أنشده سيبويه رحمه الله:

فَـالَيَوْمَ قرَّبْـتَ تهْجُونـَا وتَشْـتِمُنَا فَاذهَبْ فمَا بكَ والأيامِ مِن عَجَب[٦]

وأنشد أيضًا قول الراجز:

---

(١) ألفية ابن مالك (٥١) – عطف النسق.
(٢) البحر المحيط (٣/ ٤٩٩).
(٣) حُجة القراءات (١٩٠).
(٤) الدر المصون (١/ ٥٣٠)، وينظر البحر المحيط (٢/ ٣٨٧).
(٥) زاد المعاد (١/ ٣٥).
(٦) الشاهد فيه عطف «الأيام» على ضمير المُخاطَبِ المتصل المجرور في قوله: «بِكَ» مِن غير إعادة حرف الجر.

آبَـــكَ أيِّـــهْ بِيَ أو مُصَـــدَّرِ من حُمُـرِ الجِلَّـة جـأبٍ حَشْـوَرِ[١]

وأنشد الفرَّاء رحمه الله:

نُعَلِّـقُ في مِثْـلِ السَّـوَارِي سُـيُوفَنَا وما بيْنَهَا والكَعْبِ غَوْطٌ نَفَانِفُ[٢]

وأنشد الفراء أيضًا:

هَلَّا سَأَلْتِ بِذِي الـجَمَاجِمِ عَنْهُمُ وأَبِي نُعَـيْمٍ ذِي اللِّـوَاءِ المُحـرقِ[٣]

ومما أُنشِدَ على ذلك قول الشاعر:

إذَا أَوْقَـدُوا نَـارًا لــحَرْبِ عَـدُوِّهمْ فَقَدْ خَابَ مَن يَصْلَى بِها وَسَعِيرِهَا[٤]

وقول العباس بن مرداس:

أَكُـــرُّ عَلَى الكَتِيبَـــةِ لَا أُبَـــالِي أَحَـــتْفي كَانَ فيهَـــا أَمْ سِـــوَاهَا[٥]

وقول الآخر:

أَرِيحُوا البِـلَادَ مِـنكُمُ وَدَبِيـبِكُم بِأَعْرَاضِكُم مِثْلَ الإمَاءِ الوَلَائِدِ[٦]

وقول الآخر:

لَــو كَانَ لِي وَزُهَــيْرٍ ثَالِــثُ وَرَدَتْ مِـنَ الحِمَـامِ عِـدَانَا شَرَّ مَـوْرُودِ[٧]

وقول الآخر:

بِنَــا أَبَــدًا لا غَيْرِنَــا يُــدْرَكُ المُــنَى وَتُكْشَفُ غَمَّاءُ الخُطُـوبِ الفَـوَادِحِ[٨]

---

(١) الشاهد فيه عطف «مصدر» على الضمير المجرور في «بي» من غير إعادة الجارِّ.
(٢) الشاهد فيه عطف «الكعب» على الضمير المجرور في «بينها» من غير إعادة الجارِّ.
(٣) الشاهد فيه عطف «أبي نعيم» على الضمير المجرور في «عنهم» دون إعادة الجارِّ.
(٤) الشاهد فيه عطف «سعيرها» على الضمير المجرور في «بها» دون إعادة حرف الجر.
(٥) الشاهد فيه عطف «سواها» على الضمير المجرور في «فيها» دون إعادة الجارِّ.
(٦) الشاهد فيه عطف «دبيبكم» على الضمير المجرور في «منكم» دون إعادة الجارِّ.
(٧) الشاهد فيه عطف «زهير» على الضمير المجرور في «لي» دون إعادة حرف الجر.
(٨) الشاهد فيه جر «غيرنا» عطفًا على الضمير المجرور في «بنا» دون إعادة حرف الجر.

وقول الآخر:

إِذَا بِنَـا بَـلْ أُبَيْنِينَـا التَقَـتْ فِئَـةٌ ظَلَّـتْ مُؤَمّنَـةً مِمَّـن يُعَادِيهَـا[(١)]

وقول الآخر:

وَقَـدْ رَامَ آفَـاقَ السَّـمَاءِ فَلَـمْ يَجِـدْ لَهُ مَصْعَدًا فِيهَا وَلا الأَرْضِ مَقْعَدًا[(٢)]

وقول الآخر:

مَـا إِنْ بِهَـا وَالأُمُـورِ مِـنْ تَلَـف مَـا حُـمَّ مِـنْ أَمْـرِ غَيْبَـةٍ وَقَعَـا[(٣)]

وقول الآخر:

أَوْ بَـيْنَ مَمْنُـونٍ عَلَيْـهِ وَقَوْمِـهِ إِنْ كَانَ شَاكِرَهَا وَإِنْ لَـمْ يَشْـكُرِ[(٤)]

وقول الآخر:

إِذَا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وَانشَقَّتِ العَصَـا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكِـ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

على رواية الجر في «والضحاكِ»[(٥)].

وقول الآخر:

بِـهِ اعْتَضِـدْ أَوْ مِثْلِـهِ تَـكُ ظَـافِرًا فمَا زَالَ مُعْتَزًّا بِـهِ مَـنْ يُظَـاهِرُه[(٦)]

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

.... فَانظُرْ بِنَا وَالـحَقِّ كَيْفَ نُوَافِقُـه[(٧)]

ويذكر الدكتور سليمان خاطر أن ورود ذلك العطف في الشعر -وإن كثر- لا يكفي

---

(١) الشاهد فيه عطف «أبينينا» على الضمير المجرور في «بنا» دون إعادة حرف الجر.

(٢) الشاهد فيه عطف «الأرض» على الضمير المجرور في «فيها» دون إعادة حرف الجر.

(٣) الشاهد فيه عطف «الأمور» على الضمير المجرور في «بها» دون إعادة حرف الجر.

(٤) الشاهد فيه عطف «قومه» على الضمير المجرور في «عليه» دون إعادة حرف الجر.

(٥) الشاهد فيه عطف «الضحاك» على الضمير المجرور في «حسبك» دون إعادة الجار.

(٦) الشاهد فيه عطف «مثله» على الضمير المجرور في «به» دون إعادة حرف الجر.

(٧) الشاهد فيه عطف «الحق» على الضمير المجرور في «بنا» دون إعادة حرف الجر.

لأن يُخرجه عن الضرورة، حتى يرد في النثر كذلك[(١)].

ويقول الدكتور سامي هلال: «... ونختم الكلام في هذه المسألة بالرد على دعوى الضرورة التي يتعلَّلُون بها بما قاله الشيخ الموصلي: ولا يقال: ورد في الشعر ضرورةً؛ لأن ذلك دعوى بلا دليل، ولو فُتِح بابُ الضرورة في الشعر لبَطَل أكثرُ استشهاداتهم»[(٢)].

ويقول الدكتور محمد حسن شُرَّاب: «... والحق في المسألة مع الكوفيين؛ لأنهم جاءوا بأربعة شواهد شعرية لشعراء فحول، وأربعة شهداء يثبت بهم حدُّ الرَّجم، فهي كافية لإثبات صحة كلام الكوفيين. أما قولهم: «ضرورة شعرية» فهذه مماحكة باطلة، لطخوا بها جبهة الشعر العربي الناصعة، حتى أصبح المرءُ يظن أن الشعر العربي لا يساير لغةَ العرب، أو أن الشعراء يجهلون لغتهم، مع أن الشاعر لا يستعمل الكلمة إلا إذا مزجها بدمه وقلبه، وعرف أنها تكون ذاتَ أثر في السامعين. فالشاعر لا يقول لنفسه فقط، وإنما يقول للناس، وبخاصة شعر الفخر والحرب والغزل، فإذا استخدم لفظة مما لا يألفه الناس، فكيف يصل أثر كلامه إلى الناس؟!»[(٣)].

ويقول عبد الوهاب المزي بعد سرده ما تقدم من شواهد شعرية: «ومثلُ هذه الكثرة لا يُمكن حملها على شذوذ ولا ضرورة، بل يكون فصيحًا في الكلام.

ومما يدل على فصاحَته تنوعهم في تغير حرف الجر، لم يلتزموا حرفًا واحدًا، بل عطفوا تارةً بالواو، وتارة بـ «بل»، وتارةً بـ «لا»، وتارةً بـ «أَمْ»، وتارةً بـ «أَوْ».

ومما يدل أيضًا على ذلك أنهم لم يلتزموا فيه طريقةً واحدة، بل عطفوا على المجرور بالباء، وعلى المجرور باللام، وعلى المجرور بـ «في»، وعلى المجرور بالإضافة»[(٤)].

---

(١) ينظر منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم (٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٩)، قلت: وقد ورد ذلك في النثر على كل حال، وسيأتي إن شاء الله.

(٢) قراءات الإمام حمزة (١١٣).

(٣) شرح الشواهد الشعرية في أمَّات الكتب النحوية (٣/ ٣٢٠).

(٤) أحاسن الأخبار (٣٤١)، وينظر البحر المحيط (٢/ ٣٨٨)، الدر المصون (١/ ٥٣١).

ومع ذلك فقد ورد هذا العطف في النثر أيضًا:

فقد حكى قطرب عن العرب: «ما فيها غيرُه وفَرَسِه»[(١)]، بجر «فرسِهِ» عطفًا على الهاء المجرورة محلًّا في «غيره»، من غير إعادة الخافض، وهو المضاف (غَير).

وفي كلام النبي ﷺ: «إنما مَثَلُكم واليهود والنصارى ...» الحديث[(٢)].

وهناك آيات من القرآن الكريم حُمِلت على عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجارِّ في بعض أوجه إعرابها، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فقوله تعالى: «والمسجدِ» حُمل على أنه معطوف على الهاء في «به»[(٣)]، قالوا: ولا يُعطَفُ على «سبيل الله» لأنه يستلزم الفصل بين المصدر ومعموه بأجنبي؛ لأن المعطوف بمنزلة المعطوف عليه، فمعطوف معمول المصدر كمعموله، وفي سبب خفضه أقوالٌ أخرى.

وخُرِّجَ على العطف كذلك من غير إعادة الجار قولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠] عطفًا على الضمير المجرور في «لكم» من قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾، أي: ولِـمَن لستم له برازقين.

---

(١) ينظر إبراز المعاني (٤١١)، شرح الشذور لابن هشام (٤٥٥)، شرح الأشموني (٢/ ٤٣٠).

(٢) اللفظ للبخاري، برقم (٢٢٦٩) في كتاب الإجارة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
والشاهد فيه جر «اليهود» عطفًا على الضمير المجرور في «مَثَلكم».
قال ابن حجر: «هو بخفض «اليهود» عطفًا على الضمير المجرور بغير إعادة الجار، قاله ابن التين، وإنما يأتي على رأي الكوفيين». فتح الباري (٤/ ٤٤٧)
وقال ابن مالك: «تضمَّن هذا الحديث العطفَ على ضمير الجر بغير إعادة الجار، وهو ممنوع عند البصريين إلا يونسَ وقطربًا والأخفش، **والجوازُ أصحُّ من المنع، لضعف احتجاج المانعين، وصحةِ استعماله نثرًا ونظمًا**». ينظر شواهد التوضيح (١٠٧: ١١١)
وقال: «ولو رُوي بالرفع لجاز على تقدير: ومثلُ اليهود، ثم يحذف المضاف، ويُعطى المضاف إليه إعرابه».
والحديث روي بلفظ آخر فيه إعادة الجار وهو المضاف «مثل» بلفظ: «مثَلُكم ومثلُ اليهودِ والنصارى ...» رواه أحمد (٤٥٠٨)، وكذلك الترمذي (٢٨٧١) بلفظ: «وإنما مثَلُكم ومثلُ اليهودِ والنصارى ... ».

(٣) ينظر شواهد التوضيح لابن مالك (١٠٨، ١٠٩)، البحر المحيط (٢/ ٣٨٥: ٣٨٩)، الدر المصون (١/ ٥٢٩: ٥٣١)، إبراز المعاني (٤١١)، شرح الأشموني (٢/ ٤٣٠).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ١٢٧] بالعطف على الضمير في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾، أي: وفيما يُتلَى عليكم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، قيل: «مَن» معطوف على الضمير المجرور في قوله: «حسبك»[(١)].

وإذا لم يكفِ مَن أنكر صحةَ عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ما تقدَّم من شواهد فأنكروا قراءةَ حمزة - إذا لم تكفهم تلك الشواهد فليتهم حملوها على تقدير إعادة الجارِّ وحذفه إيجازًا للعلم به، كما ذكرنا في الوجه الثاني من أوجه توجيه القراءة، وهو مُتمشٍّ مع ما قعَّدوه، فالـمُقَدَّر في حُكم الموجود، وهو وجه قوي، وشاهده موجود قويّ في اللغة، ومِثلُه كثير.

وقد بَوَّبَ ابن جني بابًا في كتابه «الخصائص» بعنوان: «باب في أن المحذوف إذا دلَّت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به إلا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع منه»، ومما جاء فيه: «كان رؤبة إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: خيرٍ، عافاك الله، أي: بخيرٍ، يحذف الباء لدلالة الحال عليها بجري العادة والعرف بها.

وكذلك قولهم: الذي ضربتُ زيدًا، تريد الهاء [أي: ضربتُه] وتحذفها؛ لأن في الموضع دليلًا عليها.

وعلى نحوٍ من هذا تتوجه عندنا قراءةُ حمزة، وهي قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالأَرحَامِ﴾، ليست هذه القراءةُ عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس، بل الأمر فيها دون ذلك، وأقربُ وأخفُّ وألطف، وذلك أنَّ لحمزة أن يقول لأبي العباس[(٢)]: إنني لم أحمل «الأرحام» على العطف على المجرور المضمر، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية، حتى كأني قلت:

---

(١) ينظر فيما تقدم من الآيات: البحر المحيط (٢/ ٣٨٨)، الدر المصون (١/ ٥٣٠)، أحاسن الأخبار (٣٤٢: ٣٤٤).

(٢) وذلك على سبيل المجاراة، وإلَّا فحمزةُ لم يقرأ إلا ما سمعه، وليس للاجتهاد في القراءة مدخل.

«وبالأرحامِ»، ثم حذفتُ الباءَ، لتقدُّم ذكرها، كما حُذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك: بمَن تَـمْرُر أمْرُر، وعلى مَن تَنزِل أنزل، ولم تقل: أمرُر به، ولا: أنزل عليه، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما ...»[1] إلى آخر كلامه رحمه الله.

قلت: لأنْ يجوز حذفُ الجارِّ والمجرور في «أمرر به»، و«أنزل عليه»، فجواز حذف الجار فقط مع تقدم ذكره في قراءة حمزة أولى.

وقد ذكر سيبويه رحمه الله: ما كلُّ سوداءَ تمرة، ولا بيضاءَ شحمة. قال: «كأنك أظهرت «كُلّ» فقلت: ولا كُل بيضاءَ»[2]. ثم ذكر قول أبي داود الإيادي:

أَكُــلَّ امْــرِيءٍ تَحسَــبِينَ امْــرأً ونَــارٍ تَوقَّـــد بالليـــل نَـــارَا

أراد: وكُلَّ نارٍ، فحذف «كُل» لدلالة ما في صدر البيت.

وقال أيضًا: «ومن العرب من يقول: اللهِ لأفعلَنَّ، وذلك أنه أراد حرف الجر، وإيَّاه نوى، فجاز حيث كثُر في كلامهم، وحذفوه تخفيفًا وهم ينوونه، كما حذف «رُبَّ» في:

وَجَــدَّاءَ مَــا يُــرْجَى بِهَــا ذُو قَرَابَــةٍ لِعَطْفٍ وَمَا يَخْشَى السُّـمَاةَ رَبِيبُهَـا

أراد: رُبَّ جَدَّاءَ»[3].

وقال ابن يعيش: «حذف الجار قد جاء في كلامهم، وله وجه من القياس، فأما مجيئه فنحو قوله:

وَبَلْـدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيس

والمراد: ورُبَّ بلدةٍ، وقولهم في القسم: اللهِ لأفعلنَّ، ويحكى عن رؤبة أنه كان يقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: خيرٍ، عافاك الله، يريد: بخيرٍ، وقد حمل أصحابُنا قراءةَ حمزة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَالأَرحَامِ ﴾ على حذف الجار، وأن التقدير فيه:

(١) الخصائص (٢٤٧، ٢٤٨).
(٢) الكتاب (١/ ٦٥، ٦٦).
(٣) الكتاب (٣/ ٤٩٨).

«وبالأرحامِ»، والأمرُ فيها ليس بالبعيد ذلك البُعد، فقد ثبت بهذا جواز حذف الجار في الاستعمال، وإن كان قليلًا»[(١)].

وقال الزركشي في أسباب الحذف: «ومنها شُهرته، حتى يكون ذكره وعدمه سواء، قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطقُ من لسان المقال، كقول رؤبة: خير، جواب من قال: كيف أصبحت؟، فحذف الجارَّ، وعليه حُمِلت قراءة حمزة: ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ ﴾؛ لأن هذا مكانٌ شُهِرَ بتكرير الجارِّ، فقامَت الشُّهْرَةُ مقامَ الذِّكر.

وكذا قال الفارسي متلخصًا من عدم إعادة حرف الجار في المعطوف على الضمير المجرور: إنه مجرور بالجارِّ المقدَّر، أي: «وبالأرحام»، وإنما حذفت استغناء به في الضمير المجرور قبله. فإن قلت: هذا المقدَّر يُحيل المسألةَ لأنه يصيرُ من عطف الجار والمجرور على مثله - قلت: إعادة الجار شرط لصحة العطف، لا أنه مقصود لذاته»[(٢)].

هذا ما تيسَّر من ذكر الردِّ على ما ضَعَّفوا به القراءة من جهة اللغة.

وأما تضعيفهم القراءةَ من جهة المعنى فمن أوجه:

١ - قالوا: في القراءة بالجرِّ سؤالٌ بالرحم، قالوا: وهو حلف، وقد نهى النبي ﷺ عن الحلف بغير الله، فقال: «لا تحلفوا بآبائكم»[(٣)]، وقال: «مَن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[(٤)].

والجواب عن ذلك من أوجه:

أحدها: احتمال أن يكون نزول الآية قبل ورود النهي.

---

(١) شرح المفصل (١/ ٥٦٤).

(٢) البرهان (٦٨٩)، ونحوه في الإتقان للسيوطي (١٦٠٢)، وينظر أحاسن الأخبار (٣٣٥: ٣٣٧) وفيه مزيد من الشواهد، إبراز المعاني (٤١١).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور - باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم في كتاب الأيمان والنذور - باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

الثاني: أن ذلك حكاية ما كانوا عليه من التساؤل بالرحم، والآية لا تقتضي جوازَ ذلك؛ لأنه لا يلزم من حكاية الشيء إباحتُه، وإنما حكى ذلك عنهم تذكيرًا لما كانوا يتعاطفون به في الجاهلية ليحثهم على صلة الأرحام في الإسلام، وأستبعد هذا الوجهَ؛ لأنه كيف يحكي عنهم شيئًا باطلًا ثم يسكت عن تبيين بطلانه؟، ولا أعني باستبعاده عدم حدوثه منهم في الجاهلية، بل حكايته عنهم مع حُرمَته ثم السكوت عليه، وفي الوجه الرابع توجيه أفضل من هذا الوجه.

الثالث: أن يكون ذلك قَسَمًا من الله عز وجل، لا من المخلوقين، ولله سبحانه أن يقسم بما شاء، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالخالق، وقد تقدم توضيح ذلك في الوجه الثالث من أوجه توجيه القراءة، وتقدم كلام القشيري والقرطبي في ذلك بما لا يجعل هناك تعارضًا بين الآية والأحاديث.

الرابع: أن الآية حكت عن تعظيمهم الرَّحمَ بالتساؤل بها، كقولهم: أسألك بالله والرحم، والسؤال بالرحم ليس قَسَمًا، وذلك أن السؤال بالله غير القَسَم به، والسؤال بالرحم غير القسم بها.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «... وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء: ١]، فعلى قراءة الجمهور بالنصب إنما يسألون بالله وحده لا بالرحم، وتساؤلهم بالله تعالى يتضمن إقسامَ بعضهم على بعض بالله، وتعاهدهم بالله، وأما على قراءة الخفض فقد قال طائفة من السلف: هو قولهم: أسألك بالله وبالرحم، وهذا إخبار عن سؤالهم، وقد يقال: إنه ليس بدليل على جوازه، **فإن كان دليلًا على جوازه فمعنى قوله: أسألك بالرحم ليس إقسامًا بالرحم، والقَسَمُ هنا لا يسوغ، لكن: بسبب الرحم، أي: لأن الرَّحِم تُوجِبُ لأصحابها بعضهم على بعض حقوقًا، كسؤال الثلاثة لله تعالى بأعمالهم الصالحة، وكسؤالنا بدعاء النبي ﷺ وشفاعته.**

ومن هذا الباب ما رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن ابن أخيه عبد الله بن جعفر كان إذا سأله بحق جعفر أعطاه، وليس هذا من باب الإقسام، فإن الإقسام بغير جعفر أعظمُ، بل من باب حق الرحم؛ لأن حق الله إنما وجب بسبب جعفر، وجعفر حقه

على عليٍّ ...»[١].

وقال أيضًا: «وأما قوله: «سألتك بالله أن تفعل كذا» فهذا سؤال وليس بقَسَم، وفي الحديث: «مَن سألكم بالله فأعطوه»[٢]، ولا كفارة على هذا إذا لم يجب سؤاله»[٣].

وقال الرازي: «العادة جرت في العرب بأن أحدهم قد يستعطف غيرَه بالرحم فيقول: أسألك بالله والرحم، وربما أفرد ذلك فقال: أسألك بالرحم، وكان يكتب المشركون إلى رسول الله ﷺ: نناشدك اللهَ والرحمَ أن لا تبعث إلينا فلانًا وفلانًا»[٤].

وقال القرطبي: «النهيُ إنما جاء في الحلف بغير الله، وهذا توسُّلٌ إلى الغير بحق الرحم، فلا نهي فيه»[٥].

وقال الآلوسي: «وقد ذكر بعضهم أن قول الشخص لآخر: أسألك بالرحم أن تفعل كذا -ليس الغرضُ منه سوى الاستعطاف، وليس هو كقول القائل: وَالرحمِ لأفعلنَّ كذا، ولقد فعلت كذا، فلا يكون متعلق النهي في شيء، والقول بأن المراد ها هنا حكاية ما كانوا يفعلون في الجاهلية لا يخفى ما فيه، فافهم»[٦].

٢- واستدل أبو جعفر النحاس على تخطئة القراءة بالجرِّ على أنها للقَسَم بحديث عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنت عند النبي ﷺ حتى جاء قومٌ من مضر حفاةً عراة، فرأيت وجهَ النبي ﷺ يتغيَّر لما رأى من فاقتهم، ثم صلى الظهر وخطب الناسَ، فقال: «يا أيها الناس اتقوا ربَّكم والأرحام»، ثم قال: «تصدَّق رجلٌ بديناره، تصدق رجل بدرهمه، تصدق رجلٌ بصاع تمره»، وذكر الحديث[٧]. قال

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢١٥، ٢١٦).
(٢) صحيح سنن أبي داود (١٦٧٢)، النسائي (٢٥٦٧)، كلاهما في كتاب الزكاة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) مجموعة الفتاوى (١/ ١٥١)، وينظر ما قبله وما بعده فقد أوضح فيه ذلك المعنى.
(٤) التفسير الكبير (٤/ ٦٥٥).
(٥) تفسير القرطبي (٢/ ١٦٧٠).
(٦) روح المعاني (٤/ ١٨٤، ١٨٥).
(٧) ينظر صحيح مسلم حديث رقم (١٠١٧).

النحاس: «فمعنى هذا على النصب لأنه حضَّهم على صلة أرحامهم»[(١)].ا.هـ

قال عبد الوهاب المزي –رحمه الله– رادًّا على ذلك: «وأما الحديث الذي استدل به أبو جعفر فلا يحتاج إلى الكلام فيه؛ لأنه إذا ثبت أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ بالنصب –وهو ثابت– لا يكون طعنًا في قراءة الجر؛ لأنَّا لا نقول إن قراءة النصب غيرُ ثابتة كما زعمَ هو في قراءة الجر؛ لأن النبي ﷺ كان يقرأ بوجوه القراءات كلها، تارة بهذا الوجه، وتارة بهذا الوجه».

٣– ومما أخذه ابنُ عطية على القراءة بالجر كذلك من حيث المعنى ما ذكره في تفسيره:

«ذكر الأرحام فيما يُتساءَل به لا معنى له في الحض على تقوى الله، ولا فائدة فيه أكثر من الإخبار بأن الأرحام يُتساءل بها، وهذا تفرق في معنى الكلام، وغض من فصاحته، وإنما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدة مستقلة»[(٢)].

وكم أشعر بأسى وأنا أنقل مثلَ هذا الكلام[(٣)]، ولكن إذ ذُكِر نرد عليه وأقول: ليس الأمر كما ذكر، فلِذكر التساؤل بالأرحام معنى، وهو أن التساؤل بها ناتج عن تعظيمهم إيَّاها، وذلك موجبٌ لأن يتقوها، كما أن تساؤلَهم بالله مُوجِبٌ لتقواه، فيُفهم من الآية الأمر باتقاء الأرحام التي يتساءلون بها، والله تعالى أعلم.

وقال الآلوسي رحمه الله: «وحديثُ إن ذكر الأرحام حينئذ لا معنى له في الحض على تقوى الله – ساقطٌ من القول؛ لأن التقوى إن أريد بها تقوى خاصة (وهي التي في حقوق العباد التي من جملتها صلة الرحم) فالتساؤل بالأرحام مما يقتضيه بلا ريب، وإن أريد الأعم

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١٧٠).

(٢) المحرر الوجيز (٢/ ٥).

(٣) قال أبو حيَّان – رحمه الله – معلقًا على كلام ابن عطية: «... جسارةٌ قبيحة منه، لا تليق بحاله، ولا بطهارة لسانه، إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة، عثمانَ، وعليٍّ، وابنِ مسعود، وزيدِ بن ثابت، وأقرأِ الصحابةِ أُبيِّ بن كعب، عمدَ إلى ردِّها بشيءٍ خطرَ له في ذهنه، وجسارتُهُ هذه لا تليق إلا بالمُعتزلة كالزمخشري، فإنه كثيرًا ما يطعَنُ في نقل القراء وقراءتهم». البحر المحيط (٣/ ٥٠٠)

فلدخوله فيها»[(١)] .ا.هـ

وقد أطلت في ذكر الرد على مَن طعن في هذه القراءة لأنها من أكثر المواضع التي تعرضت للنقد في القراءات عمومًا، وفي قراءة حمزة خصوصًا، وهو أمر قديم قد حُسِمَ الأمر فيه.

وأزيد الأمرَ حسمًا بنقل كلام بعض الأئمة رحمهم الله في الدفع عن هذه القراءة وقارئها.

قال عبد الوهاب المزي -رحمه الله-: «حمزةُ -رحمه الله- لم ينفرد بهذا الحرف، بل قرأه بالخفض جماعة، منهم: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ويحيى بن وثاب، وأبان بن تغلب، واليماني، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وأبو رزين، وأبو البلاد، وأبو صالح، وابن إدريس، وشيبان، وطلحة بن مصرف، والأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، وغير هؤلاء»[(٢)].

وقال: «فيا عجبًا من مُلَحِّن حمزة كيف يتجرَّأ على ردِّ حرف منقول عن الأئمة الثقات إلى رسول الله ﷺ، مع أنه يحتجُّ في العربية بقول بعض صبيان العرب في الجاهلية، يقول قائلُهم: سمعتُ بعضَ الأعراب يقول كذا وكذا، فلا يردونه، ويردون حرفًا منقولًا متواترًا عن هؤلاء الأئمة!! فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا».

وقال الرازي: «... واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوهًا قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات؛ وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة، **ولم يأتِ بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن رسول الله ﷺ**، وذلك يوجِب القطع بصحة هذه اللغة، **والقياس يتضاءل أمام السماع**، لاسِيَّما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت»[(٣)].

وقال السمين رحمه الله: «ولا التفاتَ إلى طعْنِ مَن طعَنَ فيها، **وحمزةُ بالرتبة السَّنِية**

(١) روح المعاني (٤/ ١٨٤).
(٢) أحاسن الأخبار (٣٣٣)، وينظر إبراز المعاني (٤١١).
(٣) التفسير الكبير (٤/ ٦٥٣).

المانعة له من نقل قراءة ضعيفة»[(١)].

وقال أبو حيان رحمه الله: «...وإنما ذكرتُ هذا وأطلت فيه لئلا يطَّلِع غُمْرٌ على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيُسيء ظنًّا بها وبقارئها، **فيُقارب أن يقعَ في الكفر بالطعن في ذلك، ولسْنا مُتعبَّدين بقول نُحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم**، فكم حُكمٍ ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حُكمٍ ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون، وإنما يعرف ذلك مَن له استبحار في عِلم العربية، لا أصحاب الكنانيس المشتغلون بضروب مِن العلوم الآخِذون عن الصحف دون الشيوخ»[(٢)].

وقال الآلوسي رحمه الله: «... **فالتشنيع على هذا الإمام** [يعني حمزةَ] **في غاية الشناعة، ونهاية الجسارة والبشاعة، وربما يُخشى منه الكفر**، وما ذُكِر من امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين، **ولسنا مُتعبَّدين باتباعهم»**[(٣)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «... فإن القرآنَ لغتَه، ونحوَه، وتصريفَه، ومعانيَه، كلها منقولة بالتواتر، لا يحتاج في ذلك إلى نقل غيره، بل نقلُ ذلك كله بالتواتر أصحُّ من نقل كل لغة نقلها ناقلٌ على وجه الأرض، وقواعد الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة منه، مأخوذة من إعرابه وتصريفه، وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتج له بها، فهو الحجة لها والشاهد، وشواهدُ الإعراب والمعاني منه أقوى وأصحُّ من الشواهد من غيره، حتى إن فيه من قواعد الإعراب وقواعد علم المعاني والبيان ما لم تشتمل عليه ضوابطُ النحاة وأهل علم المعاني إلى الآن»[(٤)].

وختامًا أقول: القراءة صحيحة ومتواترة، وهي من كلام الله عز وجل، ولا يُستدلُّ لكلام الله، ولا أحسن من الله قولًا، وإنما يُجتهدُ في توجيهها وتفسيرها. والذي يبدو لي أن «الأرحام» بالجر معطوفة على الضمير المجرور في «به» مباشرة -وكفى بكلام الله

---

(١) الدر المصون (٢/ ٢٩٧).
(٢) البحر المحيط (٣/ ٥٠٠).
(٣) روح المعاني (٤/ ١٨٤).
(٤) الصواعق المرسلة (٢/ ٧٤٧).

تعالى شاهدًا-، أو أن الجار مقدَّر، والأول أولى لأن ما لايحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إليه، ولثبوته بالقرآن الكريم وشواهد العرب. قال ابن خالويه رحمه الله: «**وإذا كان البصريون لم يسمعوا الخفض في مثل هذا، ولا عرفوا إضمارَ الخافض فقد عرفه غيرُهم**»[(١)].

على أن التساؤل بالرَّحم ليس قسَمًا كما قال شيخ الإسلام رحمه الله، وأمَّا الجرُّ على القَسَم فأراه بعيدًا، والله تعالى أعلم.

﴿ فَلِأُمِّهِ ﴾ [النساء: ١١] معًا: قرأ بكسر الهمزة (فَـلِإِمِّهِ).

لاستثقال الضمة بعد الكسرة وذلك لأن اللام لشدة اتصالها بـ «الأُمّ» صار المجموع كأنه كلمة واحدة (لِأُم)، وليس في كلام العرب «فِعُل» بكسر الفاء وضم العين، فأُتبعت الهمزةُ كسرةَ اللام تخفيفًا ليعمل اللسان عملًا واحدًا. وقد فعلوا هذا في الهاء في «عليْهِم وبِهِم»، أَتْبَعُوا حركتَها حركةَ ما قبلها -فالياء كالكسرة-، وأصلُ الهاء الضمُّ، والإتْباعُ في كلام العرب كثير مستعمل.

وكسر همزة «أم» بعد الكسرة أو الياء حكاه سيبويه لغةً عن العرب، ونسبها الكسائي والفراء إلى هوازن وهذيل[(٢)].

﴿ يُوصَىٰ ﴾ [النساء: ١٢] قرأ بكسر الصاد (يُوصِي).

مبنيًّا للفاعل، والضمير عائدٌ إلى معلومٍ من الكلام وهو الميِّت، كما عاد الضميرُ في: ﴿ مَا تَرَكَ ﴾[النساء: ١١]، و«بِهَا» على هذا في محلِّ نصب.

﴿ كَرْهًا ﴾ [النساء: ١٩] قرأ بضم الكاف (كُرْهًا)، وكذلك بالتوبة.

قيل: الفتح والضم لغتان بمعنى واحد، أي مصدران كالضَّعْف والضُّعْف والجَهْد والجُهْد، نُسب الفتح إلى أهل الحجاز، والضم إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم

(١) الحجة لابن خالويه (١١٩).
(٢) ينظر الدر المصون (٢/ ٣٢١)، البحر المحيط (٣/ ٥٤٠).

وأسد[١].

وقيل: المضموم اسم مفعول والمفتوح المصدر، والله تعالى أعلم.

وقيل: «الكرهُ» بالفتح الإكراه، وبالضم المشقة، فما أُكرِهَ عليه فهو «كَرْهٌ» بالفتح، وما كان من نفسه فهو «كُرْهٌ» بالضَّم.

قال المنتجب: «... وقيل: الفتح فِعلُ المضطر، والضمُّ فِعل المختار، عن الفراء، ومعنى ذلك أنك إذا قلت: فعلت الشيء كَرهًا بالفتح، أي: أُكرهت عليه وفعلته بغير اختياري، وفعلته كُرهًا بالضم، أي: فعلته على مشقة، وإن كان باختياري»[٢].

وعلى هذا قال الباحث عزات السويركي: «لقد أفادَت قراءةُ الفتح «كَرْهًا» أنه لا يحلُّ إجْبارُ المرأة التي تُوفِّيَ عنها زوجُها أو إكراهُها على نكاحِ مَن لا تريد. أما قراءة الضم «كُرْهًا» فأفادت أنه لا يحِل أيضًا إلجاؤها إلى ذلك عن طريق مَنعِها من الزواج، فتكون بذلك كارهةً، وإن لم يقع عليها فعلُ الإكراهِ صَراحةً، فالقراءتان أفادتا منعَ إكراهِ المرأة المطلَّقة من الزواجِ بمن تكره، سواء كان ذلك الإكراه صريحًا، أو كان بأساليب ملتوية، **وفي ذلك حماية لحرية المرأة التي صانها لها الدينُ، وتأكيدٌ على تحريمِ ما كان يجري في الجاهلية، والله تعالى أعلم**»[٣].

﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ ﴾ [النساء: ٢٥] قرأ بفتح الهمزة والصاد (أَحْصَنَّ).

مبنيًّا للفاعِل، أحصَنَّ أنفسهنَّ بالتزويج أو الإسلام والحرية والعفة، أو أحصنَّ أزواجَهُنَّ، وذلك أن الزواجَ فيه إحصانٌ للزوجَة، وللزوج أيضًا على حد سواء، فقد جاء في الحديث: «يا معشر الشباب مَنِ استطاع منكم الباءةَ فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج»[٤].

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٠: ١٢٢)، والذي ذكره أبو حيان في «الضَّعْف» و«الضُّعْف» عن أبي عمرو بن العلاء أن الفتح لغة تميم، والضم لغة الحجاز – البحر المحيط (٥/ ٣٥١).

(٢) الكتاب الفريد (٢/ ٢٣١).

(٣) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٢/ ١٣٤).

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٠٦٥)، ومسلم في كتاب النكاح أيضًا (١٤٠٠).

قال القرطبي: «بالفتح معناه أسلَمْن، وبالضَّم: زُوِّجْن».اهـ ، وعليه فقد اختلَفَ السَّلَفُ في حَدِّ الأَمَة متى يجب[١].

قال مكي: «وحُجة مَن فتح الهمزة أنه أسند الفِعلَ إليهن، على معنى: فإذا أَسْلَمْنَ، وقيل: عَفَفْنَ، وقيل: أحصَنَّ أنفسهَنَّ بالتزويج، فالحد لازِم لهن إذا زَنيْنَ في الوجوه الثلاثة، ومَن ضَمَّ الهمزة فإنما يجعل الحد لازِمًا لهن إذا زَنيْنَ بعدَ التزويجِ لا غير، وقد أجمع على وجوب الحد على المملوكة إذا زنت وإن لم تكن ذاتَ زوج»[٢].

﴿ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء: ٣٧] قرأ بفتح الباء والخاء (بِالْبَخَلِ)، وكذلك بسورة الحديد.

لغة فيه كالحُزْن والحَزَن، والعُرْبِ والعَرَب، وقيل: التحريكُ المصدر، والإسكانُ الاسم[٣].

وفي شرح الطيبة للنويري: البَخَل بفتحتين لغة أسد، وبالضم والإسكان لغة قريش، وذكر الرَّازي في تفسيره أن الفتح لغةُ الأنصار، وقال في الضم والإسكان: هي اللغة العالية.

﴿ تُسَوَّىٰ ﴾ [النساء: ٤٢] قرأ بفتح التاء (تَسَوَّى).

أصله «تَتَسَوَّى» مضارع «تَسَوَّى» مبنيًا للفاعِل، وحُذِفتْ إحدى التاءين تخفيفًا، يقال: سويته فتسوَّى، و«الأرضُ» فاعل، قيل: معناه تنشق الأرضُ وتبتلِعُهم، وتكون الباء بمعنى «عَلى»، وقيل تمنَّوْا أن تستوي بهم فيكونوا تُرَابًا[٤]، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ [النبأ: ٤٠].

قال الباحث السويركي: «لقد أفادت القراءة الأولى والثانية «تَسَوَّى» و«تَسَّوَّى» أن

---

(١) للمزيد ينظر أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية (٣٨٤: ٣٩٣)، تفسير القرطبي (٢/ ١٨٠٨، ١٨٠٩).
(٢) الكشف (٢٦٣).
(٣) الحجة لابن خالويه (١٢٣).
(٤) ينظر الدر المصون (٢/ ٣٦٧).

الأرض هي التي تسوى بهم، أي أنهم تمنَّوْا لو انفتحت الأرضُ فساخوا فيها فيكونوا من ترابها لئلا يحاسَبوا، أو تسوى عليهم الأرض فيهلكون فيها، في حين أن القراءة الثالثة «تُسَوَّى» أفادت أن لو سَوَّى اللهُ بهم الأرضَ فيجعلهم وهي سواءً حتى لا يُبعثوا، أو أنهم يُصبحون كالبهائم يومَ القيامة في مصيرها حيث تصبح تُرابًا. فالقراءتان أفادتا معًا تمنِّي الكافرين الفرارَ من العذاب ولو بأي شكل من الأشكال، والله تعالى أعلم»[١].

﴿ لَٰمَسْتُمُ ﴾ [النساء: ٤٣] قرأ بحذف الألف (لَـمَسْتُمُ)، وكذلك بالمائدة.

مِن اللَّمس، على أن الفِعل في باب الجِماعِ مُضاف إلى الرجل، سواء كان بمعنى الجِماع كما هو رأي أبي حنيفة، أو بمعنى اللمس كما هو رأي الشافعي، رحمهما الله تعالى. وقيل: لَمَسَ: جامَعَ، ولامَسَ: لما دون الجِماع، وقال البيضاوي: «واستعمالُه -أي: لمستم- كنايةً عن الجماع أقلُّ من الملامَسة»، والله تعالى أعلم[٢].

قال الباحث عزات السويركي: «... بناءً على ما سبق من احتجاجِ كلِّ فريق إلى ما ذهبَ إليه من قرائن الأحوال، فلا مطمعَ في الانتصار لمذهب دون مذهب، ولكن يمكن أن أؤكد من خلال ذلك أثرَ تنوعِ القراءات واختلافها على الكثير من مسائل الفقه، ويمكن الجمعُ بين القراءتين بأن الله تعالى أمرَ بالوضوء من غشيان النساء على سبيل الحتم، ثم أمر به مِن مَسِّهن على سبيل النَّدْب، وإنما صرف المعنى ها هنا من الحتم إلى الندب ما رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قَبَّل بعضَ نسائه، ثم خرج للصلاة، ولم يتوضأ. قال عروة: مَن هي إلا أنتِ؟، فضحكت»[٣].

وهذا ما اختاره الحنابِلة على المشهور حيث قالوا: وإذا لم ينتقضِ الوضوء بمس

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٢/ ١٤٧، ١٤٨).

(٢) ينظر أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣٥٩)، مُرشِد الأعزة (٤٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٤٢)، وللمزيد لما يترتب على كل من القراءتين من الأحكام الفقهية ينظر أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية (٨٢: ٩٤)، أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية (٣٥: ٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٨٦)، وابن ماجه (٥٠٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٧٩).

أنثى فإنه يُستحَب»[١].

﴿ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ ﴾ [النساء: ٧٣] قرأ بياء التذكير (يَكُن).

قيل: حملًا على المعنى؛ لأن المودَّة بمعنى الوُدِّ، وأيضًا فإن تأنيث «مودة» غير حقيقي، وقد فصل بينها وبين الفعل، فحَسُن ترك علامة التأنيث.

﴿ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧] قرأ بياء الغيبة (يُظْلَمُونَ).

جريًا على ما تقدم من الغيبة من قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ ﴾ [النساء: ٧٧].

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء: ٩٤] معًا: قرأ بثاء مثلثة بدلًا من الباء، وباءٍ مشدَّدَة مفتوحة بدلًا من الياء المشددة، وتاء مضمومة بدلًا من النون المضمومة (فَتَثَبَّتُوا)، وقرأها كذلك في الحجرات.

من التثبُّت، وهو التأني واستعمال الثبات. أي: فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحةَ الخبر، يقال: تثبَّتْ في أمرِك، أي لا تعجَلْ حتى تعلمَ ما وجهُه، والتثبت تكلُّف الثبات، ومعنى التكلف غالب على «تَفَعَّل»، وأما «فتبينوا» أي: فافحصوا واكشفوا[٢].

قال أبو شامة: «من الثبات في الأمر، والثبت هو خلاف الإقدام، والمراد: التأنِّي وخلاف العَجَلة ...، وقرأها الباقون من بيان الأمر، وهو ثمر التثبت فيه، فيستعمل في موضعه، ... وقال الفراء: هما متقاربان في المعنى، يقول ذلك للرجل: لا تعجل بإقامة الحد حتى يتبين ويتثبت».

وقال مكي: «لما كان معنى الآية الحض للمؤمنين على التأني وتركِ الإقدام على القتل دون تثبت وتبيُّن أتى بالتثبت لأنه خلاف الإقدام، والتثبت أفسح للمأمور من التبين لأن كل مَن أراد أن يتثبت قدر على ذلك، وليس كل مَن أراد أن يتبين قدر على

(١) تفسير القرآن بالقرءات القرآنية العشر (٢/ ١٥٠، ١٥١).
(٢) ينظر حجة القراءات لابن زنجلة (٢٠٩).

ذلك لأنه قد يتبين ولا يتبين له ما أراد بيانه.

وحُجة مَن قرأ بالياء من البيان أنه لما كان معنى الآية: افحصوا عن أمرِ مَن لقيتموه، واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله حتى تتبين لكم حقيقةُ ما هو عليه مِن الدِّين حمل على التبين؛ لأنه به يظهرُ الأمر، وأيضًا فإن التبين يَعُم التثبتَ؛ لأن كل مَن تبينَ أمرًا فليس يتبينه إلا بعد تثبت، ظهر ذلك الأمرُ أو لم يظهر، لا بد من التثبت مع التبين، ففي التبين معنى التثبت، وليس كل مَن تثبَّت في أمرٍ تبينه، قد يتثبت ولا يتبين له الأمر، فالتبين أعم من التثبت في المعنى لاشتماله على التثبت».

قال الدكتور الجمل: «... إذن لكل قراءة معنى له أهمية في إبراز الفهم التكاملي للآية الكريمة، ولا نوافق على من جعل قراءة (فتبينوا) مُغنيةً عن قراءة (فتثبتوا)» [(١)].

وقال الدكتور أحمد سعد: «وإذا كان الفارسي ومكي قد حملا قراءةَ (فتبينوا) على معنى العموم كما سبق، فإنَّ أبا شامة يحمل القراءتين على ترتب الأفعال في الوجود، فيكون التثبت أولًا، ثم يأتي التبين؛ ليكون ثمرتَه ونتيجته، وذاك ما نركن إليه بِناءً على جواز تغاير معنى القراءتين تحقيقًا لذلك الأصل المعتبر من تغاير القرءات الدالِّ على كمال إعجازه بإيجازه».

وقال الباحث عزات السويركي: «لقد أفادَت قراءةُ (فتثبَّتوا) ضرورةَ التثبت، وهو تركُ الإقدام والتهور على فِعل الأمر بغير دليل مع البدء في البحث مما يثبت حال الشخص المراد البطش به. أمَّا قراءةُ (فتبيَّنوا) فقد أفادت معنى آخر لا يقِلُّ خطورةً عن سابقه وهو التبين والذي يعني: الفحص والكشف، وبيان حقيقة ما عليه الشخصُ المعنيُّ من الدين والعقيدة، فالقراءتان أفادَتا أنه ينبغي التثبت حتى نتبيَّن؛ لأن الوقوع في خطأٍ في هذا المجال يُسبِّب حَرجًا شديدًا للمسلمين، وقضيةُ التبين ينبغي أن تأخذ مداها في أي لحظة أو تخطيط أو تنفيذ، بدون أن يكون ذلك مُثبطًا للهِمَم وسببًا في القعود عن

(١) الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة (٣١٤).

الجهاد في سبيل الله، والله تعالى أعلم».

﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ [النساء: ٩٤] قرأ بحذف الألف التي بعد اللام (السَّلَمَ)، وكذلك بسورة محمد ﷺ.

قال مكي: «على معنى الاستسلام والانقياد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧] فالمعنى: لا تقولوا لمن استسلم إليكم وانقادَ لستَ مُسلمًا فتقتلوه حتى تتبينوا أمرَه.

وقرأ الباقون: «السلام» بألِف، على معنى السَّلام، الذي هو تحية الإسلام، وعلى معنى: لا تقولوا لمن حيَّاكم تحيَّةَ الإسلام لست مؤمنًا فتقتلوه لتأخذوا سَلَبَه.

ويجوز أن يكون المعنى: لا تقولوا لمن كف يَدَه عنكم واعتزلكم لست مؤمنًا.

حكى الأخفش أنه يُقال: أنا سَلام، أي: معتزل عنكم، لا نخالطكم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، لم يُخبر عنهم أنهم حَيَّوهم بالسلام، إنما معناه: قالوا براءة منكم لا نُخالطكم».ا.هـ

وقال ابن حجر: «وفي الآية دليل على أن مَن أظهر شيئًا من علامات الإسلامِ لم يَحِل دَمُه حتى يُختبَرَ أمرُه؛ لأن السلام تحية المسلمين، وكانت تحيتُهم في الجاهلية بخلاف ذلك، فكانت هذه علامةً. وأمَّا على قراءة «السَّلَم» على اختلاف ضبطه فالمراد به الانقيادُ، وهو علامةُ الإسلامِ لأن معنى الإسلام في اللغة الانقيادُ، ولا يلزم من الَّذي ذَكرتُه الحكمُ بإسلام مَن اقتصَر على ذلك وإجراءُ أحكام المسلمين عليه، بل لا بدَّ مِن التلفُّظ بالشهادَتَين على تفاصيلَ في ذلك بين أهل الكتاب وغيرهم، والله أعلم»[(١)].

وقال الباحث عزات السويركي: «لقد بينت قراءة «السلام» قاعدةً مهمة من قواعد العمل العسكري في الإسلام، وهي التعامل مع المحاربين، فقد بينت أن عصمة

(١) فتح الباري (٨/ ٢٥٩).

دماء المحاربين بأشياء، وهي:

الأولى: إسلامهم، لقول النبي ﷺ فيما يرويه البخاري في الصحيح: «أُمِرتُ أن أُقاتِل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مِنِّي دماءَهم»[(١)].

الثانية: إلقائهم تحية الإسلام، وهي السَّلام، بدليل ما روي من سبب نزول في الآية، ولكن يجب التحفظ هنا، فلا نحكم بإسلامه بمجرد إلقاء السلام، بل نعصم دمَه إلى أن يتبين حِلُّه، كما قال الإمامُ مالك -رضي الله عنه- في الكافر يوجد فيقول: جئت مُستأمِنًا: هذه أمور مشكلة، أرى أن يرد إلى مأمنه، ولا يحكم عليه بحكم الإسلام، حتى يتكلم بالكلمة العاصمة «لا إله إلا الله»، ووجه عصمة دمه لمجرد السلام أن سلامه بتحية الإسلام مُؤذِنٌ بطاعته وانقياده.

الثالثة: اعتزالهم قتال المسلمين، أي: لا تقولوا لمن كفَّ يده عنكم واعتزلكم: لست مؤمنًا»، ثم نقل ما تقدم مما حكاه الأخفش.

وقال: «أما القراءة بغير الألف «السَّلَم» فقد أضافت أمرين يستأمن بهما المحاربون لم يُذكروا في القراءة الأولى، وهما:

أولًا: استسلامهم وانقيادهم للمسلمين بعد قهرهم.

ثانيًا: مصالحتهم ومسالمتهم للمسلمين بعقد الصلح والهدنة والنزول عند شروط المسلمين.

وبذلك نرى أن القراءتين قد بينتا في تناسق وتكامل فريد منهجَ القرآن في قضية من

(١) رواه البخاري (٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «أُمرت أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مِنِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحق الإسلام، وحِسابُهم على الله».
والترمذي (٢٦٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «أُمِرتُ أن أُقاتِل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا مِنِّي دماءَهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابُهم على الله».

أخطر القضايا التي تهم المجتمعَ المسلم، والله تعالى أعلم»[١].

﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ ﴾ [النساء: ١١٤] قرأ بالياء التحتية (يُؤْتِيهِ).

أي: فسوف يُؤتيه اللهُ، لقوله تعالى قبله: ﴿ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾.

قال ابن خالويه: «فالحُجَّة لمن قرأ بالياء أنه مِن إخبار الرسولِ عليه السلام عن الله عزَّ وجلَّ، والحجة لمن قرأ بالنون أنه من إخبار الله عزَّ وجل عن نفسه بالنون».

وقال الباحث عزات السويركي: «قد يرى القارئ الفرق بين القراءتين لا يعدو كونَه لفظيًّا، والصواب خلاف ذلك، فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو من أساليبِ القرآن الكريم، وفيه من إثراء المعاني وتنوُّعِها الكثير، وبإظهار العلاقة التفسيرية بين القراءات يكونُ المعنى والله أعلم: وإنَّ مَن أمرَ بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس ابتغاءَ مرضاة الله لا رياء فقد وعده اللهُ بالأجر العظيم بطريقتين:

الأولى: بنفسه، وهو ما يُفهَمُ مِن قراءة (نُؤتيه)، وهو تأكيدٌ على أهمية الوعد وحتمية تنفيذِه. والثانية: على لِسان رسوله ﷺ، وهو ما يُفهَمُ مِن قراءة (يُؤتيه)، وفي ذلك ما فيه من تأكيد تحقيقِ ذلك الوعدِ الرباني.

وفي الآية لفتةٌ عظيمة إلى أن الأعمالَ المذكورةَ في الآية من التصدق أو الأمر بالمعروف أو الإصلاح بينَ الناس فيها مجالٌ كبير لدخول الشرك والرياء فيها، لِذا جاء التأكيدُ الإلهي بعِظَمِ أجرِ مَن أخلَصَ في هذه الأعمال بالأسلوبين - المتكلمِ بصيغة التعظيم، والغائبِ كذلك»[٢].

﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ ﴾ [النساء: ١٣٥] قرأ بضم اللام، وبعدها واو واحدة ساكِنة (تَلُوا).

قيل فيها وجهان:

الأول: أنه من الولاية -وولاية الشيء الإقبال عليه، وهو خلاف الإعراض عنه-،

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٢/ ١٥٤، ١٥٥).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٢/ ١٥٨، ١٥٩).

من وَلِيَ يَلِي، ومنه قولك: وليت الحكم والقضاء بين الرجلين، ودليل حملِه على «ولي» أن بعده: ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾، والمعنى: إن وليتم أمر إقامة الشهادة فتقبلوا وتتموه، أو تُعرِضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا فيُجازي المحسِنَ بإحسانه، والمسِيءَ المعرِضَ بإعراضه.

قال ابن عاشور: «هو مضارع وَلِيَ الأمرَ، أي: باشره. فالمعنى: وإن تلوا القضاءَ بين الخصوم، فيكون راجعًا إلى قوله: ﴿أَن تَعۡدِلُواْ﴾، ولا يتجه رجوعه إلى الشهادة، إذ ليس أداء الشهادة بولاية».

وأصله: «تَوْلِيُوا»، حُذِفت الواو الأولى لوقوعها بين حرف المضارعة وكسرةٍ، فصار «تَلِيُوا» مثل «تَعِدُوا» وبابِه، فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان: الياءُ وواوُ الضمير فحذف أوَّلُهما -وهو الياء- وضُمت اللامُ المكسورة لأجل واو الضمير فصار «تَلُوا»، على وزن «تَفُوا».

والثاني: أنه من اللي، وأصله: «تَلْوُوا»، من لَوى يَلْوِي كقراءة الجماعة، إلا أن الواو قلبت همزة «تلْؤُوا» لانضمامها كقلبها في «أُجُوه» و«أُقتَتْ»، ثم نقلت حركة هذه الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفت فصار «تَلُوا»، ويكون معنى القراءَتين واحِدًا.

وقراءة «تلْوُوا» بواوين ولام ساكنة مِن لوَى يلوِي، وأصله: «تَلْوِيُوا»، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فسكنت وبعدها الواو الساكنة، فحذفت لالتقاء الساكنين، وضمت الواو الأولى للواو التي بعدها.

وهو من ليِّ القاضي، وإعراضه لأحد الخَصَميْن على الآخر،

أو من لَيِّ الشهادة، وهو تحريفُها وتبديلها، ومنه قوله تعالى: ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨]، أي: يزيلونها عن الحق إلى الباطل والكذب، والمعنى: وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن أداء الشهادة وتمنعوها،

أو هي من ليِّ الغريم، وهو مطله، يقال: رَجل ليَّان، وامرأة ليَّانة أي: مُماطِلة، وعلى ذلك اختلف في الضمير في الآية أيعود للشاهد أو للقاضي.

قال الطبري: «... وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل مَن تأوَّله أنه ليُّ الشاهدِ شهادَته لمن شَهِدَ له وعليه، وذلك تحريفُه إيَّاها بلسانه، وتركُه إقامتَها ليبطل بذلك شهادَته لمن شهد له وعمن شهد عليه، وأمَّا إعراضُه عنها فإنه تركُه أداءَها والقيامَ بها، فلا يشهدُ بها»[(١)].

ويقول الباحث عزات السويركي: «لقد أفادت القراءةُ الأولى إلى أهمية تولي أمرِ إقامةِ الشهادة والقضاء بين الناس لما في ذلك من أهمية في فَضِّ المنازَعات بين الناس، فإن توليتم أمرَ إقامةِ الشهادة أو أعرضتم عن ذلك فإنَّ الله بما تعملون خبير، أما القراءة الثانية فقد تحدثت عن بعض القضايا الإجرائية المهمة التي لا بُدَّ منها بعد تولي أداءِ الشهادة أو القضاء، حيث يُشترَط النزاهةُ وعدمُ الميلِ لأحد الخصمَين، أو أن يلويَ الحقَّ عن وجهه، وعلى القاضي أن يُسوِّيَ بين الخصوم في المجلس والنظر والكلام، وتركُ إسرارِ أحدِهما والخلوةِ به، والله تعالى أعلم»[(٢)].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ [النساء: ١٤٠] قرأ بضم النون وكسر الزاي (نُزِّلَ عَلَيْكُمْ).

مبنيًّا للمفعول، و«أنْ» وما بعدها في محل رفع نائب فاعل، أي: وقد نُزِّلَ عليكم المنعُ من مُجالسة المنافقين والكافرين عند سماعكم الكفرَ بآيات الله والاستهزاء بها.

قال الدكتور الزهيري: «قراءة «نَزَّل» بفتح النون تفيد النظرَ إلى الفاعل، وهو الله، ففيها تقديس وتعظيم ما أنزله الله، سواءٌ في القرآن أو على رسوله في السُّنَّة، وقراءة الضم تفيد النظرَ إلى الفِعل نفسه، ففيها بيان أن ما اختاره الله لكم ونزله عليكم من الشرائع هو أفضل الشرائع، فشكرُ هذه النعمة بالتزام شرع الله، أو تفيد النظر إلى الكتاب الذي نزل فيه هذا الحكم، ففيها بيانُ تقديس كل [ما] نزل حكمه في هذا الكتاب - أي القرآن»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٩٣).
(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٢/ ١٦٦).
(٣) الدرر الباهرة (١/ ٢١٧، ٢١٨).

﴿ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ ﴾ [النساء: ١٥٢] قرأ بنون العَظَمة (نُؤْتِيهِمْ).

على الالتِفات من الغيبة إلى التكلم، ومُقابلة لقوله تعالى قبله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾ [النساء: ١٥١]. قال الدكتور الزهيري: «القراءتان متواترتان، وليست إحداهما بأولى من الأخرى، وقراءة النون تفيد عظمَ الأجر الذي أعده الله لهم، وقراءة الياء تفي تعيينَ الفاعل، فلا يملك ذلك إلا الله»(١).

﴿سَنُؤۡتِيهِمۡ﴾ [النساء: ١٦٢] قرأها بالياء (سَيُؤْتِيهِمْ).

عَودًا على قوله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٦٢].

قال الدكتور الزهيري: قراءة سنؤتيهم بالنون تفيد عظيمَ الأجر والثواب والفضل من الله عليهم بذلك كما تفيد عظيمَ النعيم الذي يكون فيه أهل الجنة إذ ثوابُ وفضلُ العظيمِ عظيمٌ، وقراءة الياء تفيد تعيينَ الفاعل، وهو الله.

﴿ زَبُورٗا ﴾ [النساء: ١٦٣] قرأ بضم الزاي كيف وقع في القرآن الكريم (زُبُورًا).

على أنه جمعُ «زِبْر» أو «زَبْر» -وهو الكِتاب-، نحو: فلْس وفُلُوس، ودَهْر ودُهُور، والمُرادُ به المَزْبُور، كقولك: هذا ثوبٌ نَسْجُ اليَمَنِ، أي منسوجه، ودرهم ضرْبُ الأمير، أي مضرُوبه، كما سُمِّيَ المكتوبُ كتابًا، فهو مصدرٌ واقعٌ موقِعَ المفعولِ به، وجازَ جمعُه وإن كان مصدرًا لوقوعه موقعَ الأسماء، فالمصدر إذا أقيم مقام المفعول جاز جمعُه، كما أن الكتاب مصدر في الأصل، ويُجمع على كُتُب لَمَّا كان بمعنى المكتوب.

أو أنه جمع «زَبُور» في قراءة العامة، ولكنه على حذف الزوائد، يعني حُذِفت منه الواوُ فصار اللفظ «زَبر»، ثم جُمع على فُعول كبحر وبُحور، كما جمع ظَرِيف على ظُرُوف كأنه جمع «ظرف»، وطريق وطروق، مما يُجمَعُ بحذف الزيادة، قال السمينُ الحلبي: «وهذا لا بأسَ به، فإن التكسير والتصغير يجريان غالبًا مجرًى واحدًا، وقد رأيناهم يُصغرون بحذف الزوائد نحو: (زُهَيْر وحُمَيْد) في (أزهر ومحمود)، ويسميه النحويُّون «تصغير الترخيم»،

(١) الدرر الباهرة (١/ ٢١٩).

فكذلك التكسير». ا.هـ

قال الزجاج: «من قرأ «زَبورًا» بفتح الزاي فمعناه: كتابًا، وهذا الوجه عند أهل اللغة؛ لأن الآثار كذا جاءت: زَبور داود، كما جاء: توراة موسى، وإنجيل عيسى. ومَن قرأ «زُبورًا» بضمِّ الزاي فمعناه: وآتيناه كُتبًا»(١).

وقال أبو شامة: «وفتح الزاي من الزبور وضمها لغتان في اسم الكتاب الْمُنزل على داود عليه السلام ... يقال: زبرَ إذا كتبَ، ويُقال: زبرتُ الكتابَ إذا أحكمتُ كِتابَته. وقال مكي: زبرت الكتاب أي جمعته، فهو مثل تسمية المكتوب كتابًا». ثم قال: «الإفراد وجهه ظاهر؛ لأن المتيَقَّن كتاب واحد أنزل على داود اسمه الزبور، كالتوراة والإنجيل والقرآن، أما وجهُ الجمع إن كان مُرادًا فله معنيان: أحدهما أن الجمع توجَّهَ إلى أنواع ما فيه، فكلُّ نوع منها زَبْر، والآخر أن يكون نزل على داود صُحُف متعددة كما جاء: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩]»(٢).

سورة المائدة

﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] قرأ بخفض اللام (وَأَرْجُلِكُمْ).

فيها أوجه:

الأول: أنه منصوب في المعنى عطفًا على الأيدي المغسولة، وخُفِضَ على الجوار، كقول العرب: «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» بجر «خَرِبٍ» مع أنه صفة لـ«جُحْر» المرفوع، ولكن العرب جَرَّته على سبيل الْمُجاوَرة(٣)، وعلى هذا القول فالمعنى متفق مع القراءة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٣٢، ١٣٣).

(٢) ينظر الدر المصون (٢/ ٤٦٤، ٤٦٥)، الكتاب الموضح (١/ ٢٣٧، ٢٣٨)، البحر المحيط (٤/ ١٣٧، ١٣٨)، إبراز المعاني (٤٢٥)، قراءة حمزة بن حبيب الزيات (١٨٩، ١٩٠)، تفسير الآلوسي (٦/ ١٥).

(٣) للنحاة في قضية الجر على المجاورة مذاهب متعددة: فمنهم من أجازه مطلقًا، ومنهم من أجازه بقيود، ومنهم من منعه مطلقًا، وينظر تفصيل ذلك في محله من كتب النحو.

=

بالنصب، وفائدة مجيء القراءة بالخفض مع رجوع معناها إلى قراءة النصب قد يكون للتنبيه على أن تجعلوا غسلكم إياها كالمسح، لا يكون غسلًا تُتعِبون به أنفسَكم، أو جُرَّتْ مُنبِّهةً على عدم الإسراف باستعمال الماء لأنها مَظنة لصبِّ الماء كثيرًا، فعُطِفت على الممسوح والمراد غسلها.

الثاني: أنه معطوف على الرءوس الممسوحة، والمراد بمسح الرجلين غسلُهما. قيل: لأن المسح على الرجل لو كان مسحًا كمسح الرأس لم يُحدد إلى الكعبين كما حدد في اليدين إلى المرافق، قال الله عز وجل: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] بغير تحديد، وكذلك في التيمم: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ ﴾ [المائدة: ٦] من غير تحديد، فلم يجئ تحديد في شيء من المسح، فهذا كله يوجب غسل الرجلين. والعربُ تُطلِق المسحَ على الغسل أيضًا، وتقول: تمسحت للصلاة أي: توضأت لها، ومسح المطرُ الأرضَ، أي: غسلها، ومسح اللهُ ما بك، أي: غسل عنك الذنوبَ والأذى.

فإن قيل: كيف يكون المقصودُ بالمسح للرجلين الغسلَ، والمسحُ للرأس المسحَ المعهود الذي ليس بغسل؟ قيل: «لأنهما مسألتان كلٌّ منهما منفردة عن الأخرى، والتحقيق جواز حمل اللفظ المشترك على معنييه، كما حققه الشيخ تقي الدين ابن تيمية -رحمه الله- في رسالته في علوم القرآن، وحرَّرَ أنه هو الصحيح في مذاهب الأئمة الأربعة رحمهم الله»[(١)].

وعلى هذا فالحاصل من اختلاف القراءتين حكم واحد هو غسل الأرجل، مع إشارة قراءة الخفض إلى عدم الإسراف في غسل الرجلين، وخصص بذلك لأنه مظنة

=

ومن ذهب لجواز الجر على المجاورة في الآية الشيخُ الشنقيطي، واستدلَّ لصحته بآيات من القرآن الكريم وكلام العرب شعرًا ونثرًا في تفسيره للآية، فراجعه مُفصلًا إن شئت في أضواء البيان (٢/ ١١: ١٧).

(١) من أضواء البيان (٢/ ١٩) بتصرف يسير، وينظر في هذا الوجه أيضًا: معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٥٤)، الكشف (٢٧٩).

لصب الماء الكثير، والله تعالى أعلم[١].

والفرق بين هذا الوجه والذي قبله أن تعلق «أرجلكم» في الوجه الأول بـ«اغسلوا»، ولكنه جُرَّ فقط لمجاورته مجرورًا، وهو في حكم: اغسلوا وجوهَكم وأيديَكم وأرجلَكم، وأمَّا على الوجه الثاني فتعلقها بـ«امسحوا»، ولكن المسح مع الأرجل بمعنى الغسل.

الثالث: أن يقال: المراد عدم الاكتفاء بمجرد الغسل، بل يجمع بين الدلك باليد والغسل الذي هو إسالة الماء على العضو. قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: «ومن نقل عن أبي جعفر بن جرير أنه أوجب غسلهما للأحاديث، وأوجب مسحهما للآية - فلم يحقق مذهبه في ذلك، فإن كلامه في تفسيره إنما يدل على أنه أراد أنه يجب دلكُ الرجلين من دون سائر أعضاء الوضوء؛ لأنهما يليان الأرضَ والطينَ وغيرَ ذلك، فأوجب دلكهما ليذهب ما عليهما، ولكنه عبَّر عن الدَّلْك بالمسح»، وذلك يتوافق مع ما ورد من الحثِّ على إسباغ الوضوء على المكاره.

الرابع: أن القراءَتين تنزلُ كلُّ واحدةٍ منهما على حالٍ من أحوال الرِّجْل، فإن كانت الرِّجْلُ مكشوفة وجبَ غسلُها، وإن كانت مستورة بالخُفِّ فيجب مسحُها، فتنزل القراءتان على حالي الرجل، والسُّنة بينت ذلك. قال الشيخ ابن العثيمين -رحمه الله تعالى-: «وهذا أصح الأوجه، وأقلها تكلفًا، وهو مُتَمَشٍّ على القواعد، وعلى ما يُعرفُ مِن كتاب الله تعالى، حيث تنزل كلُّ قِراءة على معنى يُناسبها، **ويكون في الآية دليل على جواز المسح على الخفَّين**»[٢].

وقال أبو شامة: «وأما الجر فوجهُه ظاهر، وهو العطف على «برءوسكم»، والمراد به المسح على الخفين، وعلى ذلك حمل الشافعيُّ -رحمه الله- القراءتَين»[٣].

(١) ينظر الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة (٤٨٣).
(٢) الشرح الممتع (١/ ١٤١، ١٤٢).
(٣) وللمزيد أيضًا انظر إبراز المعاني (٤٢٧).

أقول: والخلاصة أنه على الرغم من اختلاف هذه الأوجه، إلا أنه ليس اختلافَ تضادٍّ، بل هو اختلاف تنوع، ولكل وجه منها وجهتُه، ويُمكن الجمع بين تلك الوجوه جميعها بأن يُقال: **القراءة دلَّت على مشروعية المسح على الخفين كما ورد في السنة، وأيضًا أمرت بغسل الرجلين حال انكشافهما مع إسباغ الوضوء فيهما، وحسن تطهيرهما من الدرن، وذلك دون إسراف، وهذه كلها معانٍ صحيحة، ورد الشرعُ بها، وحثَّ عليها، فلا إشكالَ فيها، والله تعالى أعلم.**

﴿ قَـٰسِـيَةً ﴾[المائدة: ١٣] قرأ بحذف الألف وتشديد الياء (قَسِيَّة).

على وزن «فعِيلة»، أي: رديئة فاسدة، من قولهم: درهم قَسِيٌّ، أي: زائف؛ لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين، والمغشوش فيه يبس وصلابة فهو من القسوة أيضًا.

وفي لسان العرب: «القسيَّة: الشديدة، ودِرهم قَسِيٌّ: رديء، والجمع: قِسْيَان، مثل: صَبِيٍّ وصِبْيان، قُلِبَت الواوُ ياءً للكسرة قبلها كقِنْيَة، .. وقيل: دِرهم قَسِيٌّ: ضرب من الزُّيوف، أي: فضته صلبة رديئة ليست بلَيِّنة».

قال الهمذاني: «والقاسي والقَسِيُّ أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة، غير أن «فَعِيلًا» أبلغُ من «فَاعِل»».

قال الباحث عزات السويركي: «لقد بيَّنت القراءتان [صفتان أساسيتان] من صفات اليهود لا تنفكُّ عنهم، الأولى: قلوبهم قاسية، شديدة الغِلظة، لا رحمة فيها ولا لين، والثانية: قسِيَّة، فإضافة لكونها غليظة، فهي رديئة، كالدرهم المزيف، لا تتشرب الإيمان ولا اليقين، فجمعت بين أرذلِ الخصَائص وأحطِّ الصفات، وهذا كشفٌ لخبايا قلوبِهم وما جُبِلوا عليه»[1].

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٢/ ١٩٣)، وينظر لسان العرب - مادة (قسا)، الكتاب الفريد (٢/ ٤١٨).

﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ [المائدة: ٤٧] قرأ بكسر اللام وفتح الميم (وَلِيَحْكُمَ أهلُ الإنجِيلِ)، وهي مما انفرد به حمزة.

على التعليل، وهي متعلقة بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ﴾ [المائدة: ٤٦]، والمعنى: وآتيناه الإنجيلَ لِيَحكمَ أهلُ الإنجيلِ بما أنزل اللهُ فيه، وذلك بمنزلة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء: ١٠٥]، ويجوز أن تتعلق اللامُ بـ ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ [المائدة: ٤٦]، أي قفَّينا للهُدى والموعظة والحكم[١].

لقد بينت قراءة حمزة الحكمةَ من إنزال الإنجيل، ألا وهو العمل بأحكامه، واتباع أوامره، ولما كان من طباع بني إسرائيل التنكرُ والجحود واتباع أهوائهم وتركُ العملِ بما أنزل الله- جاءت القراءةُ الثانية لتأكيد العمل بما أنزل الله، والأمر بذلك على سبيل الإلزام، والله تعالى أعلم[٢].

وعلى قراءة حمزة يكون تعلق «ولِيحكمَ» بما قبله. وقيل: التقدير: ولِيحكمَ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أنزلناه عليهم، وعلى هذا التقدير يحسُن الابتداء به، لتعلق لام «كي» بفعل محذوف دلَّ عليه «أنزل»[٣].

﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠] قرأ بضم الباء وخفض التاء (وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ)، وهي مما انفرد به حمزة.

«عَبُد» قيل في معناه: خدم الطاغوت، وفيه أوجه:

الأول: أنه واحد يراد به الكثرة، مِثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[إبراهيم: ٣٤]، وليس بجمع «عَبْد» لأنه ليس في أبنية الجمع مثله، وقد جاء على وزن «فَعُل» لأنه بناءٌ يراد به الكثرة والمبالغة نحو: يَقُظ للذي تكثُر منه الفطنة والتيقظ، وحَذُر للكثير الحذر، ونَدُس للفهِم، كأنه قد ذهب في عبادة الطاغوت كُلَّ مذهبٍ،

(١) انظر الكتاب الموضح (١/ ٢٤٣)، الدر المصون (٢/ ٥٣٥، ٥٣٦).
(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٢/ ١٩٩).
(٣) ينظر المكتفى في الوقف والابتدا (٨١، ٨٢)، منار الهدى (٢٥١).

وغالى في عُبودِيَّته[(١)].

وقال المنتجب الهمذاني: «وإنما بنَوا من «عَبْد» «عَبُدًا» وإن كان أصل هذا البناء للصفات؛ لأن «عَبْدًا» أيضًا في الأصل صِفة، وإن كان قد استعمل استعمالَ الأسماء».

الثاني: أنه اسم جمع، فقد عدَّه ابنُ مالك في أسماء الجموع حيث قال: ومنها: «فَعُل» لنحو: سَمُرَة وعَبُد[(٢)].

الثالث: أن العَبْد والعَبُد لغتان كقولهِم: سَبْع وسَبُع.

الرابع: أن العَبْد جمعُه عِبَاد، والعِباد جمعه عُبُد، كثِمَار وثُمُر، ثم استثقلوا ضمتين متواليتيْن فأبدِلت الأولى بالفتحة.

و«الطاغوت» مجرور بالإضافة، و«عَبُدَ» منصوب على العطف على ما قبله، أي: وجعلَ مِنهم القردة والخنازيرَ، وجعلَ منهم عَبُدَ الطاغوتِ، أي عابد الطاغوت، أو أنه منصوب على الذم، والتقدير: أعني عَبُدَ الطاغوت.

﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ [المائدة: ٧١] قرأ برفع (تَكُونُ).

على أنَّ «أنْ» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف -أي: وحسبوا أنَّـ(ـهُ) لا تكون فتنة-، والجملة المنفية في موضع الخبر، نزل الحسبان في صدورهم منزلة العلم. و«حَسِبَ» حينئذ بمعنى علموا من التيقن لا للشك[(٣)].

قال الرازي: «... يُمكن إجراء الحسبان ها هنا بحيث يفيد الثباتَ والاستقرار؛ لأن القومَ كانوا جازمين بأنهم لا يقعون بسبب ذلك التكذيب والقتل في الفتنة والعذاب، ويمكنُ إجراؤه بحيث لا يُفيد هذا الثبات من حيث إنهم كانوا يكذبون

(١) ينظر الدر المصون (٢/ ٥٥٨)، وعلى هذا الوزن جاء في معجم الأوزان الصرفية (١٣، ١٤٨): «حَدُث: ذو الحديث الحسن، وخَلُط: العارف بالأمور المخالِط لها».

(٢) منقول من الدرر الباهرة (١/ ٢٣٤).

(٣) ينظر البحر المحيط (٤/ ٣٢٧)، الكشف (٢٨٧).

ويقتلون بسبب حفظ الجاهِ والتبع، فكانوا بقلوبهم عارفين بأن ذلك خطأ ومعصية.

وإذا كان اللفظ محتملًا لكل واحد من هذين المعنيين لا جرمَ ظهر الوجهُ في صحة كل واحد من هاتين القراءتين، فمن رفع قوله تعالى «ألا تكونُ» كان المعنى: أنه لا تكون، ثم خففت المشددة -يعني «أنَّ»- وجعلت «لا» عِوضًا من حذف الضمير، نحو «السين» و«سوف» و«قد»، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]، ووجه النصب ظاهر.

ثم قال الواحدي: وكلا الوجهين قد جاء به القرآن، فمثل قراءة من نصب وأوْقَعَ بعده الخفيفة قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾[العنكبوت: ٤]،...، ومثل قراءة من رفع: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾[الزخرف: ٨٠]، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ٥٥]، فهذه مخففة من الثقيلة لأنَّ الناصبة للفعل لا يقعُ بعدَها «لن»»[1]. ا.هـ

﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾[المائدة: ٨٩] قرأ بتخفيف القاف (عَقَدتُّم).

التخفيف على الأصل، و«فعَلَ» بالتخفيف يجوز أن يُرادَ به القليل من الفعل والكثير منه، و«فَعَّلَ» بالتشديد يختصّ بالكثير، فقراءة التخفيف تحتمل أن تتضمن قراءة التشديد، والله تعالى أعلم[2]. وفي القراءة بالتخفيف دليلٌ على وجوب الكفارة باليمين المنعقدة إن حنث وإن لم تتكرَّر، وهو قول عامة العلماء سلفًا وخلفًا، وذكر القرطبي الإجماع في ذلك[3].

﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ [المائدة: ١٠٧] قرأ بضم التاء وكسر الحاء (اسْتُحِقَّ)، وله ضمُّ الهمزة عند الابتداء، و(الأوَّلِينَ) بتشديد الواو مفتوحة وكسر اللام وبعدها ياء

(١) التفسير الكبير للرازي ٦/ ٩٩، وينظر التفسير البسيط للواحدي ٧/ ٤٧٧: ٤٧٩.
(٢) ينظر الكتاب الموضح (١/ ٢٤٨).
(٣) ينظر تفسير القرطبي (٣/ ٢٣٥٩)، أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية (٤٢٤).

ساكنة فنون مفتوحة.

مبنيًّا للمفعول، وقيل في مرفوعه إنه: ضميرُ الإيصَاء، أي: استُحِقَّ عليهم الإيصاءُ، أو الوصيَّةُ، أو المالُ، أو الجارُّ والمجرور «عليهم»، أو الإثمُ لجري ذِكره في قوله: ﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾، أي: من الذين استُحِقَّ عليهم الإثمُ، كأن المعنى: من الذين جني عليهم، وهم أهل الميت وعشيرته، أو أنه مسند إلى ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ على معنى: من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

قال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور: «استُحِق عليهم» بالبناء للمجهول، فالفاعل محذوف في قوله: «استُحِق عليهم» هو مستحِقٌّ ما، وهو الذي انتفع بالشهادة واليمين الباطلة، فنال من تركة الموصي ما لم يجعله له الموصي وغَلَبَ وارِثَ الموصي بذلك، فالذين استحق عليهم هم أولياءُ الموصي الذين لهم ماله بوجهٍ من وجوه الإرث فحُرِمُوا بعضَه. وقوله «عليهم» قام مقام نائب فاعل «استُحِق»».

وأما الأولين فجمع «الأوَّل» المقابِل لـ«الآخِر»، وهو مجرورٌ نَعتٌ لجميع الورثة المذكورين في قوله تعالى: «من الَّذين استحق عليهم»، أو بدل منه، أو بَدَل من الضمير في «عَلَيهم»، قال الزمخشري: أو منصُوب على المَدح، ومعنى الأَوَّلِيَّة التقدم على الأَجَانِبِ في الشهَادَة لكونهم أحَق بها. ا.هـ ، وهذا على أن تفسير قولهِ تعالى: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ أنهم الأجَانِب لا أنَّهُم الكُفَّار، وقال الوَاحدي: وتقديرُه: من الأوَّلِين الذينَ استُحِقَّ عليهم الإيصَاءُ أو الإثمُ، وإنما قيل لهم «الأولين» من حيث كانُوا أولين في الذِّكْرِ، ألا ترى أنه قد تقدمَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾، وكذلِك: ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، ذُكِرَا في اللفظ قبل قولِه: ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾. وقال ابنُ عَطِيَّة: معناها مِن القوم الذين استُحِق عليهم أمرُهم أي غُلِبوا عليه، ثُمَّ وصفهم بأنهم أوَّلون، أي في الذكر في هذه الآية[1].

(١) ينظر البحر المحيط (٤/ ٤٠٠)، الدر المصون (٢/ ٦٣٨).

وقال ابن عاشور: «"الأولين" .. جمع أوَّل الذي هو مجاز بمعنى المقدَّم والمبتدأ به، فالذين استحق عليهم هم أولياء الموصي حيث استحق الموصى له الوصية من مال التركة الذي كان للأولياء -أي الورثة- لولا الوصية، وهو مجرور نعت لـ "الذين استحق عليهم"».

﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١١٠] قرأ بفتح السين بعدها ألف وبكسر الحاء (سَاحِرٌ).

اسم فاعل، إشارةً إلى عيسى -عليه السلام-. ويحتمل أن يكون المراد به المصدر «سِحْر» كقولهم: عائذًا بك، وعائذًا بالله من شرها، أي: عِياذًا، والمشار إليه ما جاء به عيسى -عليه السلام- من البينات والإنجيل، ذكر ذلك مكي، وتبِعَه أبو البقاء، إلا أن الواحدي منع من ذلك، قال لأن مجيء «فاعِل» مُرادًا به المصدر ليس كثيرًا بحيث يسوغ القياس عليه، والله أعلم[1].

﴿مُنَزِّلُهَا﴾ [المائدة: ١١٥] قرأ بإسكان النون وتخفيف الزاي (مُنزِلُـهَـا).

اسم فاعِل من «أنزَلَ»، وفيه مناسبة لما قبله وهو قول عيسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ﴾ [المائدة: ١١٤].

سورة الأنعام

﴿مَّن يُصۡرَفۡ﴾ [الأنعام: ١٦] قرأ بفتح الياء وكسر الراء (يَصْرِفْ).

على البناء للفاعل، وهو الله تعالى، والمفعول -وهو المصروف- محذوف، وهو العذاب لذكره قبله في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأنعام: ١٥]، والمعنى: مَن يَصرِفْ رَبِّي عنه العذابَ في ذلك اليوم فقد رحمه.

وقيل: المحذوفُ: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾، أي: مَن يَصرِفِ اللهُ عنه ذلك اليوم، أي: عذابَ أو هولَ يومئذ، على تقدير حذف المضاف.

(١) ينظر الدر المصون (٢/ ٦٤٧، ٦٤٨).

و«مَن» على الوجهين في ذلك مُبتدأ، والهاء في «عنه» عائدة عليه. وجُوِّزَ أن تكون «مَن» في محل نصب بـ «يَصْرِف»، والهاء الضمير في «عنه» للعذاب، على معنى: أي أحدٍ يَصرف اللهُ عنه العذابَ في ذلك اليوم فقد رحمه، والوجه هو الأول، وعليه الجمهور[١].

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٣] قرأ ﴿تَكُن﴾ بياء التذكير، وقرأ ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بنصب التاء، و﴿رَبِّنَا﴾ بنصب الباء: (ثمَّ لمْ يَكُن فِتنَتَهُمْ إلا أن قَالوا وَالله رَبَّنَا).

على أن «فتنتَهُم» خبر «يَكُن» مقدم، و«أن قالوا» مصدر مؤوَّل اسم «يكن» مؤخر، والتقدير: ثُم لم يكن فتنتَهم إلا قولُهم، ولم يؤنث فعل «يكن» لإسناده إلى مذكر، وهو اسمها المؤول بالقول[٢]، وهوكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٨٢]، وقوله: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية: ٢٥].

ونصب «ربنا» على أنه منادى مضاف، وهي معترضة بين القسَمِ وجوابه، وفيها معنى الخضوع والتضرع حين لا ينفع ذلك، وقيل: نصب على المدح.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] قرأ بياء الغيبة (يَعْقِلون).

مناسبةً لما تقدَّم من الأسماء الغائبة، وفيه تمشٍّ مع سياق الكلام لأن صدر الآية خبَر، فيكون الاستفهام الإنكاري بلفظ الغيبة بليغًا[٣]، قال ابن عاشور: «والاستفهام حينئذ للتعجيب من حالهم».

﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤] قرأ بكسر الهمز فيهما (إِنَّهُ مَنْ)، (فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم).

على الاستئناف في الأولى، والكلام قبلها تام، وجيء بها وبما بعدها كالتفسير لقوله

---

(١) ينظر الكتاب الفريد (٢/ ٥٥٩)، إملاء ما من به الرحمن (٢٣٧)، التبيان في إعراب القرآن (٤٨٥).

(٢) ينظر الدر المصون (٣/ ٣٠).

(٣) ينظر قراءة حمزة بن حبيب (١٧١).

تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[الأنعام: ٥٤]، فكأنها جواب لسؤال متوقع عن مبلغ الرحمة.

وكسر الثانية: على الاستئناف أيضًا لأنها في صدر جملة وقعت خبرًا لـ «مَنْ» إن كانت موصولة، أو جوابًا لها إن كانت شرطية، واختار ابن عاشور أن تكون شرطية؛ فهي أدل على التعميم من الموصولة.

وعلى القول بأن «إِنه من عمل منكم» على الاستئناف فالوقف على «الرحمةَ» تام.

قال أبو بكر بن الأنباري: «ومن كسرهما جميعًا -أي: «إنه» و«فإنه»- كان له مذهبان:

أحدهما: أن يقول: تم الكلام على «الرحمة»، ثم ابتدأ «إنه من عمل منكم سوءًا»، فكسر «إن» على الاستئناف والابتداء.

والوجه الآخر: أن يقول: معنى «كتبَ ربكم»: قال ربكم، فكسرت «أن» على الحمل على معنى القول. فعلى هذا المذهب لا يصلح الوقف على «الرحمة»؛ لأن «أن» مع ما يتعلق بها كلامٌ محكي، و«كتب ربكم» الحكايةُ، وإن كان لفظه مخالفًا للفظ القول، ولا يصلح من هذين الوجهين الوقف على «وأصلح»؛ لأن الفاء جواب الجزاء»[1]. ا.هـ

﴿وَلِتَسۡتَبِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥] قرأ بياء التذكير (وَلِيَسْتَبِينَ).

الفعل لازم، والمعنى: وِلتظهر سبيلُ المجرمين، و«السبيل» يذكَّر ويؤنث، فهو مُذكر على لغة نجدٍ وتميم، وعليه قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ﴾[الأعراف: ١٤٦][2]، ويؤنث على لغة أهل الحجاز، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ ﴾ [الأنعام: ٥٧] قرأ بإسكان القاف، وجعَلَ الصادَ المُهملة ضادًا

(١) إيضاح الوقف والابتداء (٣٢٧).
(٢) ينظر الدر المصون (٣/ ٧٦)، اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٧٩).

مُعجمةً مَكسورة مُخففة (يَقْضِ الحقَّ).

مِن القضاء، ويُؤيده قوله: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فإن الفصلَ يُناسِبُ القضاءَ، فهو سبحانه يَقضي القضاءَ الحق في كلِّ ما يَقضي فيه من تأخير أو تعجيل. ولم تُرسَم الياء كأنها حُذِفت خطًّا كما حذفت لفظًا لالتقاء الساكنَيْن، كما حُذِفت من نحو ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥]، وكما حذفت الواو من ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨] و﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤].

ونصب «الحقَّ» على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: يقضِي القضاءَ الحقَّ، وضمَّنَ بعضُهم «يَقضِي» معنى «يُنفِذ» فعداه إلى مفعول به، وقيل: «يقضي» بمعنى يصنع ويُحْكِم، أي: كل ما يصنعه فهو حق، قال الهذلي:

وعَليْهِمَـا مسْـرُودَتَـانِ قضَـاهُمَا دَاوُدُ أو صـنـع السـوابـغ تبـع

أي: صنعهما.

وقيل إنه منصوب على إسقاط حرفِ الجر، أي: يقضِي بالحق، فلما حُذِفَ انتصبَ مجرورُه [أي: الحق]، على حد قوله:

تمرُّونَ الدِّيَارَ ولم تعوجُوا

أي بالديار[1].

﴿ تَوَفَّتْهُ ﴾ [الأنعام: ٦١] قرأ بألف ممالة بعد الفاء بدل التاء (تَوَفَّاهُ)، وهي مما انفرد به حمزة رحمه الله.

على أنه فعل ماض كـ «تَوَفتهُ»، وحُذِفت منه تاء التأنيث لكونه مجازيًّا وللفصل بالمفعول بينه وبين فاعله، أو أنه فعل مضارع وأصله «تتوَفاهُ»، فحُذفت إحدى التاءين مِثل: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [القدر: ٤][2].

(١) انظر الدر المصون (٣/ ٧٧، ٧٨)، البحر المحيط (٤/ ٥٣١).
(٢) ينظر الدر المصون (٣/ ٨٣)، الكتاب الفريد (٢/ ٦٠٣).

﴿ أَسۡتَهۡوَتۡهُ ﴾ [الأنعام: ٧١] قرأ بألف مُمالة بعد الواو بدل التاء (اسْتَهْوَاهُ)، وهي مما انفرد به حمزة.

بتذكير الفعل، على أن الفاعل ظاهر مؤنث مجازي، فيجوز التذكير باعتبار الجمع، والتأنيث باعتبار الجماعة.

﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ [الأنعام: ٨٦] قرأ بفتح اللام وتشديدها مع إسكان الياء (وَالَّيْسَعَ)، وكذلك بسورة ص.

قال القشيري: قرئ بتخفيف اللام والتشديد، والمعنى واحد في أنه اسم لنبي معروف مثل إسماعيل وإبراهيم، ولكنه خرج عمَّا عليه الأسماء الأعجمية بإدخال الألف واللام.ا.هـ

وأصله «لَيْسَع» على وزن «فَيْعَل» كـ«ضيْغَم» و«صَيْرَف»، وهو اسمٌ أعجمي، وقُدِّرَ تنكيرُه فدخلت عليه «أل» للتعريف ثم أدغِمَتِ اللامُ في اللام. وقيل زيدت الألف واللام كزيادتها في «اليزيد» في قوله:

رَأَيْت الوليدَ بنَ اليزيدِ مُباركًا ... شديدًا بأعباءِ الخِلافةِ كاهِلُه

وكقول أبي النجم العجلي:

بَاعَدَ أمَّ العَمْرِ مِن أسيرهَا ... حُرَّاسُ أَبْوَابٍ عَلَى قُصُورِهَا[1]

قال الفراء في «معاني القرآن»: «وإنما أدخل في يزيد الألف واللام لما أدخلها في الوليد، والعرب إذا فعلت ذلك أمسَت الحرف مدحًا».

وقال الآلوسي: هُو أعجَمِي دخَلَت عليه اللامُ على خلاف القياس، وقارنت النقل فجعلت علامة التعريب كما قاله التبريزي ونص على أن استعماله بدونها خطأ يغفُل عنه

(١) ينظر الدر المصون (٣/ ١١٦).

الناس فليس كـ «اليزيد» في البيت المذكور من جميع الوُجوه[(١)].

وقال المنتجب الهمذاني: «وأمَّا مَن قرأ بلامين فيحتمل أن يكون عربيًّا، كضَيْغَم في الصفات، وأصله: «لَيْسَع»، فدخلت عليه آلةُ التعريف على حد ما تدخل في الصفات، نحو: الحارث والعبَّاس، وأن يكون أعجميًّا على «فَيْعَل» فنُكِّر ثم عُرِّف، وأن تكون فيه مزيدة [أي: «أل»] بمنزلة «الْيَسع»»[(٢)].

﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] قرأ برفع النون (بَيْنُكُم).

على أنه توسعَ في الظرف، فاستعمل استعمال الأسماء فأسند الفعل إليه، كما تقول: قوتل خلفُكم وأمامُكم، وذهب يومُ الجمعة، وكما أُضِيفَ إليه في قوله تعالى: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، أو على أن «بَيْن» اسمٌ غير ظرف، وقعَ فاعلًا، ومعناه الوَصْل، أي: تقطَّعَ وصْلُكم.

قال الآلوسي: «قرئ: «بينُكم» بالرفع على الفاعلية، وهو من الأضْداد -كالقُرْءِ-، يُستعمل في الوَصْل والفَصْل، والمرادُ به هنا الوصل، أي: تقطَّعَ وصلُكم، وتفرَّقَ جمعُكم».

وقال أبو منصور الأزهري: «والبَيْنُ في كلام العرب يكون وصْلًا، ويكون فِراقًا»[(٣)]. وقال ابن كثير: «قرئ بالرفع، أي: شملكم».

﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩] قرأ بضم الثاء والميم (ثُمُرِهِ)، وكذلك في الكهف ويس.

يحتمل أربعة أوجه:

أحدُها: أن يكون اسمًا مفردًا، كعُنُق.

والثاني: أنه جمع الجمع، فـ «ثُمُر» جمع «ثِمار»، و«ثِمار» جمعُ «ثَمَرة»، وذلك نحو:

---

(١) ينظر روح المعاني (٧/ ١٨٦).
(٢) ينظر الكتاب الفريد (٢/ ٦٣٢).
(٣) معاني القراءات (١/ ٣٧٢).

«أُكُم» جمع «إِكَام»، و«إِكَام» جمع «أَكَمَة»، فهو نظير: كِتاب وكُتُب، وإِزار وأُزُر.

والثالث: أنه جمع «ثَمَر»، كما قالوا أَسَد وأُسُد.

والرابع: أنه جمع «ثَمَرة». قال الفارسي: والأحسن أن يكون جمعَ «ثَمَرة»، كـ«خَشَبة» و«خُشُب»[(١)].

والقراءة بجمع الجمع تأتي مع ما جاء في الآية من وصف الله -جلَّ ثناؤه- أصنافًا من المال، وكذلك حَب الزرع المتراكِب، وقِنوان النخل الدانية، والجِنان من الأعناب والزيتون والرمان.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] قرأ بتاء الخِطاب (تُؤْمِنُون).

على أن الخطاب للكفار الذين اقترحوا الآية، والخطاب في ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] لهم كذلك، فالكلام كله على الخطاب لهم.

وقيل: الخطاب في ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ للمؤمنين، على أنه خروج من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، ثم قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥][(٢)]، واستبعد أبو حيان ذلك جدًّا.

قال السمين: «الظاهر في الخطاب في قوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ أنه للكفار، ويتضح معنى هذه القراءة على زيادة «لا»[(٣)]، أي: وما يُشعِرُكم أنكم تؤمنون إذا جاءت الآيات التي طلبتموها كما أقسمتم عليه، ويتضح أيضًا على كون «أنَّ» بمعنى «لعلَّ»[(٤)]، مع كون

(١) ينظر الدر المصون (٢/ ١٤٣)، الكشف (٤٢٦)، الكتاب الفريد (٢/ ٦٥٧).

(٢) ينظر الكتاب الموضح (١/ ٢٧٥)، الكشف (٣١٠)، الحجة للفارسي (٣/ ٣٨٣).

(٣) قال الفراء رحمه الله: «و«لا» في هذا الموضع صِلة، كقوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، المعنى: حرامٌ عليهم أن يرجعوا، ومثله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف: ١٢]، معناه: تسجد». معاني القرآن (١/ ٣٥٠)

(٤) قال الفراء: «وهي في قراءة أُبيّ: «لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون»، وللعرب في «لعلَّ» لغةٌ بأن يقولوا: ما أدري أنك صاحبها، يريدون: لعلَّك صاحبها، ويقولون: ما أدري لو أنك صاحبها، وهو وجه جيد أن تجعل «أنَّ» في موضع «لعلَّ»». المعاني (١/ ٣٥٠)

«لا» نافية، وعلى كونها علة بتقدير حذف اللام، أي: إنما الآيات عند الله فلا يأتيكم بها؛ لأنها إذا جاءت لا [يؤمنون] بها، ويتضح أيضًا على كون المعطوف محذوفًا، أي: وما يدريكم بعدم إيمانكم إذا جاءت الآيات، أو وقوعه؛ لأن مآل أمركم مغيب عنكم، فكيف تُقسِمون على الإيمان عند مجيء الآيات؟

وإنما يشكل إذا جعلنا «أنَّ» معمولة «يُشعركم» وجعلنا «لا» نافيةً غيرَ زائدة، إذ يكون المعنى: وما يدريكم أيها المشركون بانتفاء إيمانكم إذا جاءتكم، ويزول هذا الإشكال بأن المعنى: أيّ شيء يدريكم بعدم إيمانكم إذا جاءتكم الآيات التي اقترحتموها، يعني: لا يمر هذا بخواطركم، بل أنتم جازمون بالإيمان عند مجيئها، لا يصدكم عنها صادٌّ، وأنا أعلمُ أنكم لا تؤمنون وقتَ مجيئها لأنكم مطبوع على قلوبكم»[(١)].

﴿ مُنَزَّلٌ ﴾ [الأنعام: ١١٤] قرأ بإسكان النون وتخفيف الزاي (مُنزَلٌ).

قيل: «نزَّلَ» و«أَنْزَلَ» لغتان بمعنى واحد، لكن في التشديد معنى التكرير، وقال ابن أبي مريم: «نزَّلَ وأَنْزَلَ واحد، نحو: فَرَّحْته وأفْرَحْته، ونجَّيته وأنجَيْته، وقد فرق بعض الناس بين أنزل ونزَّل بأن التنزيل [من نزَّل] لما ينزل شيئًا بعد شيء، والإنزال [من أنزل] لما يكون جملةً وتفصيلًا، ولم يرضَه الحذَّاقُ من أهل العربية»[(٢)].

﴿ حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١١٩] قرأ بضم الحاء وكسر الراء (حُرِّمَ).

بالبناء للمفعول، كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، وقد جاء الفعل بعده كذلك في: ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

﴿ رِسَالَتَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٢٤] قرأ بألف بعد اللام، وكسرِ التاء والهاء (رِسَالاتِهِ).

على الجمع لرسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد ذكرَ -سبحانه وتعالى-

(١) الدر المصون (٣/ ١٥٦، ١٥٧)، وينظر البحر المحيط (٤/ ٦١٤).
(٢) الكتاب الموضح (١/ ٢٧٦)، وينظر الكشف (٣١٢).

الرسلَ قبلها فقال: ﴿ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾[الأنعام: ١٢٤] ففيه ائتلاف لِلَّفظ والمعنى، أو لأن رسول الله ﷺ بُعِث بأنواع شتى من الرسالة كأصول التوحيد والأحكام على اختلاف أنواعها، كما كان ينزل عليه الوحيُ شيئًا فشيئًا فيبينه، وقد قال بعضُ الرسل: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وبعضهم قال: ﴿ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾ [الأعراف: ٧٩].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] قرأ الفعل بنون العظمة (نَحْشُرُهُم).

فيه التفات وانتقال من الغيبة إلى الإخبار عن النفس، لتهويل الأمر، والالتفات كثير في كلام العرب، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٢٣]، ثم قال -سبحانه- بضمير المتكلم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي ﴾.

﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٣٥] قرأ بياء التذكير (يَكُونُ)، وكذلك ﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ﴾ بالقصص: ٣٧.

لأن تأنيث «عَاقِبَة» غيرُ حقيقي، وأيضًا قد فصل بين الفعل وفاعله، فحَسُنَ التذكيرُ، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٦٧]، وقال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٩٤] فالتذكير والتأنيث جائزان.

﴿ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾[الأنعام: ١٤١] قرأ بكسر الحاءِ (حِصَادِهِ).

قال الواحدي: «قال جميع أهل اللغة: يقال: حِصَاد وحَصَاد، وجِزاز وجَزاز، وقِطَاف وقَطَاف، وجِداد وجَداد. وقال سيبويه: جاءوا بالمصادر حين أرادوا انتهاءَ الزمان على مثال «فِعال»، وربما قالوا فيه «فَعال»»[1].

فالكسر والفتح لغتان مشهورتان في المصدر. نسب أبو زُرعة إلى الفرَّاء قوله: بالكسر حِجازية، وأهل نجد وتميم بالفتح[2].

---

(١) التفسير البسيط (٨/ ٤٧٦).
(٢) حجة القراءات لأبي زرعة (٢٧٥).

ويقول الدكتور عبده الراجحي فيها وفي كلمات أخرى معها مثل يحسَب ويحسِب بالفتح والكسر: «أما عن لهجات القبائل في هذه الظاهرة فتذكر كتبهم أن أهل الحجاز يميلون إلى الفتح، وأن قبائل قيس وتميم تميل إلى الكسر، ويذكر أبو حيان أن قبيلة أسد أيضًا تجنح إلى الكسر حيث يذهب الحجازيون إلى الفتح. كما ينسب صاحب الإتحاف الكسر إلى أهل نجد، لكنه يعكس في (يحسَب) فيعزو كسر السين إلى أهل الحجاز وفتحها إلى تميم، فلعله أخطأ في النقل، أو لعل إحدى القبيلتين تركت لهجتها إلى لهجة القبيلة الأخرى في هذا الفعل بعينه، خصوصًا أن ابن جني يذكر أن بعض التميميين -في بعض الألفاظ- كانوا يتركون لهجتهم إلى لهجة الحجازيين، وأن هؤلاء يفعلون ذلك أيضًا.

وعلى أية حال فإننا نستطيع أن نعزو الفتح -وهو أخفُّ من الكسرة- إلى البيئة المتحضرة في الحجاز، وأن نعزو الكسر إلى تميم وأسد وأهل نجد، وهي قبائل بادية لا تنفر طبائعهم من الخشونة»[1].

﴿أَن يَكُونَ مَيۡتَةً﴾ [الأنعام: ١٤٥] قرأ بتاء التأنيث (تَكُونَ).

على أن اسم «تكون» مُضمَر عائد على مُؤنث، أي: إلا أن تكون المأكولةُ أو العينُ أو النفسُ أو الجثةُ ميتةً، ويجوز أن يعود الضمير مِن «تكون» على «مُحَرَّمًا» وأنث الفعل لتأنيث الخبر «مَيتة»، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن﴾ [الأنعام: ٢٣] بنصب «فِتنَتَهُم» وتأنيث «تكن»[2].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ [الأنعام: ١٥٣] قرأ حمزة بكسر الهمزة (وَإِنَّ هَذَا).

على الاستئناف، و«هَذا» اسم «إنَّ»، و«صِرَاطِي» خبرُها، «فاتبعُوه» جملة معطوفة على الجملة المستأنفة.

وذكر الرازي وجهًا آخر، وهو عطفها على ﴿مَا حَرَّمَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والتقدير:

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١١٩، ١٢٠).
(٢) الدر المصون (٣/ ٢٠٤).

تعالَوا أتلُ ما حرَّمَ ، وأتلُ: إنَّ هذا صراطي، بمعنى: أقول[1].

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قرأ بياء التذكير (يَأتِيَهُمُ المَلائِكَةُ).

على أن تأنيث الملائكة مجازي فيجوز تذكير الفعل وتأنيثه، وجاء مثله: (فنَادَاهُ الملائكة).

﴿ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] بألِفٍ بعدَ الفاءِ وتخفيف الراء (فَارَقُوا)، وكذلك بسورة الروم.

من المفارقة والفراق، أي: تركوه وبايَنُوه، ومَن فرَّقَ دينَه فآمَن ببعض وكفر ببعض فقد فارقَ دينَه المطلوبَ منه، أو أن «فَاعَلَ» بمعنى «فعَّلَ» نحو: ضاعَفْت الحسابَ وضعَّفته، فيكون معناها قريبًا من معنى قراءة «فرَّقُوا»، والله تعالى أعلم.

سورة الأعراف

﴿تُخۡرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥] قرأ بفتح تاء المضارَعة، وضم الراء (تَخْرُجُون)، وكذلك في الزخرف والجاثية والروم.

على البناء للفاعل، وجعلَ الفعلَ لهم لأن الله -عز وجل- إذا بعثهم يومَ القيامة فأحياهُم وأخرجَهم خرَجُوا، فهم مفعولون فاعلون في المعنى، كما يقال: ماتَ فلانٌ، فنسب الفعل إليه وإنما أماته الله، وفي القرآن الكريم: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥].

وفي لفتة طيبة يقول الدكتور الزهيري: «قراءة «تُخرَجون» بضمِّ التاء تُفيدُ أنهم لا يستطيعون التخلُّفَ عن ذلك شاءُوا أم أبَوْا، وقراءة «تَخرُجون» تفيد أن أعضاءَهم وأجسادهم لا تمتنِع من ذلك، بل تفعل طواعِيةً ما أمرَها الله به من الخروجِ للبعث،

---

(١) التفسير الكبير (٦/ ٦٣٣).

والله أعلم»[١].

﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ [الأعراف: ٤٠] قرأ بياء التذكير، وإسكان الفاء، وتخفيف التاء (لا يُفْتَحُ).

لتقدم الفعل، ولأن تأنيث الأبواب مجازي، وللفصل بينه وبين الفعل، والتشديد يفيد التكثير، والتخفيف يحتمل التكثيرَ وغيره.

قال الطبري -بتصرف-: «قراءة التخفيف بمعنى: لا يُفتَح لهم جميعُها بمرَّة واحدة وفتحة واحدة، وقراءة التشديد بمعنى لا يُفتَح لهم بابٌ بعدَ بابٍ، وشيءٌ بعدَ شيء، والصواب في ذلك عندي من القول أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، وذلك أن أرواح الكفار لا تُفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبوابُ السماء بمَرَّة واحدة، ولا مرَّةً بعدَ مرَّة، وبابًا بعدَ باب، فكلا المعنيين في ذلك صحيح، وكذلك الياء والتاء في «يفتح» و«تفتح»؛ لأن الياء بِناء على فعل الواحد للتوحيد، والتاء لأن الأبواب جماعة، فيخبر عنها خبر الجماعة»[٢].

﴿أَن لَّعۡنَةُ﴾ [الأعراف: ٤٤] قرأ بتشديد النون مفتوحة في ﴿أَن﴾، ونصب ﴿لَّعۡنَةُ﴾: (أنَّ لَعْنَةَ الله).

على أنها اسم «أنَّ»، والجار والمجرور خبرها.

﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ﴾ [الأعراف: ٥٤] قرأ بفتح الغين وتشديد الشين (يُغَشِّي)، وكذلك في سورة الرعد.

قال القرطبي ومكِّي: هما لغتان، أَغْشَى وغَشَّى، فالقراءتان متساويتان، وفي التشديد معنى التكرير والتكثير، ومن التشديد قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤]، ومن التخفيف قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

ويُغَشِّي من غَشَّى، قيل: التغشية والإغشاء إلباسُ الشيء بالشيء، و«يُغَشِّي الليلَ

---

(١) الدرر الباهرة (١/ ٣١٩).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١٨٦، ١٨٧)، وينظر الكتاب الفريد (٣/ ٤٨)، الكشف (٣٢٣).

النهارَ» أي: يجعلُه كالغشاء، والذي يُغَشِّي هو الله جلَّ ذكره، يُلبِس اللهُ الليلَ مكانَ النهار فيصير أسودَ مُظلِمًا، بعدما كان أبيضَ مُنيرًا ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل، ويُلبِس النهارَ مكانَ الليل فيصير أبيضَ مُنيرًا بعدما كان أسودَ مظلمًا، والليلُ والنهارُ كل واحد منهما مُغَشٍّ ومُغَشًّى، فالليل يُلبِسُ النهارَ بظُلمته، والنهارُ يُجَلِّي الليلَ بضيائه.

ولم يقُل: يُغشي النهارَ الليلَ لأن في الكلام دليلًا عليه، وقد جاء في موضع آخر: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر: ٥][(١)].

﴿ بُشۡرَۢا ﴾ [الأعراف: ٥٧] بنون مفتوحة بدلًا من الباء المضمومة: (الرِّيحَ نَشْرًا)، وكذلك في الفرقان والنمل.

تحتمل وجهين:

الأول: أن تكون من «النَّشْر» الذي هو خِلافُ الطَّيِّ، كأن الريح في سكونها كالمطويَّة، ثُم تُرسَل من طَيِّها ذلك فتصير كالمنفتحة. وقد فسره أبو عبيد بمعنى متفرقة في وجوهها، على معنى: ينشرها ها هنا وها هنا[(٢)]، وقال ابنُ كثير في تفسيره في ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ [المرسلات: ٣]: الناشرات هي الرياح التي تنشرُ السحابَ في آفاق السماء، كما يشاء الربُّ عزَّ وجل.

الثاني: أن يكون «نشر» بمعنى حَيِيَ، من قولهم: أنشرَ اللهُ الموتى فنشروا، أي: حَيوا، والمعنى: يُرسِل الرياحَ مُحْيِية للأرض[(٣)].

وقال الطبرِي: ««النَّشْرُ» في كلام العرب من الرياح الطيِّبة الليِّنة الهُبوب التي تُنشِئ السحابَ، وكذلك كل ريح طيبة فهو عندهم «نَشْر»، ومنه قول امرئ القَيْس:

---

(١) ينظر تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٣٨)، الكشف (٣٢٥)، الكتاب الفريد (٣/ ٦٤٧، ٦٤٨)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٤٢).

(٢) ينظر الكشف (٣٢٦، ٣٢٧)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٤٥).

(٣) ينظر الكشف (٣٢٦)، الكتاب الفريد (٣/ ٧١)، البحر المحيط (٥/ ٧٦)، الدر المصون (٣/ ٢٨٥)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٤٥، ١٠/ ٧١٩٠).

كـأنَّ الْمُـدَامَ وصَـوْبَ الْغمـام ورِيحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القطـر »[1].

و«نَشْرًا» هنا مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشِرة كما تقول : أتانا ركضًا، أي راكِضًا -فالريح تبسط السحابَ في السماء-، أو منشورة، أو ذات نشر.

أو هو مفعول مطلق؛ لأن «أرسَلَ» و«أنشَرَ» مُتقاربان، أي ينشر الريح السحاب نشرًا.

ويحصل من مجموع القراءات أن الله سبحانه وتعالى يُذكِّرنا بنعمة من نعمه، فالرياح تنشرُ السحابَ، وهي تأتي من جهات مختلفة تتعاقب، فيكون ذلك سببَ امتلاء السُّحب بالماء، أو أنها تُحيي الأرضَ بعدَ موتها، وأنها تبشِّر الناسَ بهبوبها، فيدخل عليهم بها السرور[2].

﴿ بَصۜۡطَةٗ ﴾ [الأعراف: ٦٩] قرأها خَلَفٌ بالسين، وقرأ خلاد بالسين والصاد.

السين والصاد لغتان، والأصل بالسين، وقلبت السين صادًا مُطبَقة لمجاورتها الطاءَ المطبَقة كذلك.

﴿ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ ﴾ [الأعراف: ٨١] قرأ بهمزتين محققتين (أَئِنَّكُم).

على الاستفهام التوبيخي والتقريعي، وهو بيان لقوله تعالى قبله: ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ [الأعراف: ٨٠].

﴿ بِكُلِّ سَٰحِرٍ ﴾ [الأعراف: ١١٢] قرأ بحذف الألف بعد السين، وفتحِ الحاء مع تشديدها وألِفٍ بعدها (سَحَّارٍ)، وكذلك بسورة يونس عليه السلام: ٧٩.

على وزن «فَعَّال» للمُبالغة. قال الرازي: «فمن قرأ «سَحَّار» فحجته أنه قد وُصِفَ بـ «عليم»، ووصفُه به يدل على تناهيه وحذقه به، فحسن لذلك أن يذكر بالاسم الدال على المبالغة في السحر، ومن قرأ «ساحر» فحجته قوله تعالى: ﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ و﴿لَعَلَّنَا

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٢).
(٢) الدرر الباهرة (٣٣٠) بتصرف.

نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾، والسَّحَرة جمع ساحِر، مثل: كَتَبَة وكاتِب وفَجَرة وفاجِر، واحتجوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، واسم الفاعل من سَحَرَ: سَاحِر»[١].

وقال ابن خالويه عن القراءة بالتشديد: «الحجة لمن شدَّدَ أنه أراد تكريرَ الفعل والإبلاغ في العمل، والدلالة على أن ذلك ثابت لهم فيما مضى من الزمان، كقولهم: هو دَخَّال خَرَّاج إذا كثُر منه ذلك وعُرِف به».

وقال الآلوسي في «سحَّار»: «فسَّره بعضُهم بأنه الذي يديم السِّحْرَ، والساحر مَن أن يكون قد سحر في وقت دونَ وقت، وقيل: الساحر هو المبتدئ في صِناعة السحر، والسحَّار هو المنتهي الذي يُتعَلَّم منه ذلك»[٢].

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ [الأعراف: ١١٣]. قرأ بزيادة همزة مفتوحة (أَئِنَّ).

على الاستفهام. قال الرَّازي: «قال الواحدي رحمه الله: الاستفهام أحسنُ في هذا الموضِع؛ لأنهم أرادوا أن يعلموا هل لهم أجر أم لا؟ ويقطعوا على أن لهم الأجر، ويقوي ذلك إجماعُهم في سورة الشعراء[٣] على الهمز للاستفهام»[٤].

ويقول ابن عاشور عن القراءَتين -القراءة بهمزة واحدة وبهمزتين-: «وعلى القراءتين فالمعنى على الاستفهام كما هو ظاهر الجواب بـ «نَعَم»، وهمزة الاستفهام محذوفة تخفيفًا على القراءة الأولى، ويجوز أن يكون المعنى عليها أيضًا على الخبرية لأنهم وثقوا بحصول الأجر لهم حتى صيَّروه في حيز الُمخبَر به عن فرعون، ويكون جوابُ فرعون بـ «نَعَم» تقريرًا لما أخبروا به عنه»[٥].

﴿تَلۡقَفُ﴾ [الأعراف: ١١٧] قرأ بفتح اللام وتشديد القاف (تَلَقَّفُ)، وكذلك في

---

(١) التفسير الكبير (٧/ ٢٢٨).
(٢) روح المعاني (٩/ ٢٣).
(٣) يعني قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١].
(٤) التفسير الكبير (٧/ ٢٢٩)، وكلام الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٧٥) مع تغيير يسير.
(٥) التحرير والتنوير (/ ٤٦).

الشعراء وطه.

مِن «تَلَقَّفَ يَتلَقَّفُ»، والأصلُ «تتلقف» فحذفت إحدى التاءَين تخفيفًا.

﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٢٣] قرأ بهمزتين (ءَءَامَنتُم)، وكذلك في سورتي طه والشعراء.

على الاستفهام، وهو للإنكار.

وأمَّا على القراءة بهمزة واحدة فعلى الخبر، على معنى: فعلتم هذا الفعلَ الشنيعَ – توبيخًا لهم وتقريعًا. أو أنه بمعنى الاستفهام، وحذفت همزة الاستفهام للخِفَّة، وحَسُنَ ذلك لأن ما في الكلام من معنى التوبيخ والتقريع من فرعون للسحرة يدلُّ على الاستفهام الذي معناه الإنكار منه لإيمانهم[(١)].

﴿ يَعۡكُفُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] قرأ بكسر الكاف (يَعۡكِفُونَ).

الكسر والضم لغتان، نُسب الكسر إلى أهل الحجاز، والضم إلى تميم وقيس وأسد وبكر[(٢)]، ومعنى يعكفون على أصنام لهم: يُلازِمون عبادَتَها ويُواظِبون عليها، يُقال: عَكَف على الشيء يعْكُفُ ويَعْكِفُ إذا أقام عليه ولزمَه وواظَبَ عليه، ولهذا قيل للملازِم المسجد: معتكف.

﴿دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قرأها بهمزةٍ مفتوحةٍ بعد الألِف مع المدِّ المُتصِل، وحذفِ التنوين (دَكَّاءَ).

على وزن «فعْلاء» و«حَمْرَاء»، يقولون: ناقةٌ دكَّاء، أي: مُنبَسِطة السنام غير مُرتفِعة، والمعنى: جعله أرْضًا دكاء تشبيهًا بالناقة الدَّكاء، أو من قولهم أرضٌ دكَّاء أي رابية ناشِزة ناتئة، لا تبلغُ أن تكون جَبَلًا، وهذا يناسِب قولَ مَن قال إنه لم يذهب كله، وإنما ذهَبَ أعلاه، وبقِيَ أكثرُه، والله تعالى أعلم[(٣)].

(١) ينظر الكتاب الفريد (٣/ ١٠٧)، الكشف (٣٣٢).
(٢) ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٤، ١٢٥).
(٣) ينظر البحر المحيط (٥/ ١٦٧).

قال القرطبي: «والمذكر أدك، وجمع دكاء دكاوات ودُكّ مثل حمراوات وحمر. قال الكسائي: الدَّك من الجبال: العراض، واحدها أدك. غيره: والدكاوات جمع دكاء: رَوَابٍ من طين ليست بالغلاظ»[(١)].

وأما القراءة بالقصر والتنوين فمصدر دككت الأرضَ دكًّا، أي: جعلتها مستويةً لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، من دَكَّه يدُكُّه دَكًّا، إذا دقَّه وسحقه، والدكُّ والدقُّ أخوان، ومنه: ناقة دكَّاء، وهي التي التصق سنامُها بظهرها.

وفي الجمع بين القراءتين قيل: لما تجَلَّى الله سبحانه وتعالى للجبل دُكَّ فتفتَّت فأصبح كأنه أرض مستوية لا ارتفاع لها، ولا عُلو فيها، فالقراءتان بينهما ترتيب بأن الجبل تفتت ثم استوى فكان أرضًا مُستوية، والله تعالى أعلم.

وذكر الدكتور عبده الراجحي أن الممدود لهجة الحجاز، وأن بني تميم وقيسًا وربيعة وأسدًا يذهبون إلى القصر[(٢)].

﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قرأ بفتح الراء والشين (الرَّشَدِ).

الجمهور على أن الرُّشْد والرَّشَد لغتان في المصدر بمعنى واحد، في الصَّلاح والدين، كالبُخل والبَخَل، والسُّقم والسَّقم، والحُزْنِ والحَزَن.

قال المنتجب الهمذاني: «وهي مصادرُ بمعنًى، أمَّا الرُّشْد فمصدر رَشَدَ يرشُدُ، وأمَّا الرَّشَد والرَّشاد فمصدران لرشِدَ يرشَدُ بكسر العينِ في الماضي وفتحها في الغابر. وسبيل الرشد: سبيل الصلاح والهدى»[(٣)].

وقيل: «الرُّشد» بالضم الاسم، وبالفتحتين المصدر[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٢٨٠٨).

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٦٧، ١٦٨).

(٣) الكتاب الفريد (٣/ ١٢٩).

(٤) التفسير الكبير (٧/ ٢٨١).

وقال أبو عمرو بن العلاء: «الرُّشْد» بضمٍّ وسكون: الصَّلاحُ في النظر، وقد أُجمِعَ على الضم في ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء: ٦]، وبفتحتين: الدِّين؛ لأن بعده ذكر الغيِّ، والدين ضد الغي وأُجمِعَ على الفتح في قوله تعالى: ﴿تَحَرَّوْاْرَشَدًا﴾ [الجن: ١٤]، أي: دِينًا، ومثله: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠] أي: دِينًا، والمعنيان متقاربان؛ لأن الدينَ الصلاحُ، والصلاح هو الدين[1].

قال القرطبي: «وحقيقة الرُّشْد والرَّشَد في اللغة أن يظفر الإنسان بما يريد، وهو ضد الخيبة».

﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] قرأ بكسر الحاء (حِلِيِّهِمْ).

لغة فيه، على إتباع الحاء كسرةَ اللام، مثل: عِصِيٍّ وقِسِي، ونُسب الكسر إلى أهل الحجاز، والضم إلى تميم وقيس وأسد وبكر[2]، وهو على القراءتين جمع حَلْي أو حِلْية، فجُمع على وزن «فُعُول» كفَلْس وفُلُوس، فأصله حُلُوي: اجتمعت الياء والواو وسُبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأُدغمت، وكُسرت عين الكلمة وإن كانت في الأصل مضمومة لتصِحَّ الياءُ، ثم لنا بعد ذلك وجهان: ترك الفاء على ضمها، أو إتباعها العينَ في الكسر[3].

﴿ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ ﴾ [الأعراف: ١٤٩] قرأ بتاء الخطاب في الفعلين ونصب باء ﴿رَبُّنَا ﴾ : (تَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَتَغْفِرْ).

على أن الفعل للمُخاطَبة، والمُخاطَب به هو الله -تعالى-، و«رَبَّنَا» مُنادى مُضاف منصوب. وعن القراءة بالياء والرفع قال الرازي: «فقالوا ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾، وهذا كلام مَن اعترف بعظيم ما أقدم عليه ونَدِمَ على ما صَدَرَ منه ورغب إلى ربه في إقالة عثرته، ثم صدقوا على أنفسهم كونهم من

(١) ينظر الكشف (٣٣٤، ٣٣٥)، الدر المصون (٣/ ٣٤٢).
(٢) ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٣: ١٢٥).
(٣) ينظر الدر المصون (٣/ ٣٤٣)، معجم مفردات الإعلال والإبدال (٨٦).

الخاسرين إن لم يغفر الله لهم».

وقال أبو حيان -رحمه الله- في الجمع بين القراءتين: «ويحتمل أن يكون القولان صدَرَا منهم جميعًا على التعاقب، أو هذا مِن طائفة، وهذا من طائفة، فمَن غَلَبَ عليه الخوفُ وقوِيَ على المواجهة خاطبَ مُستقِيلًا من ذنبِه العظيم، ومَن غلبَ عليه الحياءُ أخرَجَ كلامَه مُخرَجَ المُستحيي من الخطاب، فأسند الفعلَ إلى الغائبِ، وفي قولهم: «ربَّنا» استعطافٌ حَسَن؛ إذ الرب هو المالك الناظر في أمر عبيده، والمصلح منهم ما فسد»[(١)].

﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ [الأعراف: ١٥٠] قرأ بكسر الميم (ابْنَ أُمِّ)، وكذلك في ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه:٤٩].

أصلها «ابن أُمِّي» فحذفت الياء اكتفاءً بالكسرة تخفيفًا كالمنادى المضاف إلى الياء، كقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾ [الزخرف: ٦٨]، وأمَّا فتح الميم فزيادة في التخفيف، أو جعلها كاسم واحد تشبيهًا بخمسةَ عشرَ، فصار كقولك: يا خمسةَ عشرَ أقبلوا[(٢)].

والكسر في الميم كسر بناءٍ عند البصريين لأجلِ ياء المتكلِّم بمعنى أنَّا أضفنا هذا الاسم المركَّبَ كله لياء المتكلم فكُسِر آخره (أمِّي)، ثمَّ اجتُزِئَ عن الياء بالكسرَة (أُمِّ). وعلى رأي الكوفيين يكون الكسرُ كسرَ إعرابٍ، وحذفت الياء مُجتزِأً عنها بالكسرة، كما اجتُزِئَ عن ألفها بالفتحة على توجيههم قراءةَ الفتح[(٣)].

﴿مَعْذِرَةً﴾ [الأعراف: ١٦٤] قرأ برفعِ التاء (مَعْذِرَةٌ إلى رَبِّكُم).

على أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي : هذه أو موعظتُنا معذرةٌ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] قرأ بياء الغيبة (أفلا يَعْقِلُون).

حملًا على الغيبة فيما سبقه في قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ﴾،

---

(١) البحر المحيط (٥/ ١٨٠).

(٢) ينظر روح المعاني (٩/ ٦٨)، تفسير القرطبي (٤/ ٢٨١٩).

(٣) ينظر الدر المصون (٣/ ٣٤٨).

و﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم﴾، وما بعده أيضًا على الغيبة نحو: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ﴾، فهو موافق لما قبله ولما بعده.

قال ابن عاشور: «وقد نُزِّلوا في تخيرهم عرضَ الدنيا بمنزلة من لا عُقُولَ لهم فخوطبوا بـ «أفلا تعقلون» بالاستفهام الإنكاري، وقد قرئ بتاء الخِطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ليكون أوقعَ في توجيه التوبيخ إليهم مُواجَهةً، ... وقرأ الباقون بياء الغيبة، فيكون توبيخُهم تعريضيًّا».

وقال الآلوسي: ««أفلا تعقلون» فتعلموا ذلك ولا تستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العذاب بالنعيم المقيم، وهو خطاب لأولئك المأخوذ عليهم الميثاق الآخذين لعرض هذا الأدنى، وفي الالتفات تشديد للتوبيخ، وقيل: هو خطاب للمؤمنين ولا التفاتَ فيه».

﴿يُلۡحِدُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قرأ بفتح الياء والحاء (يَلْحَدُون)، وكذلك في النحل وفصلت، وقد انفرد بها حمزة هنا وفي فصلت.

من «لَحَدَ يَلْحَدُ» الثلاثي، قيل إن «لحَدَ» الثلاثي و«ألحَدَ» الرباعي لغتان بمعنى واحد، وهو الميل والعدول عن الاستقامة والانحِرَاف عنها، ومنه اللَّحد - لحد القبر؛ لأنه يُمال بحفره إلى جانِبه، بخِلاف الضريح فإنه يُحفر في وَسَطِه.

ولتعيين اللغات فيهما على اتحادهما في المعنى يقول الدكتور عبده الراجحي: «تكاد رواياتهم تتفق على أنه حين يتحد المثالان «فَعَل» و«أَفْعَل» في المعنى فإن «فَعَل» لهجة لأهل الحجاز، حيث يستعمل التميميون «أَفْعَل»، ويعزو أبو حيان مثال «أَفْعَل» إلى تميم وربيعة وقيس، كما ينقل ابن خالويه عن أبي زيد أنها لبني كلب»[(١)].

وقال ابن أبي مريم: «قال الفراء: يَلْحَدُون بالفتح: يميلون، ويُلْحِدون بالضم: يعترضون. وقال أبو عبيد: لحدت: جُرْت، وألْحَدت: مَارَيْت [وجادلت]».ا.هـ

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٧٣: ١٧٥).

والإلحاد في أسماء الله تعالى أربعة أنواع:

١- أن ينكر شيءٌ منها، أو مما تضمنته من الصفات، كما فعل الجهمية.

٢- أن يُسمى الله بما لم يُسَمِّ به نفسَه، كما سمَّاه النصارى آبـًا.

٣- أن يعتقد دلالتها على مُشابهة الله لخلقه، كما فعل المشبِّهَة.

٤- بالتغيير فيها، كما يفعله المشركون، وذلك أنهم عَدَلوا بها عمَّا هي عليه، فسموا بها أوثانهم، فاشتقوا اللَّات من الله، والعُزَّى من العزيز، ومَنَاةَ من المنَّان[١].

وأمَّا في موضع سورة فُصِّلت فقد ذُكِر الإلحادُ في آيات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾ [فصلت: ٤٠].

يقول الشيخ ابن العثيمين -رحمه الله-: «**الإلحاد في آيات الله نوعان:**

١- الإلحاد في الآيات الكونية: التي هي المخلوقات، وهو إنكارُ إفرادِ الله بها بأن يعتقد أن أحدًا انفردَ بها أو ببعضِها دونه، وأن معه مُشارِكًا في الخَلْق أو مُعِينًا.

٢- الإلحاد في الآيات الشرعية: التي هي الوحيُ النازِلُ على الأنبياء، وهو تحريفُها، أو تكذيبُها، أو مُخالَفَتُها»[٢].

﴿ وَيَذَرُهُمۡ ﴾ [الأعراف: ١٨٦] قرأ بجَزم الراء (وَيَذَرْهُمْ).

عطفًا على مَحَلِّ قولِه تعالى ﴿ فَـلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٨٦]؛ لأنه جوابٌ للشرط، فهي في محل جَزْم، فعطف على محلها، كأنه قيل : مَن يضللِ اللهُ لا يهدِهِ أحدٌ، ويَذرْهُ في طُغيانِه، وهو كقوله تعالى : «وَإِن تُخفُوهَا وتؤتُوهَا الفقرَاءَ فهُوَ خيرٌ لكُمْ وَنُكَفِّرْ» بجزم «نُكَفِّرْ»، وعلى هذا لا يفصل بالوقف بين «فلا هاديَ له» و «يذرْهم».

(١) ينظر مجموع رسائل العقيدة للشيخ ابن العثيمين في تعليقه على كتاب العقيدة الواسطية (١/ ٣٢٥)، تفسير القرطبي (٤/ ٢٨٥٥).

(٢) مجموع رسائل العقيدة (١/ ٣٢٦).

وقيل: يحتمل أن يكون السكونُ تخفيفًا لتوالي الحركات، كقراءة أبي عمرو -رحمه الله-: «يَنصُرْكُم» و«يُشْعِرْكُم» ونحوه[1]، والله تعالى أعلم.

سورة الأنفال

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] قرأ في المَوضِعَيْن بتخفيف النون مع كسرها لالتقاء الساكنين، ورفعِ اسم الجلالة (ولَكِنِ اللهُ).

على أن «لكنْ» المخفَّفة لا تعْمَل، وهيَ للاستدراك كالمثقَّلة، ورفع اسم الجلالة على الابتداء، والجملة الفعلية بعدَهُ خبر.

وللدكتور الزهيري لفتة في القراءة بالتشديد والتخفيف فقال: «قراءة «لَكِنَّ» بتشديد النون تفيد التوكيد، ووجهه أن ذلك الفعل -أعني وصولَ هذه الحصيات إلى الكفار وإصابَتهم بها وكونَها سببًا في قتل المسلمين لهم- مما يحتاج إلى توكيد، ليكونَ كالمصباح يضيءُ للمؤمنين طريقَهم ويهديهم على الدوام إلى كمال التوكل على الله وحده والثقةِ فيه مهما كانوا ضعفاء، ومهما قويت شوكةُ عدوِّهم، وقراءة «لكن» بتخفيف النون تفيد أن حُدوثَ ذلك الفعلَ يسيرٌ وهَيِّن على الله، وليس مستغربًا في قُدرة الله حتى يحتاج إلى توكيد»[2].

﴿مُوهِنُ كَيۡدِ﴾ [الأنفال: ١٨] قرأ بتنوين النون ونصب الدال (مُوهِنٌ كَيْدَ).

على أنه اسم فاعل مِن «أوْهَنَ» كـ «أكرَمَ»، مُعدى بالهمزة، عَمِلَ عَمَلَ فعلِه، و«كيدَ» بالنصب على أنه مفعول به.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] قرأ بكسر الهمزة (وَإِنَّ الله).

على الاستئناف، وفيه معنى التوكيد لنصره -سبحانه- المؤمنين. والجملة حينئذٍ تذييل، كأنه قيل: القصد إعلاء أمرِ المؤمنين وتوهين كيدِ الكافرين وكيت وكيت، وإن

(١) ينظر الدر المصون (٣/ ٣٧٨، ٣٧٩)، إيضاح الوقف والابتداء (٣٤٩).
(٢) الدرر الباهرة (١/ ٣٦٤).

سُنَّةَ الله تعالى جاريةٌ في نصر المؤمنين وخذلان الكافرين، وهذا إن أمكن إجراءُ ذلك المعنى على قراءة الفتح لكن قراءة الكسر نصٌّ فيه[١].

وعلى القراءة بالكسر يحسُن الوقفُ على ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾؛ لأن «إِنَّ» مستأنفة، فالوقف عليه كافٍ، وليس بوقف على القراءة بفتح الهمزة لتعلق ما بعدَها بما قبله، والتقدير: ولو كثُرت ولأنَّ الله، أي: لذلك لم تُغنِ عنكم فئتُكم شيئًا، وقيل: فُتِحَت عطفًا على أختيها اللتين قبلها وهما: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨][٢].

﴿مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾ [الأنفال: ٧٢] قرأ بكسر الواو (مِن وِلايَتِهِم)، وهي مما انفرَدَ به حَمزة هنا.

قيل: الفتح والكسر لغتان، كالدَّلالة والدِّلالة، والوَكالة والوِكالة، ومعناهما النُّصرة، وقيل: الفتح بمعنى النصرة، والكسر بمعنى الإمارة.

قال الواحدي: «قال الزجاج: مَن فتح جعلها من النصرة والنسب، قال: والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة؛ ليفصل بين المعنيين، وقد يجوز كسر الولاية؛ لأن في تولي بعضِ القوم بعضًا جنسًا من الصِّناعة نحو: القِصَارة، والخِياطة، فهي مكسورة، قال: والولاية على الإيمان واجب، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض»[٣].

سورة التَّوبة

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠] قرأ بدُون تنوين (عُزَيْرُ ابْنُ).

ذكر فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه اسم منصرِف مرفوع بالابتداء، و«ابن» خبره، وحُذِف التنوين لالتقاء

(١) ينظر روح المعاني (٩/ ١٨٨).

(٢) ينظر المكتفى للداني (١٠٣)، إيضاح الوقف والابتدا (٣٥٤)، منار الهدى (٣٢٢)، الكتاب الفريد (٣/ ١٩٩).

(٣) التفسير البسيط للواحدي (١٠/ ٢٦٥، ٢٦٦)، وينظر الكتاب الفريد (٣/ ٢٣٠، ٢٣١).

الساكنَين -أعني نونَ التنوين وباءَ «ابْن»-، كما ذُكر في القراءة الشاذة: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ الصَّمَدُ) بضم الدال في «أحد» وصلًا بغير تنوين[(١)]، وكما أنشد:

فَأَلْفَيْتُــــه غَـــيْرَ مُسَـــتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِـــــرِ اللهَ إِلَّا قَلِـــــيلَا

فقال: «ذاكرِ» أو «ذاكرَ» بغير تنوين، والأصل: ولا ذَاكِرٍ أو ذاكرًا اللهَ، أو حُذِف التنوين للتخفيف كما تحذف النون لذلك في نحو: (ولا تك في ضيق).

الثاني: أنه مرفوع بالابتداء، و«ابن» صفة له، والخبر محذوف، أي: عزيرُ بنُ الله صاحبُنا أو إلـٰهُنا ومعبودُنا، أو بالعكس، أي: صاحبنا أو معبودُنا عزيرُ، و«ابن» صِفة له أو بدل أو عَطف بيان.

وهو على هذا منصرف أيضًا، ولم ينون لوقوع «ابن» بعده صفةً له.

وضُعِّف هذا الوجه (أن يكون «ابن» صفة لـ «عزير»، و«معبودنا» خبر)، قيل: لأن الإنكار إذا وقعَ لهذه الجملة الاسمية -أعني: عُزَيْرُ ابنُ الله إلـٰهُنا- وقع للخبر، أي إنكار أن يكون «عُزير» إلـٰهَهم، وكأنه لم ينكِر قولهم بأنه ابنٌ لله، والذي أنكر عليهم إنما هو نسبة البُنُوَّة إلى الله تعالى، ولم يرتضِ الرازي هذا التضعيف، قال: «وهذا الطعن عندي ضعيف»، وردَّ عليه[(٢)].

ويُقوِّي كونَ «ابن» خبرًا وليس صفةً رسمه في المصحف بالألِف، لأنه متى وقع الـ«ابنُ» صفةً بين عَلَمَين غيرَ مفصول بينه وبين موصوفه حُذفت ألِفُه خَطًّا وتنوينُه لفظًا، ولا تثبت إلا ضرورةً، والله تعالى أعلم.

الثالث: أنه مبتدأ، و«ابن» خبره، ومُنع من الصرف لكونه عَلَمًا أعجميًّا كعَازر وعيزار وعزرائيل، وإن جاء على هيئة التصغير في لسان العرب -والأسماء الأعجمية لا

(١) ذكرها ابنُ مُجاهد عن هارون عن أبي عمرو في «السبعة» (٧٠١)، وكذلك في الحجة للفارسي (٦/ ٤٥٤)، المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٦)، وقرأها نصرُ بن عاصم وعبد الله بن أبي إسحاق، وكذا يُروى عن أبان بن عثمان كما ذكر النحاس في إعراب القرآن (١٣٧٨)، ورويت عن عُمر - رضي الله عنه - كما في مختصر الشواذ (١٨٣).

(٢) التفسير الكبير (٧/ ٦٣٢، ٦٣٣).

تُصغَّر-، ولكنه ليس بتصغير، فهو كـ«سُلَيْمَانَ» جاء على مثال: عُثَيْمان وعُبَيْدان[(١)].

والذي يظهر لي أن «عُزير» مبتدأ، و«ابن» خبره كالقراءة بالتنوين بدلالة ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، للمشاكلة بينهما، والله تعالى أعلم.

﴿ يُضَٰهِـُٔونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] قرأ بحذف الهمزة وضمِّ الهاء (يُضَاهُونَ).

الهمز وتركه لغتان فيه، يقال: ضَاهيت بالياء، وضاهأت بالهمز، إذا أشبهت، والهمز لغة ثقيف، وترك الهمز أكثر، وأصل المضاهاة المشابَهة.

ولام الفعل على حذف الهمزة محذوفة، كما حذفت في «يقضون» ونحوه.

﴿ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٥٤] قرأ بياء التذكير (يُقْبَلَ).

لأن «نفقاتهم» جمع «نفقة» مُؤنَث غير حقيقي، والفعل مقدَّم، وفصل بينه وبين مرفوعه فجاز تذكيره.

﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [التوبة: ٦١] قرأ بخَفضِ التاءِ (وَرَحْمَةٍ)، وهي مِمَّا انفردَ به حمزةُ رحمه الله.

عطفًا على «خَيرٍ»، وجملة ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ حينئذٍ مُعترِضة بين المُتعاطِفَيْن، أي: أذنُ خيرٍ ورحمةٍ، لا يسمع غيرَهما ولا يقبله.

وعن الجمع بين القراءتين تقول الباحثة أحلام مصباح: «أرى أن قراءة «رحمة» بالخفض -لأنها معطوفة على «خيرٍ»- أفادت أن من صفات النبي ﷺ أنه مُستمِعُ خيرٍ ورحمة، لا يسمع غيرَهما ولا يقبله، أما قراءة الضم «ورحمةٌ» -لأنها معطوفة على «أذن»- أفادت معنى آخر، وهو أن النبي ﷺ هو الرحمة بعينها، فأطلق المصدر على الفاعل، وهذا يفيد المبالغةَ في أن الرسولَ ﷺ هو رحمة للعالمين جميعًا، **فكلُّ قراءةٍ أعطت مفهومًا**

(١) ينظر الدر المصون (٣/ ٤٥٨)، البحر المحيط (٥/ ٤٠٢، ٤٠٣)، معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣١، ٤٣٢)، الكتاب الفريد (٣/ ٢٥٥).

جديدًا للآية، والله أعلم»[(١)].

﴿إِن نَّعۡفُ﴾ قرأ الفعل بياءٍ مضمومة بدل النون، وفتح الفاء (يُعْفَ)، و﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾ [التوبة: ٦٦] قرأ بتاء التأنيث وفتح الذال، مع رفع ﴿طَآئِفَةَۢ﴾: (تُعَذَّبْ طَائِفَةٌ).

على بناء الفعلين لما لم يُسم فاعله، ونائب الفاعل في جملة «يُعْفَ» هو «عن طائفة»؛ لأن «عفا» لا يتعدَّى إلا بحرف جر، ونائبه في جملة «تُعَذَّب»: «طائِفةٌ».

وعن سر هذا التعبير يقول الدكتور الزهيري: «وقراءة «تُعَذَّب» بالتاء مع البناء لما لم يُسَمَّ فاعله تفيد حقارَتَهم على الله، وعدمَ مُبالاته بهم لكفرهم، كما يفيد تعميمَ عذابِهم، فالملائكة تعذبهم، والنار تتغيَّظ عليهم وتعذبهم، وذلك كله بأمر الله وإذنه»[(٢)].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن بناء الفعل للفاعل أو المفعول نوع من تلوين الأسلوب البياني في القرآن الكريم، ففي القراءة الأولى [قراءة حفص]: صرح بالفاعل، وذلك تنبيهًا للأذهان على أن الله وحده هو القادر الذي بيده العفوُ والعذابُ في الدنيا والآخرة.

وفي القراءة الثانية: ترك الفاعل ليس للجهل به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، وإعلامًا بعِظَمِ الفعل، وإن كان الفعلُ والفاعلُ مُهمَّين، والله تعالى أعلم[(٣)].

﴿جُرُفٍ﴾ [التوبة: ١٠٩] قرأ بإسكان الراء (جُرْفٍ).

للتخفيف، فهما لغتان، قيل: الأصل الضم، والتسكين فرع عنه نحو: شُغُل وشُغْل، وعُنُق وعُنْق، وقيل بالعكس كعُسْر ويُسْر[(٤)].

وجُرف الوادي: جانبه الذي ينحفر أصله بالماء؛ لأن السيل جَرَفَه فيبقى واهِيًا، فإذا

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٤/ ١٨٥).
(٢) الدرر الباهرة (١/ ٣٨٨).
(٣) من تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٤/ ١٩١) - إعداد الباحثة أحلام مصباح - بتصرف.
(٤) ينظر الدر المصون (٣/ ٥٠٥)، وقد تقدم نظيره في لفظ «خُطْوات» بسورة البقرة.

وطِئَته دابة أو إنسان انهار.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ [التوبة: ١٢٦] قرأ بالخطاب (تَرَوْنَ).

خطابًا للمؤمنين، فخرج الاستفهام بذلك إلى معنى التعجيب والتنبيه، نُبِّه المؤمنون على إعراضِ المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي أن ينظروا فيه ويتدبروه، وذلك أنهم -أي المنافقين- يُمتحَنون بالأمراض والأسباب التي لا يُؤمَن معها الموتُ فلا يرتدعون عن كُفرِهم، ولا ينزجرون عمَّا هم عليه من النفاق، ولا يُقَدِّمون عملًا يُقدَّمون عليه إذا ماتوا، فنُبِّهَ المسلمون على قلة اعتبار هؤلاء واتعاظهم.

وعلى القراءة بالياء يكون هذا التقريعُ -بالإعراض عما يجب ألا يُعرضوا عنه من التوبة والإقلاع عما هم عليه من النفاق- لاحِقًا لهم من غير أن يُصرَف التنبيه إلى المسلمين في الخطاب؛ لأن المسلمين قد عرفوا ذلك من أمرهم[(١)].

وعلى كلتا القراءتين يحتمل أن تكون الرؤية في «يرون» هنا بصريةً من رؤية العين، وأن تكون قلبيةً من رؤية القلب، فيتعدَّى إلى مفعولين، وسدت «أن» مسدَّهما، واختار أبو علي الفارسي أن تكون من رؤية العين؛ لأنه عِلم لا يدخله رَيبٌ، فذلك أقوى في الحُجة عليهم، قال: «وأن يكون من رؤية العين أولى؛ لأنهم يُستَبطَؤون في مشاهدة ذلك، والإعراض عنه على ترك الاعتبار به، وهذا أبلغ في هذا الباب من المتعدِّية إلى مفعولين [يعني الرؤية القلبية]، ألا ترى أن تاركَ الاستدلال أعذر من المُضرب عمَّا يشاهد ويحس»[(٢)].

سورة يونس عليه السَّلام

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [يونس: ٥] قرأ بنون العَظمَة (نُفَصِّلُ).

للتعظيم، التفاتًا من الغيبة إلى التكلم، وفيه موافقة لما تقدَّم من قوله تعالى في أول

---

(١) ينظر الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) السابق (٤/ ٢٣٣).

السورة: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢].

قال الدكتور الزهيري في الدرر الباهرة : «قراءة «نُفصِّل» بالنون تدل على عظيمِ قدرة الله في خلقه الشمسَ والقمر، كما تدل على عظيم تفصيله للآيات بحيث لم يبقَ لأحد عُذر في كفره وإلحاده».

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] قرأ بالخِطاب (تُشرِكون).

جريًا على ما سبق من الخطاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ﴾، فحمل آخر الكلام على أوله في الخطاب.

وقال الدكتور الزهيري: «قراءة الياء تفيد الإعراضَ عن مخاطبتهم لشركهم وكفرهم، فهم لا يستحقون أن يخاطبهم الجليلُ العظيم، فهي تدل على أن مخاطبتهم -كما في قراءة التاء- إنما هو خطابُ سخط وغضب»[(١)].

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٣] قرأ بضم العين (مَّتَاعُ الحَيَاةِ).

بالرفع على أنه خبر «بَغيُكم»، و«على أنفسِكم» ليس بخبر المبتدأ، وهو مُتعلِّق بالبغي، وتقديره: إنما بغيُ بعضكم على بعض متاعُ الحياة الدنيا، أي بغي بعضكم على بعض انتفاعٌ قليل المدة ثم يضمَحِل ويشقى ببغيه. ويجوز أن يكون «على أنفسكم» خبرًا، و«متاعُ» خبرًا ثانيًا، وعليهما فلا يوقف على «على أنفسكم» لعدم الفصل بين المبتدأ وخبره.

ويجوز أن يكون «متاعُ» خبرًا لمبتدأٍ محذوف، أي: هو متاعُ، ومعنى: «على أنفسكم» أي: على بعضكم وجنسكم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، أو يكون المعنى: إن وبالَ البغي راجع عليكم لا يتعدَّاكم كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، قال القرطبي: «وروي عن سُفيان بن عيينة أنه قال: أراد أن البغيَ متاعُ الحياةِ الدنيا، أي: عقوبته تُعَجَّل لصاحبه في الدنيا، كما يقال: البغيُ مَصْرَعة».

(١) الدرر الباهرة (١/ ٤٠٣).

وعلى هذا فيكون الوقف على «على أنفسكم» كافيًا، فيحسُن الوقف عليه والابتداء بها بعده، لكون الكلام مستأنفًا، والله تعالى أعلم[(١)].

﴿ تَبْلُواْ ﴾ [يونس: ٣٠] قرأ بتاء مكان الباء (تَتْلُوا).

فيها أوجه:

الأول: أن تكون من التلو، أي: تطلُب وتتبع ما أسلفته مِن أعمالها، وتُعَوِّل على جزاء ما قدَّمَتْ؛ لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار، ومنه قوله:

إنَّ الْمُرِيبَ يَتبَعُ الْمُرِيبَا ... كَمَا رَأيْتَ الذِّيبَ يَتْلو الذِّيبَا

أي: يتبعه ويطلبه.

والثاني: أن تكون من التِّلاوة المتعارفة، أي: تقرأ كل نفسٍ ما عملته مُسطَّرًا في صحف الحفظة من خير أو شر، كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[الكهف: ٤٩]، وقوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

وقيل: «تتلو ما أسلفت» أي تُعاينِ ما عملت.

وأما قراءة «تبْلو» فهي من البلاء، وهو الاختبار، أي: تعرف عملها، خيرٌ هو أم شر، وتطلع عليه لتجزى به.

قيل: أي تختبر كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة ما أسلفت من العمل، فتعاين نفعَه وضرَّه أتمَّ معاينة، فتعرف كيف هو، أقبيح أم حسن، أنافع أم ضار، أمقبول أم مردود، كما يتعرف الرجل الشيءَ باختياره.

وقال القرطبي: ««تبلو» أي: تذوق، وقال الكلبي: تعلم. مجاهد: تختبر. «كل نفس ما أسلفت» أي: جزاء ما عملت وقدَّمت. وقيل: تسلم، أي: تسلم ما عليها من الحقوق

(١) ينظر الدر المصون (٤/ ١٩)، الإتحاف (٣١١)، قراءة حمزة بن حبيب الزيَّات (٤٠، ٤١)، المكتفى (١١٢).

إلى أربابها بغير اختيارها».

وقال الدكتور محمد الجمل: «... وهكذا فإن القراءات بيَّنت أحوالًا مختلفة للنفس إبان الحساب يوم القيامة، فهي تقرأ كتابها وتتعرف ما فيه، وتختبر وتعرف حقيقةَ حالها وما ستؤول إليه، ثم تتبعه فيقودها إلى الجنة أو النار، **وكل ذلك أفادته كلمة واحدة بقراءاتها**»(١).

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ [يونس: ٣٥] قرأ بإسكان الهاء وتخفيف الدال (لا يَهْدِي).

من «هَدَى يَهْدِي هداية»، على وزن «يَفْعِل»، وليس على وزن «يَفْتَعِل»، والمعنى: أم من لا يَهدِي غيرَه إلا أن يُهدَى، فحذف المفعول به.

ويجوز أن يكون بمعنى يَهْتدِي أيضًا، فإن «هَدَى» قد جاء لازمًا بمعنى «اهتدَى»، تقول: هَدَى الرجُلُ، أي اهتدَى، والله تعالى أعلم(٢).

قال القرطبي: «ثم قل لهم مُوبِّخًا ومقرِّرًا: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ﴾ أي: يُرشِدُ ﴿إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الله سبحانه وتعالى ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهدَى﴾ يريد الأصنامَ التي لا تهدِي أحدًا، ولا تمشي إلا أن تُحمَلَ، ولا تنتقل عن مكانها إلا أن تُنقَل. قال الشاعر:

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ ... حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ

وقيل: المراد الرؤساء والمضلون الذين لا يرشدون أنفسهم إلى هُدًى إلا أن يُرشَدُوا»(٣).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٤٤] قرأ بتخفيف النون مكسورةً، ورفعِ «الناس»: (وَلَكِنِ النَّاسُ).

على إبطال عمل «لكِنّ»، ورفع ما بعدَها على الابتداء.

---

(١) الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة (٣٢٠)، وينظر تفسير الطبري (١٢/ ١٧٤)، الدر المصون (٤/ ٢٨، ٢٩)، روح المعاني (١١/ ١٠٩)، تفسير القرطبي (٤/ ٣٢٦١).

(٢) ينظر الكتاب الموضح (١/ ٣٥٨).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٣٢٦٨).

فائدة: قال الدكتور إبراهيم البلِّيزي: «قراءة حمزة والكسائي ﴿وَلَٰكِنِ النَّاسُ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتخفيف «لكن» ورفع «الناس» دليل قاطع على بطلان إعراب «أنفسهم» توكيدًا معنويًّا في قراءة غيرهما، فهي مفعول به مقدم على عامله، أي: ولكن الناس يظلمون أنفسَهم، ودليل آخر وهو نصبها على المفعول به قولًا واحدًا في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]»[(١)].

يقصد لو كان «أنفسهم» في الآية توكيدًا لـ «الناس» لتغيرت على قراءة حمزة والكسائي وصارت: «أنفسُهم» بالرفع توكيدًا لـ «الناس» المرفوع، فلما كانت منصوبةً أيضًا على قراءتهما عُلِم أنها منصوبة بـ «يظلمون» على المفعولية لا غير.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ [يونس: ٤٥] قرأها بنون العَظَمَة (نَحْشُرُهُم).

فيه التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظَمَة، قال الدكتور الزهيري: «قراءة «نحشرهم» بالنون تفيد عظيمَ هَولِ ذلك الموقف، كما تفيد عظيمَ قدرةِ الله الذي حشرهم جميعًا؛ إذ هي نونُ العَظَمَة».

﴿وَلَآ أَصۡغَرَ﴾، ﴿وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ [يونس: ٦١] قرأ برفعِ الراءِ فيهما (وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ).

الرفع من وجهين:

أحدهما: العطف على محل «من مثقال»، فإن الجارَّ والمجرور ها هنا في موضع رفعٍ بالفاعلية، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قرئ برفع «غيره» وجرِّه، فالرفع على المحل، والجر على اللفظ، وكقولك: «ما قام من رجلٍ ولا امرأة» بجر «امرأة» ورفعها، وكقول الشاعر: فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا.

ويشكل على هذا الوجه أنه لو صحَّ هذا العطف لصار التقدير: وما يعْزُبُ عنه

(١) النحو القرآني (٢/ ١٥٣).

شيءٌ في الأرض ولا في السماء إلا في كتاب، وحينئذٍ يلزم أن يكونَ الشيءُ الذي في الكتاب خارجًا عن عِلم الله تعالى، وذلك باطل. وأُجِيبَ عن ذلك بأجوبة منها:

أن ذلك المعنى الباطل مبنيٌّ على أن الاستثناء متصل، ولكنه ها هنا مُنقطِع، فـ«إلَّا» فيه بمعنى «لكن»، والمعنى: وما يعزُبُ عن علم ربك من مثقال ذرة ولا أصغرُ منها ولا أكبرُ، لكن هو مُثبَت في اللوح المحفوظ معلومٌ عِندَه غيرُ خافٍ عليه.

والوجه الثاني: الرفع على الابتداء، والخبر قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾[١].

وعلى هذا الوجه يَحسُن الوقف على ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، والبدءُ بما بعدَه.

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ [يونس: ٩٠] بكسر همزة «أَنَّهُ» فيقرأ: (إِنَّهُ).

فيها أوجه:

أحَدُها: أنها على الاستئناف وانقطاعِ الكلام الذي قبله، كأنه انقطعَ الكلامُ عِندَ قولِه: «آمَنتُ»، ثم استأنَف فقال: «إِنَّهُ لا إلهَ إلا الذِي آمنت بِهِ بنو إسرَائيل»، وعلى هذا يحسُن الوقف على ﴿ءَامَنتُ﴾، والابتداءُ بـ ﴿ إِنَّهُۥ﴾.

الثاني: أنه على إضمارِ القَول، أي فقال: «إِنَّهُ...»، ويكون هذا القول مُفسِّرًا لقوله: «آمنتُ»،

الثالث: أن تكون هذه الجملة بدلًا من قوله: «آمَنتُ»، وإبدال الجملة الاسمية من الفعلية جائز، لأنها في معناها، وحينئذ تكون مكسورة لأنها محكية،

الرَّابع: أن «آمنتُ» ضُمِّن معنى القول، لأنه قول، والله تعالى أعلم[٢].

﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] قرأ بفتح النون الثانية وتشديد الجيم (نُنَجِّ المُؤْمِنِينَ).

مضارِع نَجَّى تَنْجِيةً. و«نُنجِي»: مضارع أنجَى إنجاءً.

---

(١) ينظر الكتاب الفريد (٣/ ٣٩٩)، التفسير الكبير (٨/ ٣٩٨، ٣٩٩).

(٢) ينظر الدر المصون (٤/ ٦٦، ٦٧)، إيضاح الوقف والابتدا (٣٦٨)، المكتفى (١١٥).

قال مكي: وهما لغتان، وقد جاء القرآن بهما، وفي التشديد معنى التكرير.

سورة هُود عليه السلام

﴿إِلَّا سِحۡرٞ﴾ [هود: ٧] قرأ بفتح السين وألِفٍ بعدها، وكسرِ الحاء (سَاحِر).

اسم فاعل، يشيرون -بكفرهم- إلى النبي ﷺ، أو إلى القرآن الكريمِ نفسِه، والساحر كاذب مُبطِل.

قال مكي: «ويجوز أن يكون «ساحر» بمعنى «سِحْر»؛ لأن الاسمَ قد يقعُ موضِعَ المصدر، كقولهم: عائذًا بالله من شَرِّها، أي: عِياذًا، فتكون القراءة بالألِف كالقراءة بغير ألف، وكان أبو عمرو يقول: «إذا كان بعده «مبين» فهو سِحر، وإذا كان بعده «عليم» فهو ساحر». و«المبين» يصلُح للسحر والساحر، فلا حُجة له في ذلك، فأما «عليم» فلا يكون إلا للساحر، فهو صحيح»[(١)].

﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ﴾ [هود: ٤٠] قرأ بتركِ التنوين (كُلِّ زَوْجَيْنِ)، وكذلك بسورة المؤمنون.

على إضافة «كُل» إلى «زَوْجَيْن»، والتقدير: احمل فيها اثنين من كلِّ زوجين، فـ«اثنَين» مفعولُ «احمِلْ»، و«مِن كُلِّ زَوجَينِ» في محل نصب حال مِن المفعول؛ لأنه كان صفةً للنكرة فلما قُدِّم عليها نُصِبَ حالًا.

وذكر وجه آخر للأخفش، وهو أن «مِن» زائدة في الإيجاب، و«كل» مفعول به، و«اثنين» توكيد[(٢)].

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [هود: ٤٢] بكسر الياء (يَابُنَيِّ) حيث وقع.

الفتح والكسر لغتان، وأصلها بثلاث ياءات «بُنَيِّي»، الأولى للتصغير، والثانية

(١) الكشف (٢٩١).
(٢) ينظر الكتاب الفريد (٣/ ٤٦٦)، الدر المصون (٤/ ٩٨)، التبيان في إعراب القرآن (٦٩٧، ٦٩٨).

تُقابل لام الكلمة، والثالثة ياء الإضافة التي يَنكسِر ما قبلها، فحُذِفت ياء الإضافة لاجتماع ثلاث ياءات وبقيَت الكسرة تدل عليها كما يقال: يا غُلامِ أقبِل[1].

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾[هود: ٦٩] قرأ بكسر السين وسكون اللام بلا ألِف (سِلْمٌ)، وكذلك بسورة الذاريات.

فيه وجهان:

أحدهما: أن السِّلم والسَّلام لغتان كحِلّ وحَلال ، وحِرْم وحَرَام.

والثاني: أن السِّلم: الصُّلح والمُسالَمَة التي هي ضِدُّ الحَرب، كأنهم لما كفوا عن تناول ما قدَّمَه إليهم خليلُ الرحمن -صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبيِّنا- فنكِرَهم وأوجس الخيفةَ منهم قال -عليه السلام-: أنا سِلمٌ لكم ولَسْت بحَرب لكم، فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما يُمتَنَع من طعام العدو. يقال: فلان سِلْمٌ لفلان، أي مُسَالِم له[2].

قال الرازي: «وهذا الوجه عندي بعيد؛ لأن على هذا التقدير ينبغي أن يكون تكلم إبراهيم -عليه السلام- بهذا اللفظ بعدَ إحضار الطعام، إلا أن القرآن يدل على أن هذا الكلام إنما وُجِدَ قبلَ إحضار الطعام لأنه تعالى قال: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾، والفاء للتعقيب فدل ذلك على أن مجيئَه بذلك العجل الحنيذ كان بعد ذكر السلام»[3].

﴿يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ١٢٣] قرأ بفتح الياء وكسر الجيم (يَرْجِعُ الأَمْرُ).

على البِناء للفاعل، و«الأمر» فاعل، فالأمر كله راجع إلى الله من غير أن يكون لغيره فيه شركة.

﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] قرأ بياء الغيبة (يَعْمَلُونَ).

مناسبة لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود: ١٢١]، وفيه أيضًا معنى التهديد

---

(١) ينظر الدر المصون (٤/ ١٠١)، طلائع البشر (٩٣)، الكتاب الفريد (٣/ ٤٧١، ٤٧٢).

(٢) ينظر الكشف (٣٧٨)، الكتاب الفريد (٣/ ٤٩٠).

(٣) التفسير الكبير (٨/ ٥٦٦، ٥٦٧).

والوعيد للكفار، والتقدير: وما ربُّك -يا مُحمَّد- بغافل عما يعمل هؤلاء الذين لا يؤمنون[١].

سورة يوسف عليه السلام

﴿دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧] قرأ بإسكان الهمزة (دَأْبًا).

الفتح والإسكان لغتان في مصدر «دَأَبَ يَدأبُ» بمعنى داوَم ولازَم، وهو مِثل: نَهَر ونَهْر، وضَأَن وضَأْن، ومَعَز ومَعْز بفتح العَينِ وسكونِها.

ذكر ابن جني أن ما جاء على «فَعْل» و«فَعَل» وثانيه حرفُ حَلْق كالضَّأْن والضَّأَن، والنَّهْر والنهَر، والصَّخْر والصخَر، والنَّعْل والنعَل، وجميع الباب – أنها لغات كغيرها مما ليس الثاني فيه حرفًا حلقيًّا، كالنَّشْز والنشَز، والقصّ والقصَص، وذكر أنه سمع تحريك الثاني من هذا النحو لأجل حرف الحلق فاشيًا في لغة عقيل[٢].

﴿يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] قرأ بتاء الخِطاب (تَعْصِرُونَ).

على الالتفات، أو لمناسبة الخطاب قبله، فخاطَبَ الذين استفتوه وقالوا له: «أَفْتِنَا»، فخاطَبَهُم بقولِه: ﴿تَزْرَعُونَ﴾، وبقوله: ﴿حَصَدتُّمْ﴾، وبقوله: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، ثمَّ بقوله: «تَعصِرُون»، ويجوز أن يكون أرادَ المُستفتين وغيرَهم فغلب الخطاب، والله تعالى أعلم[٣].

﴿نَكْتَلْ﴾ [يوسف: ٦٣] قرأ بالياء (يَكْتَلْ).

على أن الضمير يعود على الأخ، أي: يكتل أخونا، فينضم أيضًا اكتياله إلى اكتيالنا، أو يكن سببًا للاكتيال، فإن امتناعه بسببه، فكأنه هو الذي يكيل لهم.

---

(١) ينظر الكشف (٣٨٢).
(٢) ينظر المحتسب (١/ ٨٤، ٨٥، ٢٣٤).
(٣) ينظر الكتاب الموضح (١/ ٣٩٢، ٣٩٣).

قالت الباحثة هيفاء عبد الرءوف: «قال الخطيب التبريزي: «فمن قرأ بالياء أراد: يصيبه كيلٌ لنفسه، يبين ذلك قولُه: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، ومن قرأ بالنون أراد: إن أرسلتَه اكتلنا، وإلَّا فقد مُنِعْنا الكيلَ، لقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾».

وبالجمع بين القراءتين يصبح المعنى: إن أرسلتَ أخانا معنا اكتلنا، وإلا حُرِمنا الكيل، كما أننا سنحقق فائدة أخرى، [وهي] أن أخانا سيصيبه كيلٌ لنفسه فنزداد بحضوره كيلَ بعير، والله أعلم»[(١)].

﴿ نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم ﴾ [يوسف: ١٠٩] قرأ بالياء التحتية وفتحِ الحاء (يُوحَى إِلَيْهُم)، وكذلك في سورتي النحل والأنبياء.

مبنيًّا للمفعول، كما قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾ [هود: ٣٦]، وكما قال: ﴿ قُلۡ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ [الجن: ١]؛ لأن المقصودَ هو الإخبار عن حُصُولِ الوحي، إذ يُعلَمُ أنَّ الـمُوحِيَ هو الله سبحانه[(٢)].

قالت الباحثة هيفاء عبد الرءوف: «والقراءة «يُوحَى» فيها إشارةٌ إلى عظيمِ مَنزلةِ الرُّسُل بتلقيهم الوحي، وفيه تنبيه على أهمية الوحي، حيث تميز الرسل عن غيرهم بهذا الوحي. والقراءة «نُوحِي» فيها إشارة إلى ارتفاع منزلة الرسل بتلقيهم هذا الوحي من الله عزَّ وجلَّ، والله أعلم»[(٣)].

وهذا على أن بِناء الفعل للفاعل يعطي اهتمامًا بالفاعل، وبناءَه للمفعول يزيد الاهتمامَ بالفعل نفسه.

وقال الدكتور الزهيري أيضًا: «قوله تعالى: «نُوحِي» بالنون يفيد عَظَمة هذا الوحي الذي أوحاه الله إلى رسله صلى الله عليهم وسلم، فإن النون في قوله: «نُوحِي» هي نون العظمة، كما يفيد عظيمَ المكانة التي يكون بها مَن اصطفاه اللهُ لرسالته، كما يفيد عظيمَ

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ١٢٠).
(٢) الكتاب الموضح (١/ ٣٩٩).
(٣) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ١٣٨).

المهمة التي أُنِيطت بالرسل عليهم السلام.

وقراءة «يُوحَى» تدل على وجود مَن يُبَلِّغ عن الله إلى رسله، وهذا المبَلِّغ -في أغلب الأحيان- جبريلُ عليه السلام، ولا مانِعَ من نزول ملائكة أخرى تُبلغ معه عليه السلام بعضَ الوحي»[(١)].

﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩] قرأ بياء الغيبة (أفَلا يَعْقِلُونَ).

مُناسبة لما قبلَه، وهو قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ ﴾.

قال ابن عاشور: «﴿أفلا تعقلون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات؛ لأن المعاندين لما جرى ذكرهم وتكرر صاروا كالحاضرين فالتفت إليهم بالخطاب، و«أفلا يعقلون» بياء الغيبة على نسق ما قبلَه».

وقالت الباحثة هيفاء عبد الرءوف عن الجمع بين القراءتين: «وأسلوب الخطاب فيه مزيدُ تبكيتٍ وتقريع، حيث وُجِّه التقريعُ توجيهًا مُباشِرًا لهم، أمَّا أسلوب الغيبة فيحمل على معنى الاستخفاف بالمعاندين فهم ليسوا حَرِيِّين بالخطاب، والله تعالى أعلم»[(٢)].

﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠] قرأ بنونين، مضمومة فساكِنَة، وتخفيفِ الجيم وسكونِ الياء (فَنُنجِي).

على أنه فِعل مُضارِع من «أَنجَى» من الإنجاء، مبنيٌّ للمعلوم، والفاعل ضمير المتكلم المعَظم لنفسه يعودُ على الله تعالى، و«مَن» مفعولُه.

والتعبير بالفعل المضارع هنا حكايةٌ عن حال ماضية، كما أن قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٤] حكاية حال آتية؛ لأن الأولى قد كانت،

---

(١) الدرر الباهرة (١/ ٤٧٢).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ١٣٨)، وكلام ابن عاشور بتصرف يسير من التحرير والتنوير (١٣/ ٦٩).

والثانية لم تكن.

وأما قراءة «نُجِّيَ» فعلى لفظ الماضي المبني للمفعول.

تقول الباحثة هيفاء عبد الرءوف: «والقراءتان معًا تؤكدان حدوث النجاء للمؤمنين بشكل بليغ ودائم، وعلى سرعة تحقق ذلك النجاء عند إرادة الله -تعالى- لذلك، كما أن هناك فائدة بلاغية في تنوع الأسلوب، بين الإخبار عن القصة تارةً بصيغة الماضي، وتارةً بصيغة الحاضر، والتي تجسد القصةَ فيراها السامعُ ماثِلة أمامَه، ويعيش فصولَها وأحداثَها، والله تعالى أعلم»[1].

سورة الرَّعد

﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ ﴾ [الرعد: ٤] قرأ حمزة بالخفض في الأربعة (وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ).

عَطفًا على «أعنابٍ»، كأنه قال: جَناتٌ مِن أعنابٍ ومِن زَرعٍ ومِن نخِيلٍ، والجناتُ على هذا تشتمِلُ على الأعنابِ والزرعِ والنخيلِ جميعًا، لا مِن الزرعِ وحده، كما قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف:٣٢]، وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [يس: ٣٤]، وقال: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ [الإسراء: ٩١]، فالأرض إذا كان فيها النخيل والعنب والزرع تسمى جنة.

وأما القراءة بالرفع فعطفًا على «قِطَع»، و«صنوانٌ» نعت لـ «نخيل»، و«غير» عطف على «صنوان». قال الفارسي: «والجنة على هذا يقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها».

وعن الجمع بين القراءتين تقول الباحثة هيفاء عبد الرءوف: «فعلى القراءة بالرفع

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ١٤٥).

يكون المعنى: في الأرض قِطَعٌ متجاوراتٌ، وجناتٌ من أعنابٍ، وفيها أيضًا زرعٌ ونخيلٌ...، وعلى القراءة بالخفض يكون المعنى: وفي الأرضِ قطعٌ متجاوراتٌ، وفيها جناتٌ مشتمِلَةٌ على الأعنابِ والزرعِ والنخيل ...، فرسمت لنا كلُّ قراءةٍ صورةً مختلفةً للطبيعة الخلابة، من جناتٍ من الأعناب (منفردة)، وزرع ونخيل، ومن جنات مشتملة على الأعناب، والنخيل، والزروع، والله تعالى أعلم»[(١)].

﴿ يُسْقَىٰ ﴾ [الرعد: ٤] بتاء التأنيث (تـُسْقَى).

لقوله تعالى: ﴿ وَجَنَّٰتٌ ﴾، وهي مؤنثة، أو مُراعاةً للفظِ ما تقدَّمَ؛ لأن المسقي أشياءُ كثيرة، فأنثَ اللفظ، فالمُرَاد تسقى هذه الأشياء التي تقدم ذكرها.

ومما يشهد للتأنيث أن بعدَه قوله تعالى: (وَيُفَضِّلُ بعضَهَا) بالتأنيث، واللهُ تعالى أعلم[(٢)].

﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا ﴾ [الرعد: ٤] قرأ بالياء (وَيُفَضِّلُ).

على أن الضميرَ لله تعالى ؛ لأن قبلَه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الرعد: ٢]، وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ [الرعد: ٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرعد: ٣]، فالكلُّ مُسنَدٌ إلى اسمِ الله تعالى.

وأمَّا القراءة بنون العظمة ففيها التفاتٌ من الغيبة إلى التكلم، وفي الالتفات تطريةٌ للكلام، وتفنن في الأسلوب، كما حَمَلَتْ معاني التبجيل والتعظيم لله تعالى.

﴿ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ ﴾ [الرعد: ١٦] قرأ بياء التذكير (يَسْتَوِي).

لأن تأنيث «الظُّلُمَات» مجازي، والفعل تقدم فحَسُنَ تذكيرُه، وأيضًا فإنه يجوز أن يذهب بـ «الظلمات» إلى معنى المصدر فيذكر الفعل حملًا على معنى الإظلام والظلام. قيل: أو لأن الظلمات عبارة عن الكُفر، فحُمِلَ على المعنى فذكر لذلك، والله تعالى

(١) السابق (٥/ ١٥٦)، وينظر الحجة للفارسي (٥/ ٦).
(٢) ينظر الكشف (٣٩٦)، التفسير الكبير (٩/ ١٩٠).

أعلم[١].

﴿ وَيُثْبِتُ ﴾[الرعد: ٣٩] قرأ بفتح الثاء وتشديد الباء (وَيُثَبِّتُ).

من «ثَبَّتَ» بالتشديد، كلاهما واحدٌ في المعنى، كأفرحْته وفرَّحته. قال السمين: «ولا يصح أن يكون التضعيف للتكثير، إذ من شرطه أن يكون متعديًا قبلَ ذلك»، وقال ابن أبي مريم: «... إلا أن بعضَهم ذَكَرَ أنَّ «فَعَّلَ» بالتشديد لا يخلو من معنى المبالغة والتكثيرِ أينما وقع»، وقال مكي: «لكن في التشديد معنى التأكيد والتكرير»، والله تعالى أعلم[٢].

قال الدكتور الزهيري: «وقال ابنُ جرير: «قرئ «يُثبِّت» بتشديد الباء بمعنى: ويتركه، وقد بَيَّنا قبلُ أن معنى ذلك عندنا: إقراره مكتوبًا، وترك محوه، على ما قد بَيَّنا، فإذا كان ذلك كذلك فالتثبيت به أولى ، وقراءة التشديد أصوبُ من قراءة التخفيف، وإن كان التخفيف قد يحتمل توجيهه في المعنى إلى التشديد، والتشديد إلى التخفيف لتقارب معنييهما».

قلتُ [الزهيري]: القراءتان متواترتان، وقراءة التشديد تفيد ثباتَه واستقرارَه، وأنه لا قُدرةَ لأحد مهما أوتي من قوة على محوه أو محوِ شيءٍ منه طالما قد أراد الله ذلك، وقراءة التخفيف تحتمل ذلك أيضًا، وتحتمل الدلالة على ما تكتبه الملائكة مما لم يشأ اللهُ محوَه، والله أعلم»[٣].

سورة إبراهيم صَلَّى الله عليه وسَلَّم

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [إبراهيم: ١٩] قرأ بألفٍ بعد الخاء، وكسرِ اللام، ورفعِ القافِ، وجر «السَّمَوَات وَالأرض»: (خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)، وكذلك ﴿خَلَقَ كُلَّ﴾ [النور: ٤٥] مع جر «كلِّ»: (وَاللهُ خَالِقُ كُلِّ).

---

(١) ينظر الكشف (٣٩٦)، الكتاب الفريد (٣/ ٦٧٠).

(٢) ينظر الدر المصون (٤/ ٢٤٧)، الكتاب الموضح (١/ ٤٠٨)، الكشف (٣٩٩).

(٣) الدرر الباهرة (١/ ٤٨١، ٤٨٢).

«خالِق» على وزن «فاعِل»، خبر «أن» مرفوع، وجر «السموات» على الإضافة، و«الأرض» معطوف على «السموات»، وإضافة «خالق» إلى «السموات» تدل على معنى الماضي، كقوله تعالى: ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، ويدخل فيها معنى المدح لأنه دلَّ على لفظ (فَاعِل)، كما أن لفظ (خَالِق) عام وجامِع، ويشتمل على ما مضى وما يحدث مما هو كائن، كما قال تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾[الأنعام: ١٠٢].

قالت الباحثة هيفاء عبد الرءوف: «... وعليه فإن القراءة «خالِق السموات والأرض تحتوي على معنى الفعل الماضي، وتحمل معنى المدح بوصف الله تعالى بأنه «خالِق بصيغة الاسم الذي يدل ثبات الأمر واستقراره في صاحبه، والقراءة ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ بالفعل الماضي تدل باللفظ على حدوث الفعل وتمامه، حيث إن خلق السموات والأرض أمرٌ قد فرغ منه، والله تعالى أعلم»[(١)].

﴿ بِمُصْرِخِيَّ ﴾[إبراهيم: ٢٢] قرأ حمزة بكسر الياء مشددة كما هي (بِمُصْرِخِيِّ)، وهي مِمَّا انفردَ به.

معنى المُصرِخ: المُغِيث، وقوله: ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ أي: لا ينجي بعضنا بعضًا من عذاب الله، ولا يغيثُه.

والكسر لغة بني يربوع، نصَّ على ذلك قطرب، وقد وُجِّهَت بوجوه:

أحدها: أن الكسرةَ على أصل التقاء السَّاكِنَين، وأصلُه: «مُصْرِخيني»، حُذِفَتِ النونُ للإضافة فالتقى ساكنان ياءُ الجمع –وهي ياء الإعراب–، وياءُ الإضافة –وهي ياء المتكلِّمِ– وأصلها السكون فكُسِرَت للتخلصِ من الساكنَينِ على الأصل في التخلصِ منهما.

قال الفراء: «ألا ترى أنهم يقولون: لم أره مُذُ اليوم، ومُذِ اليوم، والرفع في الذال هو الوجه؛ لأنه أصل حركة «مُذْ»، والخفض جائز، فكذلك الياء من «مصرخيّ» خُفِضَت

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ١٨٠).

ولها أصل في النصب»[(١)].

وقيل: أصلها: «بِمُصْرِخِيني»، على الإضافة بمعنى اللام: بِمُصرِخين لي، حذفت نون جمعِ المذكرِ السالم للإضافة، ثم أدغمت الياء في الياء، ياء الجمع في ياء الإضافة، وكسرت للتخلص من الساكنَين، على الأصل في التخلص من التقائهما.

الوجه الثاني: أن ياء الإضافة شبهت بهاء الضمير التي تُوصَل بواو إذا كانت مضمومة، وبياء إذا كانت مكسورة (وهي تكسر بعد الكسر والياء الساكنة)، ووجه المشابهة أن الياء ضمير كالهاء كلاهما على حرف واحد يشترك في لفظه النصب والجر، وكلاهما مبنيٌّ، وقد وقع قبل الياء هنا ياءٌ ساكنة، فكسرت كما تكسر الهاء في «عليْهِ»، وبنو يربوع يصلونها بياء كما يصِل ابن كثير نحو «عليْهِي» بياء، وحمزة كسر هذه الياء من غير صلة لأن الصِّلة ليست من مذهبه[(٢)].

قال المهدوي: «... فعلى هذا يكون الأصل في قوله: «بمصرخيِّ»: بمصرخيِيِيْ بثلاث ياءات. الأولى منهن الياء التي كانت في الجمع في قولك: «مصرخين»، والثانية ياء الإضافة، وسقطت النون من بين الياءين للإضافة، فأدغمت الياء الأولى في الثانية، ثم وصلت ياء الإضافة بياء أخرى على ما قلناه، ثم حذفت ياء الصلة لاجتماع ثلاث ياءات، وبقيت الكسرة في ياء الإضافة تدل على الياء المحذوفة»[(٣)].

الوجه الثالث: أنها كسرت إتباعًا للكسرة التي بعدها، وهي كسرة الهمزة في «إِني»، كما قرأ بعضهم: «الحَمْدِ لله» بكسر الدال إتباعًا لكسرة اللام بعدَها، ونحو هذا شائع كثير في كلام القوم[(٤)].

ويسوِّغ كسرَ الياء -وإن كان مُستثقَلًا- أنها لما أدغمَت فيها الياء التي قبلها قويَت

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٧٦).
(٢) إبراز المعاني (٥٥١).
(٣) شرح الهداية (١٦٢).
(٤) الكتاب الفريد (٤/ ٢٥).

بالإدغام فأشبَهَت الحروفَ الصِّحاح، فاحتملت الكسر؛ لأنه إنما يُستثقَل فيها إذا خفت وانكسر ما قبلها، ألا ترى أن حركات الإعراب تجري على المشدد، وما ذاك إلا لإلحاقه بالحروف الصحاح[(١)].

ونقل الإمام أبو شامة في كسر الياء عن حسين الجعفي قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: إن أصحاب النحو يلحنوننا فيها فقال: هي جائزة أيضا؛ إنما أراد تحريك الياء فليس يبالي إذا حركتها، وفي رواية: لا تبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق، وفي رواية: سألت أبا عمرو بن العلاء عنها فقال: من شاء فتح ومن شاء كسر.

قال عبد الوهاب المزي: «وحمزة -رحمه الله- لم ينفرد بهذه القراءة، بل هي من قراءة السلمي، ويحيى بن وثاب، وابن أبي ليلى، وإبراهيم النخعي، والقاسم بن معن، وحمران بن أعين والأعمش، وغيرهم ممن لا تُنكَر مكانتُه ...

ثم اعلم أن كسرها لغة منقولة ثابتة مشهورة عن بني يربوع، حكاها عنهم الفراء، وأبو عمرو بن العلاء، وقطرب، واعتمد عليها جمهور المتأخرين ...

ومثل ذلك قراءة الحسن: «وهو عَلَيِّ هَيِّن» في الحرفين، وقرئ كذلك بعد الألف، قرأ الحسن وأبو عمرو في شاذِّه: «عصايِ» بكسر الياء»[(٢)].

ومما أنشد على هذه اللغة:

عَـلَيِّ لِعَمْـرٍو نِعمَـةٌ بَعـدَ نِعمَـة   لِوَالِدِه لَيْسَـت بِـذَاتِ عَقَـارِبِ[(٣)]

وقول الأغلب العجلي:

(١) الدر المصون (٤/ ٢٦٤).

(٢) أحاسن الأخبار (٣٤٦، ٣٤٧).

(٣) رواه ابن جني في المحتسب (٢/ ٤٩).

قـال لَهَـا هَـل لَـكِ يَـا تَـا فِـيِّ قَالَـتْ لَهُ مَـا أَنـتَ بِـالمَرْضِيِّ[(١)]

«تا» اسم إشارة للمؤنث، و«فيِّي» أراد: فيّ، ثم أشبع الكسرة للإطلاق، وأنشأ عنها ياءً نحو: منزلي، وحوملي، ومعناه: يا هذه هل لكِ فيّ؟

قال المنتجب الهمذاني: «... فهذه الوجوه صحيحة فاشية حسنة على الأصول، وإذا كان كذلك فلا وجهَ لمن ضعَّف هذه القراءةَ وعدَّها من اللحن[(٢)]، ولو لم يكن لها إلا وجه واحد لا يَحِل لمسلم أن يقدم على الطعن في شيءٍ ثبتت روايتُه عن رسول الله ﷺ -مع صحة مخرجه- فالرَّادُّ عليه كالرادِّ على رسول الله ﷺ. وبالكسر قرأ الأعمشُ، ويحيى بن وثاب، وحمران بن أعين، وغيرهم رحمهم الله»[(٣)].

وقال ابنُ الجزَري: «وهذه اللغة باقية شائعة ذائعة في أفواه أكثر الناس إلى اليوم، يقولون: ما فِيِّ أفعل كذا[(٤)]، ويطلِقونها في كل ياءات الإضافة المدغم فيها، فيقولون: ما عَلَيِّ منك، ولا أمرك إِلَيِّ، وبعضهم يبالغ في كسرتها حتى تصير ياء، وفي قراءة كل القراء عدا عاصِمًا وابنَ كثيرٍ بالكسرِ في ياء الإضافة في لفظ «يا بُنَيِّ» في جميعِ المواضعِ التي وَرَدَت في القرآن الكريم، ومِن هؤلاء القراء الإمامُ أبو عمرو والكسائي، وهما مَن هما في اللغة»[(٥)].

(١) ذكره الفراء في المعاني (٢/ ٧٦)، وابن جني في المحتسب (٢/ ٤٩)، وأبو شامة في إبراز المعاني (٥٥٠)، والبغدادي في خزانة الأدب (٤/ ٤٣٠)، وقال عنه الزجاج في معاني القرآن (٣/ ١٥٩): «وعَمَلُ مثلِ هذا سهل، وليس يُعرَف قائل هذا الشعر من العرب».

وقال أبو شامة معقبًّا عليه: «قلت: ليس بمجهول، فقد نسبه غيرُه إلى الأغلب العجلي الراجز، ورأيته أنا في أول ديوانه».ا.هـ، وأيضًا ذكر الفراء أنه سمعه من بعض العرب يُنشده.

(٢) كالأخفش الأوسط/ معاني القرآن (٢/ ٤٠٧)، الفراء/ معاني القرآن (٢/ ٧٥، ٧٦)، الزجاج/ معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٩، ١٦٠)، النحاس/ إعراب القرآن (٤٨٠)، غفر الله لهم.

(٣) الكتاب الفريد (٤/ ٢٦).

(٤) وقال قريبًا من ذلك أيضًا أبو شامة في إبراز المعاني (٥٥١).

(٥) ينظر النشر (٢/ ٢٢٨)، الدر المصون (٤/ ٢٦١: ٢٦٤)، البحر المحيط (٦/ ٤٢٨، ٤٢٩)، قراءات الإمام حمزة والانتصار لها (١١٩: ١٣٢)، قراءة حمزة بن حبيب الزيات (٧٤: ٧٩)، شرح المفصَّل (١/ ٥٧٩).

سورة الحِجْر

﴿ رُّبَمَا ﴾ [الحجر: ٢] قرأ بتشديد الباء (رُبَّمَـا).

التخفيف والتشديد لغتان، خففها أهل الحجاز، وثقلها تميم وقيس وربيعة[١].

﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الحجر: ٢٢] بإسكانِ الياء وحذفِ الألِف بعدَها (الرِّيحَ).

على الإفراد، يراد بها الجِنس والكثرة، ولهذا وصف بالجمع في قوله: ﴿ لَوَٰقِحَ ﴾[٢].

﴿ لَمُنَجُّوهُمۡ ﴾ [الحجر: ٥٩] قرأ بإسكان النون وتخفيف الجيم (لَـمُنجُوهُم).

مِن «أَنْجَى يُنْجِي».

سورة النَّحل

﴿ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [النحل: ١، ٣] معًا: بتاء الخطاب فيهما (عَمَّـا تُشْرِكُونَ).

جَرْيًا على الخطاب قبله في قوله تعالى: ﴿ تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١]، وفيه مزيد تبكيت وتقريع للمشركين على فعلهم بتوجيه الكلام مباشرة إليهم، حيث إن أسلوبَ الخطاب أخصُّ من أسلوب الغيبة. قال الطبري: «إنما هو وعيد من الله للمشركين، ابتدأ الآية بتهديدهم، وختم آخرها بنكير فعلهم، واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم».

والقراءة بالياء إخبارٌ عن أهل الكفر، وذلك على الالتفات، وكأنهم لقلة شأنهم غير حَرِيِّينَ بالخطاب، كما أن حكايةَ حالهم لغيرهم لينكروا عليهم فعلهم فيه استعظام لقبح فعلهم، فالإنسان يحب نفسه، ولا ينكِرُ عليها، ولا يستعظم منها العظائم بل من غيره[٣].

---

(١) ينظر تفسير القرطبي (٥/ ٣٧٢٥).

(٢) الكتاب الموضح (١/ ٤١٨).

(٣) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ٢٢٣) - إعداد الباحثة/ هيفاء عبد الرءوف.

﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ [النحل: ١٢] قرأ بنصب «النُّجُوم»، وكسرِ تاء «مُسَخَّرَات»: (وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ).

الكل محمول على «سَخَّرَ»، فـ«الليل» مفعول به لِـ«سَخرَ»، والباقي معطوف عليه مشارك له في إعرابِه، وأما نصب «مُسَخَّرات» فلأنها حال مؤكدة منصوبة بالكسرة لأنها جمعُ مؤنث سالم، ومجيئها بعد قوله «سَخَّرَ» للتأكيد ولبُعد ما بينهما، والكلامُ على هذا جملة فعلية واحدة، وعليه فلا يوقف على «والقمر» لأن ما بعده معطوفٌ عليه. أو أن نصبَ «النَّجُوم» على إضمارِ فِعلٍ، والتقدير: «وجَعَل النجومَ مُسَخَّرَاتٍ»، فـ«النجوم» مفعول أوَّل، و«مُسَخرات» مفعول ثان إذا كان الفعل «جَعَلَ» بمعنى «صَيَّرَ»، أو حالًا مبينة إذا كان بمعنى «خَلَقَ».

قال المنتجب الهمذاني: «قوله عز وجل: (والشمسَ والقمرَ والنجومَ) عطفٌ على (الليل والنهار) على قراءة من نصبهن، أي: وسخر لكم هؤلاء لتنتفعوا بهن.

وانتصاب «مُسخراتٍ» إما على الحال من المذكورات -فإن قلت: لمَ أعاد «مُسخراتٍ» بعد قوله: (وسخر لكم)؟ وأي فائدة في ذكرها؟ قلت: يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه أعادها تنبيهًا على أن المراد بالأول: أنه سخر لكم، وبالثاني: أنها مسخرات لله -جل ذكره- فسخرها لكم.

والثاني: أعادها على وجه التوكيد؛ لأن الحال تكون مؤكدة، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ [البقرة: ٩١]، و: أَنَا ابْنُ دَارةَ مَعرُوفًا [بِهَا نَسَبِي]

أو على المصدر، على أن تضع المسخرات موضعَ التسخير، كأنه قيل: وسخرها تسخيرات، وكفاك دليلًا: ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سبأ: ١٩]، أي: كل تمزيق، أو على إضمار فعل على: وجعل المذكورات مسخرات، أو على تضمين «سخر» معنى جعل»[1].

(١) الكتاب الفريد (٤/ ١٠٣، ١٠٤).

قال ابن عاشور: «وهذا انتقال للاستدلال بإتقان الصنع على وحدانية الصانع وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان ... وقرأ الجمهور جميعَ هذه الأسماء منصوبةً على المفعولية لفعل «سَخَّر». وقرأ ابنُ عامِر: «والشمسُ والقمرُ والنجومُ» بالرفع على الابتداء، ورفع «مسخرات» على أنها خبر عنها، فنكتة اختلاف الإعراب الإشارة إلى الفرق بين التسخيرين. وقرأ حفص برفع «النجوم» و«مسخرات»، ونكتةُ اختلافِ الأسلوبِ الفرقُ بين التسخيرين من حيث إن الأول واضح والآخر خفي لقلة مَن يرقُبُ حركات النجوم»[1].

وبالجمع بين القراءات في الآية يُفهَم أن الله تعالى قد سخَّر للناس هذه الأشياءَ وجعلها موافِقةً لمصالحهم حالَ كونها مُسخَّرَة تحت قدرة الله عز وجل وأمره وإذنه، كما أن تلك الأشياءَ لم تزل ولا تزال مقهورةً تحت قدرة الله تعالى مُنقادة لإرادته ومشيئته سواء أكان الخلق أم لم يكونوا، وفي ذلك امتنان على الخلق واستدلال على وحدانية الله تعالى، وأنه الواحد الأحد المستحق للعبادة، والله تعالى أعلى وأعلم[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ [النحل: ٢٠] بتاء الخطاب (تَدْعُونَ).

على أنه خطاب للمشركين، وفيه معنى التهديد لهم، وقوله تعالى: ﴿ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [النحل: ١٩] خطاب للكافَّة، والمعنى: والله يعلم ما تُسِرُّون أيها الناس، وقل يا محمد للكفار: والذين تدعون أيها الكفارُ لا يخلقون شيئًا، ويجوز أن يكون الكل للكفار، والله أعلم[3].

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ﴾ [النحل: ٢٨] قرأ بياء التذكير (يَتَوَفَّاهُم)، وكذلك ﴿ أَن تَأۡتِيَهُمُ ﴾ [النحل: ٣٣] بالياء التحتية (يَأْتِيَهُم).

لأن تأنيث «الملائكة» مجازي.

(١) التحرير والتنوير (١٤/ ١١٨).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ٢٣٢) - إعداد الباحثة/ هيفاء عبد الرءوف.

(٣) الكشف (٤٠٩)، الكتاب الموضح (١/ ٤٢٧).

قال الدكتور الزهيري: «قراءة الياء تدل على أن الملائكة ليسوا بإناث، وقراءة التاء لتأنيث لفظ الملائكة، وهو تأنيث لفظي غيرُ حقيقي، ويحتمل كذلك أن تكون قراءةُ الياء باعتبار ملك الموت، وقراءة التاء باعتبار أعوانه من الملائكة»(١).

وذهب فخر الدين الرازي إلى أن القراءة بالياء لأن الملائكة ذُكور.(٢)

قلت: الملائكة الكرام لا يوصفون بذكورة ولا أُنوثة(٣).

قال الشيخ السيد سابق -رحمه الله-: «والملائكة ليسوا كالبشر يأكلون ويشربون وينامون ويتصفون بالذكورة أو الأنوثة، وإنما هم عالم آخَر، قائمٌ بنفسه، ومستقل بذاته..»(٤).

وتعبير الدكتور الزهيري -السابق- كان أدَقَّ عندما قال: «قراءة الياء تدل على أن الملائكة ليسوا بإناث».

قلت: قد جاءت القراءتان على ما هو معلوم من اللغة من جواز تأنيث الفعل أو تذكيره إذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا مجازيَّ التأنيث، أو حقيقي التأنيث مفصولًا عن فعله، أو كان جمعَ تكسير.

وقالت الباحثة هيفاء عبد الرءوف: «مَن قرأ بالتاء فلتأنيث لفظ الملائكة، ولأنه مُسنَد إلى جماعة. قال ابن زنجلة: «اعلم أن فعل الجميع إذا تقدَّم يُذكَّر ويؤنَّث، فإن ذكَّرته أردت جمع الملائكة، وإذا أنثته أردت جماعة الملائكة». قال ابن قتيبة: «والتأنيث إنما هو تأنيث الجماعة، وليس يلحق الملائكة في التاء تأنيث». فلا حجة لمن ادعى تفضيلَ قراءة التذكير على التأنيث ليُخالِف قولَ الكفار الذين أخبر الله -تعالى- عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢٧].

---

(١) الدرر الباهرة (١/ ٥٠٣).

(٢) التفسير الكبير (٩/ ٥١٢).

(٣) ينظر مجموعة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة - عالم الملائكة الأبرار، للدكتور عمر سليمان الأشقر (٢/ ١٦).

(٤) العقائد الإسلامية (٩٧).

وحجة مَن قرأ «يتوفاهم» بياء المضارعة التي للمذكر أنه ذكَّر على المعنى، كما يُقوِّي التذكيرَ أنه قد فُرق بين المؤنث اللفظي وفعله بالضمير المتصل «هُم»»[(١)].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ [النحل: ٤٨] قرأ بتاء الخِطاب (تَرَوْا).

مناسبة لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٧]، والمراد جميع الناس، أي: أولم تَروا أيها الناسُ إلى ما خَلقَ اللهُ؟، وهذا تنبيهٌ للكافة، فكل مُكلَّف مأمور أن ينظر في آيات الله ليَعتَبِر، أو أنه خطابٌ للمشركين لتقريرهم بآيات الله عزَّ وجلَّ.

﴿ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ﴾ [النحل: ٧٨] قرأ بكسر الهمزة والميم وصلًا (بُطُونِ إِمِّهَاتِكُم)، ووافقَ لدى البدء، وقد انفردَ حمزةُ بكسرِ الميم، وقرأها كذلك في النجم والزمر والنور، وفي ﴿ فِىٓ أُمِّهَا ﴾ [القصص: ٥٩]، و﴿ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [الزخرف: ٤].

كسر الهمزة لمناسبة الكسرة قبلَها، أو الياء، فكسرُها إتباعًا لما قبلَها، ولاستثقالهم الخروج من كسرٍ إلى ضَمٍّ، ولذلِك إذا ابتَدَأ بالهمزة ضَمَّها لزوال الكسر. وكسرُ الميم للإتباع، أتبعَ حركةَ الميمِ لحركة الهمزة، فكسرة الميمِ تَبَعُ التبَعِ، كالإمالة للإمالة، ولذلك إذا ابتدَأ بها ضمَّ الهمزةَ وفتحَ الميمَ لما تقدم من زوال موجِبِ ذلك، وكسر همزة «أُمّ» بعد الكسرة أو الياء حكاه سيبويه لغةً عن العرب، ونسبَها الكسائيُّ والفرَّاءُ إلى هوازِن وهذيل.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ [النحل: ٧٩] بتاء الخطاب (تَرَوْا).

جريًا على نسق ما قبله من قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخرَجَكُم مِّن بطُونِ إِمِّهَاتِكُم لَا تَعلَمُونَ شَيئًا﴾، وقوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

قال الدكتور الزهيري: «في قراءة الياء إشارة إلى عدم استحقاق المشركين لخطاب الله أصلًا، وأن خطابَهم -كما في قراءة التاء- إنما هو خطابُ غضبٍ وسخطٍ وتوبيخ، كما أن قراءة التاء تحتمل مخاطبةَ المؤمنين بذلك حَثًّا لهم على التفكُّر في هذه الآية العظيمة

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٥/ ٢٣٩، ٢٤٠).

ليكون ذلك سببًا في زيادة إيمانهم بربهم الذي يدعون الناسَ إلى عبادَتِه وحده لا شريكَ له».

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ [النحل: ٩٦] قرأ الفِعلَ بالياء (وَلَيَجْزِيَنَّ).

رَاجِعًا إلى الله، لتقدُّمِ ذِكرِه العزيزِ في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

قال الدكتور الزهيري: «قراءة النون تفيد عظيمَ مِنَّة الله وفضله على عباده المؤمنين في مُجازاتهم على أعمالهم مع أنه هو وفَّقهم لها، كما تدلُّ على عظيم الثواب الذي يُجازيهم به، وقراءة الياء تدل على تعين الفاعل وعدم الاحتياج إلى ذكره لظهوره».

ولاختلاف القراءة هنا فائدةٌ بلاغية تظهر في تنوع الأسلوب، وحمله مرةً على ما قبلَه، ومرةً على ما بعدَه.

وذكر أبو عمرو الداني أن الوقفَ على ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ كافٍ لمن قرأ بالنون، فيحسُنُ الوقفُ عليه والابتداء بما بعده، وحَسَنٌ لمن قرأ بالياء. وقال الأشموني في الوقف على ﴿بَاقٍ﴾: كافٍ على قراءة مَن قرأ بالنون لعُدُوله عن المفرد إلى الجمع لفظًا مع أنهما ضميرا «مَن»، ومَن قرأ بالياء التحتية فوصله أحسن[(١)].

سورة الإسراء

﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ [الإسراء: ٧] قرأ بفتحِ الهمزة مع قصرِها – أي حذف الواو بعدها – (لِيَسُوءَ).

هو مضارع منصوب بعد اللام، وفي الفاعل أقوال:

فهو إما الله تعالى، أي: ليسوءَ اللهُ وجوهَكم، وعليه يكون هناك التفات من التكلم إلى الغيبة، وإما الوعدُ الذي تقدم في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، أي: ليسوءَ الوعدُ وجوهَكم، وعليه لا يكون التفاتٌ، وإما البَعث الذي يدل عليه: ﴿بَعَثۡنَا﴾، وإما النَّفِير،

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (٤٤٣)، المكتفى للداني (١٣٦، ١٣٧).

وإما العذاب، والله تعالى أعلم[(١)].

وقال القرطبي عن قراءة حفص ﴿لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: «أي بالسبي والقتل فيظهر أثرُ الحزن في وجوهكم، فـ «ليسوءوا» متعلق بمحذوف، أي: بعثنا عبادًا ليفعلوا بكم ما يسوءُ وجوهكم». أي: ليسوءَ العبادُ أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهَكم، لقوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ فذلك خبر عن الجميع.

قالت الباحثة آمال خميس: «يتبين بالجمع بين القراءات أن الفاعل لذلك في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، وأن إساءة وجوهِ بني إسرائيل بالوعد هو إنفاذ لهذا الوعد، وأن العبادَ أولي البأس هم المنفذون لهذا الوعد، وفعلوه بقوة الله عز وجل وتمكينه لهم تحقيقًا لعزَّته وغلبته سبحانه»[(٢)]. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ [الإسراء: ٢٣] بإثبات أَلِف بعد الغين مع المد المُشبَع، وكسر النون مُشدَّدة (إِمَّا يَبْلُغَانِّ).

على أن الألِف ضمير الوالدَيْن، وهي الفاعل، وكُسِرَت نون التوكيد بعدَها تشبيهًا لها بنون المثنَّى، و«أحدُهما» بَدَل من الألف، بدلُ بعضٍ من كل، و«كِلاهما» معطوف عليه، بدل كل من كل، ولولا «أحدُهما» لكان «كلاهما» توكيدًا للألِف[(٣)].

قال ابن أبي مريم: «والفائدة في هذا البدل والعطف عليه الإبانةُ عن أن هذا الحكم -وهو نفي التأفيف- يثبت لأحدهما على الانفراد، وليس يتوقف إلى بلوغهما جميعًا الكِبَرَ».

﴿أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] بترك التنوين، مُشدَّدةً مكسورة كما هي (أُفِّ)، وكذلك

---

(١) ينظر الدر المصون (٤/ ٣٧٣)، الإتحاف (٣٥٥)، إعراب القرآن للنحاس (٥١٥)، الحجة لابن زنجلة (٣٩٧).
(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٦/ ٢٧).
(٣) ينظر الإتحاف (٣٥٦، ٣٥٧)، الدر المصون (٤/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وقد ذكر السمينُ فيه أوجهًا أخرى.

بسورتي الأنبياء والأحقاف.

على إحدى لغاته. على إحدى لغاته، وهو اسم فعل مضارع بمعنى الضَّجر والكراهة. وقال البنا: لغة الحجاز الكسر بالتنوين وعدمه، ولغة قيس الفتح[(١)].

﴿ فَلَا يُسْـرِفــ ﴾ [الإسراء: ٣٣] بتاء الخِطاب (فَلا تُسْرِف).

على إرادة الوليِّ، وكان الولي يقتل الجماعةَ بالواحد، وفيه التفات حيث رجعَ لمخاطبته بعد أن أتى به عامًّا، أو أن المخاطَبَ هو النبي ﷺ، والمراد هو والأئمة من بعده.

قال الطبري: ««فلا تسرف» بمعنى الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول: فلا تقتل بالمقتول غيرَ قاتلِه، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك، إذا قَتل رجلٌ رجلًا عَمَدَ وليُّ المقتول إلى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليِّه وترك القاتِلَ، فنهى اللهُ عز وجل عن ذلك عبادَه، وقال لرسوله عليه السلام: قتلُ غيرِ القاتل بالمقتول معصيةٌ وسَرَف، فلا تقتل به غيرَ قاتله، وإن قتلتَ القاتل بالمقتول فلا تُمَثِّلْ به».

وقال الرازي: «قرأ الأكثرون «فلا يسرف» بالياء، وفيه وجهان:

الأول: التقدير: فلا ينبغي أن يُسرِفَ الوليُّ في القتل.

الثاني: أن الضمير للقاتل الظالم ابتداءً، أي: فلا ينبغي أن يسرف ذلك الظالمُ، وإسرافُه عبارةٌ عن إقدامه على ذلك القتل الظالم.

وقرأ حمزة والكسائي «فلا تسرف» بالتاء على الخطاب، وهذه القراءةُ تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الخطابُ للمبتدئ القاتل ظلمًا، كأنه قيل له: لا تسرف أيها الإنسان، وذلك الإسراف هو إقدامه على ذلك القتل الذي هو ظلمٌ محض. والمعنى: لا

(١) الإتحاف (٣٥٧)، وينظر الكتاب الفريد (٤ / ١٦٧).

تفعل، فإنك إن قتلته مظلومًا استوفى القصاص منك.

والآخر: أن يكون الخطابُ للولي، فيكون التقدير: لا تسرف في القتل أيها الولي، أي: اكتَفِ باستيفاء القصاص، ولا تطلب الزيادة».

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١] بإسكان الذال وضم الكاف مُخَفَّفَة (لِيَذْكُرُوا).

على أنه مضارِع «ذَكَرَ» من «الذِّكر» أو «الذُّكْر». وقد يأتي الذكر والمراد به التذكر والتدبر، كما قال تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣] أي تدبروه[١].

ونقل الرازي عن الواحدي بتصرف:

«والتذكر ها هنا أشبهُ [أي: أولَى] من الذكر؛ لأن المرادَ منه التدبر والتفكر، وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعدَ النسيان...

وأما قراءة حمزة والكسائي ففيها وجهان:

الأول: أن الذكر قد جاء بمعنى التأمُّل والتدبر كقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]، والمعنى: وافهموا ما فيه.

الثاني: أن يكون المعنى: صرفنا هذه الدلائل في هذا القرآن ليذكروه بألسنتهم، فإن الذكر باللسان قد يؤدي إلى تأثر القلب بمعناه»[٢].ا.هـ.

قال الواحدي: «ويجوز أن يكون المراد ذكر اللسان، والمعنى: صرَّفنا في هذا القرآن ليذْكروه، وإذا كان الكلام مُصرَّفًا فيه على أنواع كان أقربَ من الذكر وأبعدَ من السَّأْمة».

وقال محمد بازمول : «القراءة بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها من الذكر ضد النسيان. والقراءة بفتح الذال والكاف مع تشديدهما من التذكر والاتعاظ

(١) الكتاب الموضح (١/ ٤٤٢).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٠/ ٩٨)، وينظر التفسير البسيط للواحدي (١٣/ ٣٤١، ٣٤٢).

والاعتبار.

ففي الآية الكريمة على القراءتين أمر بالذكر وعدم النسيان، وأمر بالاعتبار والتذكر والاتعاظ، ولا شك أن الاعتبار والتذكر لا يكون إلا بعدَ الذكر وعدم النسيان، كما أن الذكر وعدم النسيان لا يؤدي المقصود بدون الاعتبار والاتعاظ، فجمعت الآية بالقراءتين بين الأمرين، والله أعلم»[١].

﴿ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ [الإسراء: ٤٢]، ﴿ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ [الإسراء: ٤٣] بتاء الخطاب فيهما (تَقُولُونَ).

حمله على الخطاب على معنى: قل لهم يا محمد: لو كان معه آلهة كما تقولون، ثم قال: «سبحانه وتعالى عما تقولون» فجرى الكلامُ في الخطاب لهم على ذلك.

قال الدكتور الزهيري: «قراءة «يقولون» في الموضعين بالياء تفيدُ الإعراضَ عن مخاطبتهم لكفرهم وشركهم، فهم لا يستحقون أن يُخاطِبَهم اللهُ، وتفيد أن خطابَ الله لهم -كما في قراءة التاء «تقولون»- إنما هو خطابُ غضب وسخط لا خطاب رحمةٍ وتودد».

﴿ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤] بإسكان الجيم (وَرَجْلِكَ).

على أنه اسمُ جَمع لِراجِل، كالرَّكْب والصَّحْب في راكِب وصاحِب، والأخفش يجعل هذا النحوَ جمعًا صريحًا، ويحتمل أن تكون بالسكون تخفيفًا من «رَجِل» بكسر الجيم أو ضمِّها، كما تقول: «كَتْف» و«عَضْد» بالإسكان مِن «كَتِف» و«عَضُد»، وهو على هذا أيضًا واحد يراد به الكثرة، والله أعلم[٢].

قال القرطبي في تفسيره: «... فالمعنى: أجمعْ عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك. وقال أكثرُ المفسرين: يريد كل راكب وماشٍ في معصية الله تعالى. وقال ابنُ عباس

(١) القراءات وأثرها في التفسير والأحكام (٢/ ٥٩٣) بتصرف يسير جدًّا.
(٢) ينظر الكتاب الموضح (١/ ٤٤٤)، الدر المصون (٤/ ٤٠٦).

ومجاهد وقتادة: إن له خيلًا ورجلًا من الجن والإنس، فما من راكِب وماشٍ يُقاتِل في معصية الله فهو من خيل إبليس ورجالته... والرَّجْل جمعُ رَاجِل، مثل صَحْب وصَاحِب. وقرأ حفص «وَرَجِلك» بكسر الجيم، وهما لغتان. يقال: رَجْل ورَجِل بمعنى راجل. وقرأ عكرمة وقتادة: «ورجالك» على الجمع».

﴿ كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢] بإسكانِ السين (كِسْفًا)، وكذلك بالشعراء وسبأ.

قيل إنها مخففة من المفتوحة، فهما واحد.

وقال السمين الحلبي: «الكِسَف جمعُ كسْفَة، وهي القطعة التي تُسقطها علينا قِطَعًا. وأصله من قولهم: كَسَفْتُ الثوبَ أَكسِفُه كِسفًا، أي: قطعته قِطعًا، حكاه أبو زيد. وكسَفْت عُرْقوب البعير، وإنما يُقال: كسَحْت لا غَير. والكِسْفَة: القطعة من السحاب والقطن ونحوهما من الأجسام المتخلخلة»[(١)].

وقيل إنَّه بالسكون اسم للشيء المقطوع، أي أنه على وزن «فِعْل» بمعنى «مَفْعُول»، كالطِّحْن اسم الدقيق بمعنى المطحون. قال الأخفش: من قرأ «كِسْفًا من السماء» جعله واحدًا، ومن قرأ كِسَفًا جعله جمعًا.

وقيل: «الكِسْف» بالسكون جمع «كِسْفَة» كسِدْرَة وسِدْر، وجاز أن يكون مصدرًا، من كسفت الشيء إذا غطيته، فكأنهم قالوا: أسقطها طبقًا علينا[(٢)]، والله تعالى أعلم.

سورة الكهف

﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾ [الكهف: ١٩] بإسكانِ الراء (بِوَرْقِكُمْ).

التسكين للتخفيف كنَبْق ونَبِق وكَتْف وكَتِف وفَخْذ وفَخِذ، فهما لغتان. نسب النويريُّ الإسكانَ فيها لتميم، والكسرَ للحجازيين[(٣)].

---

(١) عمدة الحفاظ (٣/ ٣٩٧).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٥٩).

(٣) الكشف (٤٢٤)، شرح الطيبة للنويري (٢/ ٤٢٩).

وذكرت الباحثة آمال خميس فرقًا بين القراءتين فقالت: «جاء في اللسان: الوَرِق والوِرْق والوَرْق والرِّقَة: الدراهِم .. وفي الصحاح: الوَرِق: الدراهِمُ المضروبة.

ولكن ابن قتيبة كان أكثرَ بيانًا لكلمة «الوَرِق» حيث قال: الوَرِق الفضة دراهم كانت أو غير دراهم، ويدل على ذلك أن عَرْفَجَة بن أسعد أصيبت أنفُه يومَ الكُلاب فاتخذ أنفًا من وَرِق -أي من فضة- فأنتن عليه، فأمره النبيُّ ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب[(١)].

وبذلك يتبين أن الوَرِق يُطلَق على الفضة المضروبة وغيرِ المضروبة، أمَّا الوَرْق فيُطلَق على الفِضَّة المضروبة -الدراهم- فقط.

أفادت قراءة «بوَرِقكم» بكسر الراء أن ما أراد الفتيةُ الشراءَ به هي قطع من الفضة، قد تكون مضروبةً، وقد تكون غيرَ مضروبة.

ولكن قراءة «بوَرْقِكُم» بإسكان الراء أفادت أن هذه القطع الفضية التي مع الفتية هي دراهمُ فضية مضروبة، ومما يدلل على ذلك أن بائعَ الطعام الذي رأى النقودَ تعرَّف على عصرِها حينما أعطاها إياه الفتى الذي ذهب إلى المدينة ليشتري الطعامَ. **وبذلك بينت إحدى القراءتين ما كان مُبهَمًا في القراءة الأخرى**»[(٢)]، والله تعالى أعلم.

﴿ثَلَٰثَ مِأْئَةٍ سِنِينَ﴾ [الكهف: ٢٥] بترك التنوين (مِائَةِ سِنينَ).

قال الشيخ محمد سالم محيسن -بتصرف يسير-: «على الإضافة إلى ما بعدَه على القياس في تمييز المائة في مجيئه مجرورًا بالإضافة، ووقعَ جمعًا رعاية للأصل، إذ الأصل أن يكون التمييز مطابِقًا للمُمَيَّز، لكنهم التزموا في تمييزِ ما فوق العشرة أن يكون مفردًا مَيلًا للاختصار، ولا يرد أن تمييز الثلاثة يجب أن يكون جمعًا وهنا وقع مفردًا، لأن المائة وإن

(١) حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٣٢)، وأخرجه الترمذي (١٧٧٠)، والنسائي (٥١٦١)، ونصُّه عند الترمذي: عن عَرْفَجَة بن أسعد قال: أُصيبَ أنفي يومَ الكُلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفًا من وَرِقٍ فأنتن عليَّ، فأمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أتخذ أنفًا من ذهبٍ.

(٢) ينظر تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٦/ ١٣٥، ١٣٦) للباحثة/ آمال خميس، ومثله في مقدمة الجزء الأول (١/ ٧) للدكتور/ مروان محمد أبو راس.

كان مفردًا في اللفظ فهو جمع في المعنى كالرَّهط والنفر»[(١)].ا.هـ

وقال البنا: «على الإضافة، أوقعوا الجمع في «سِنين» موقع المفرد، و«مِائَة» واحد وقع موقع الجمعِ، لأن مميز الثلاثة إلى العشرة مجموع مجرور كـ«ثلاثة أيامٍ»، فقياسه: «مِائَة سنة»، وجُمِع تنبيهًا على الأصل، قال الفرَّاء: في العربِ مَن يضع «سنين» موضعَ «سَنة»»[(٢)]. ا.هـ فيجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ [الكهف: ١٠٣].

قال الآلوسي: «**وأكثر النحويين يورِدون الآيةَ على قراءة حمزة والكسائي شاهدًا لذلك [يعني: إضافة المائة إلى الجمع]، وكفى بكلام الله تعالى شاهدًا**»[(٣)].

﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ ﴾ [الكهف: ٤٣] بياء التذكير (يَكُن).

لأن تأنيث الفاعِل –فئة– مجازي، والفعل مُتقدِّم، وقد فصل بين الفعلِ وفاعله بالجارِّ والمجرُور فحَسُنَ التذكير.

﴿ ٱلۡوَلَٰيَةُ ﴾ [الكهف: ٤٤] بكسر الوَاو (الوِلايَة).

قيل: بالفتح والكسر لغتان بِمعنى واحد، كالوَكالة والوِكالة، والوَصاية والوِصاية، والرَّضاعة والرِّضاعة، وقيل: المُراد به بالكسرِ السُّلطان، وهو على وزن «فِعالَة» بكسر الفاء من الصناعات نحو الإمارة والخِلافة والكِتابة، وهي مِن تولِّي الأمر[(٤)].

قال المنتجب الهمذاني: «والولاية بفتح الواو وكسرها لغتان في معنى الصداقة، بمعنى أنهم يومئذ يتولون اللهَ ويؤمنون به، ويتبرءون مما كانوا يعبدونه من دون الله. وقيل: إنهم يُوادُّون اللهَ ولا يُعادونه في ذلك اليوم كما كانوا يفعلونه في الدنيا. وقيل: بالفتح: النُّصرة، على معنى أن النُّصْرة لله وحده، لا يملكها غيرُه، وبالكسر: السلطان

(١) المهذب (٢/ ١٠٢).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (٣٦٥).

(٣) روح المعاني (١٥/ ٢٥٤).

(٤) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٤٦٦).

والملك، على معنى أن الله تعالى هو المنفرِد بالملك والسلطان يومئذ»[(١)].

وقال الشنقيطي: «فعلى قراءة مَن قرأ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ بفتح الواو فإن معناها الموالاة والصلة، وعلى هذه القراءة ففي معنى الآية وجهان:

الأول: أن معنى ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ أي في ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله، لأن الكافِرَ إذا رأى العذابَ رجع إلى الله، وعلى هذا المعنى فالآية كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤]، وقوله في فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]، ونحو ذلك من الآيات.

الوجه الثاني: أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده، فيوالي فيه المسلمين ولايةَ رحمةٍ كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، وله على الكافرين ولاية الملك والقهر كما في قوله: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٣٠].

وعلى قراءة حمزة والكسائي فـ«الوِلاية» بالكسر بمعنى الملك والسلطان، والآية على هذه القراءة كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ...﴾ [الفرقان: ٢٦] الآية، وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦]»[(٢)].

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ [الكهف: ٥٢] قرأ حمزة بنون العَظَمَةِ (نَقُولُ)، وقد انفردَ بها.

مناسبة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [الكهف: ٥٠].

(١) الكتاب الفريد (٤/ ٢٨٤).

(٢) أضواء البيان (٤/ ١٣٧، ١٣٨).

﴿ لِمَهْلِكِهِم ﴾ [الكهف: ٥٩] بضم الميم وفتحِ اللام (لِـمُهْلَكِهِم)، وكذلك بسورة النمل.

على أنه مصدر ميمي لـ«أهلَكَ» بمعنى الإهلاك مضاف إلى المفعول، أي: وجعلنا لإهلاكنا إيَّاهُم وقتًا معلومًا لا يتأخرون عنه. وقيل: لوقت إهلاكنا إيَّاهم.

والمهلك: الإهلاك ووقته، ويجوز أن يكون موضعًا للإهلاك، وكذلك كل فعل ماضيه على «أفعَل» فالمصدر منه «مُفْعَل» أو «إِفْعَال»، واسم الزمان «مُفْعَل»، وكذلك اسم المكان، تقول: أدخلت فلانًا مُدخَلًا أو إِدخالًا، وهذا مُدخله، أي المكان الذي يدخل فيه، وهذا مُدخَله، أي: وقت إدخاله.

وقال الشنقيطي رحمه الله: «وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿ لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِـدًا ﴾ قرأه عامة السبعة ما عدا عاصمًا بضم الميم وفتح اللام على صيغة اسم المفعول. وهو محتمل على هذه القراءة أن يكون مصدرًا ميميًّا، أي: جعلنا لإهلاكهم موعدًا، وأن يكون اسمَ زمان، أي: وجعلنا لوقت إهلاكهم موعدًا. وقد تقرر في فن الصرف أن كلَّ فِعلٍ زاد ماضيه على ثلاثة أحرف مطلقًا فالقياس في مصدره الميمي واسمِ مكانه واسمِ زمانه أن يكون الجميع بصيغة اسمِ المفعول. و«الْمُهلك» -بضم الميم- من أهلكه الرباعي.

وقرأه حفص عن عاصم ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ بفتح الميم وكسر اللام .. والظاهر أنه على قراءة حفص اسم زمان، أي وجعلنا لوقت هلاكهم موعدًا...»[(١)].

﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [الكهف: ٧١] قرأ بياءِ الغَيبِ مفتوحَة، وفتحِ الرَّاءِ، و«أهلُها» بالرفع: (لِيَغْرَقَ أَهْلُهَا).

«يَغْرَق» بالياء مضارع «غَرِق» الثلاثي، و«أهلُها» بالرفع فاعل «يغرَق»، وهو بمنزلة: ماتَ زَيدٌ، فهو أمر داخل عليهم من غير اختيار منهم، وفيه التفات من الخطاب

(١) أضواء البيان (٤/ ١٩٦، ١٩٧).

إلى الغيبة.

قال الدكتور الزهيري: «في قراءة التاء نظر إلى الفاعل -وهو الخضر- وشرف مقامه الذي لا يليق معه إيذاء الغير فضلًا عن إغراقهم، وفي قراءة الياء نظر إلى المفعول به -وهم أهل السفينة- وهم الذين أركبوهما بغير نوال، فكأنه قال له: أخرقتها ليغرق هؤلاء الصالحون الذين أركبوني وإياك بغير نوال، وهل هذا جزاءُ إحسانِهم إلينا؟!! فالقراءتان متكاملتان، وتدلان على أن موسى عليه السلام لامَ الخضرَ فيما يتعلق بشأن مقامه هو، وبشأن أهل السفينة معًا، وسبحان مَن هذا كلامه!».

وقالت الباحثة آمال خميس: «أفادت قراءةُ ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ أن موسى عليه السلام أسند الغرقَ إلى الخضر؛ لأنه هو خارقُ السفينة، والخارِق هو فاعل الغرق في المعنى، والتقدير: لتُغرِق أنت أهلَ هذه السفينة.

وأفادت قراءةُ «ليغرَق أهلُها» أن موسى عليه السلام أسند الغرقَ إلى أهل السفينة. كأنه قال: أخرقت السفينةَ لترسو في البحر فيغرق فيه أهلُها؟ ...

يظهر بالجمع بين القراءتين الأدبُ الجمُّ الذي تحلَّى به موسى عليه السلام، حيث إن قراءةَ إسناد الغرق إلى أهل السفينة أزالت ما قد يظنه ظانٌّ أن تصرف موسى بتوجيه الخطاب إلى الخضر هو سوء أدب منه ... ومن ناحية أخرى بيَّنَت أن الخطابَ القرآني يتنوع من أجل أن يُبيِّن فوائد عدة لا تُدرَكُ إلا بفهم معاني القراءات، وفهم المقصود من هذا الخطاب، وخطاب الالتفات من أهم الخطابـ[ـات] في القرآن، الذي يبين هذه المعاني السامية»[(١)].

﴿حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] قرأ بألِفٍ بعدَ الحاء، وإبدالِ الهمزة ياءً مفتوحة (حَامِيَة).

على وزن «فاعِلة»، وفيها وجهان:

أحدهما: أنها من حميت تحمى فهي حامية، أي: حارَّة، وجدها في رأي العين

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٦/ ٢٠٠، ٢٠١).

كذلك.

والثاني: أنها من الحمأة، فخففت الهمزةُ بأن قُلبت ياءً خالصة لانفتاحها وانكسارِ ما قبلَها.

وأمَّا القراءة بالهمز من غير ألف «حمئة» فعلى وزن «فَعِلَة»، من حَمِئَت البئرُ تحمَأُ حَمَأً بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع - إذا صارت فيها الحَمْأَة، وهي الطينُ الأسود.

قال الطبري جامعًا بين القراءتين: «... وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حَارَّة ذات حَمْأَةٍ وطينٍ، فيكون القارئُ «في عين حامية» واصِفَها بصفتها التي هي لها، وهي الحرارة؛ ويكون القارئُ «في عين حمئة» واصِفَها بصفتها التي هي بها، وهي أنها ذاتُ حَمْأَة وطين»[(١)].

﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣] بضم السين (السُّدَّيْن)، ووافق على فتحها في ﴿سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

قيل: الفتح والضم لغتان بمعنى واحد، كالضَّعْف والضُّعْف، والفَقْرِ والفُقْر.

وقيل: ما كان من خَلْقِ الله كالجبال والشعاب فهو مضموم، وما كان من عمل العِباد فهو مفتوح. قال أبو علي: والسَّدُّ مصدر، والسُّدُّ الشيءُ المسدود، وهو معنى قولِ سيبويه: المضموم الاسم، والمفتوح المصدر، والله تعالى أعلم[(٢)].

﴿يَفْقَهُونَ﴾ [الكهف: ٩٣] بضم الياء وكسر القاف (يُفْقِهُون).

مِن «أفقَهَ» الرباعي، مُتعَدٍّ بالهمزة، أَفقَهَ غيرَه أي أفهَمَه، وهو متعَدٍّ لمفعولين، المفعول الثاني «قَوْلًا»، والمفعول الأول محذُوف، أي: لا يُفهِمون غيرَهم قولًا.

وقراءة حفص ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بمعنى أنهم لا يكادون يَفهمون كلامَ غيرِهم إلا بجهد

---

(١) ينظر تفسير الطبري (١٥ / ٣٧٨)، الكتاب الفريد (٤/ ٣١٨).

(٢) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٣٢٢، ٣٢٣)، الكشف (٤٣٨، ٤٣٩)، الدر المصون (٤/ ٤٨١).

ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البُكم.

والقراءة بضم الياء وكسر القاف «يُفقِهون» بمعنى أنهم لا يُفْهِمون غيرَهم كلامَهم، وفي ذلك دلالة على صعوبة لغتِهم، وعدمِ انتشارهم، أو دلالة على ضعف عقولهم[(١)].

ورغم أن لكل قراءة دلالة معتبرة فإن إحداهما لا تُغني عن الأخرى؛ فلو اقتصر على قراءة فتحِ الياء التي تدل على صعوبة فهمِهم لغةَ ذي القرنين ما أفادَ هذا عدمَ فهمِه هو لغتَهم حسبما تدلُّ عليه قراءةُ ضمِّ الياء، والعكسُ صحيح، فهما معًا تدُلَّان على أن صعوبةَ التفاهُمِ أمرٌ مُتبادَل بين الطرفين، وبذلك تُسْهِم القراءتان في إكمال المغزى الذي تتغياه سياق القصة من إبعاد ذي القرنين في المسير حتى بَلَغَ أرضًا لا يَفْهَمُ هو لغةَ قومِها، كما أن أهلَها لا يَفْهَمون لغتَه، ولكنهما مع ذلك الإبعاد والاختلاف قد اجتمعا على مواجهة فسادِ يأجوج ومأجوج، وفي ذلك تنبيهٌ إلى أن مواجهة الفساد ينبغي أن يكون هدفَ كُلِّ الناس بحيث لا يقف تباعُدُهم واختلافُ لسانِهم دون نِشْدَانِه[(٢)].

﴿يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ [الكهف: ٩٤] بإبدال الهمزِ فيهما ألِفًا (يَاجُوجَ وَمَاجُوج)، وكذلك بسورة الأنبياء: ٩٦.

يجوز أن يكون أصلُهما بالهمز، لكن الهمزة خُفِّفَت بأن قلبت ألفًا، كـ«رَأْس» و«رَاس»، فيكونا مثلَ قراءة حفص. فهما اسمان أعجميان، مُنِعا من الصرف للعَلَمية والعُجمة، وعليه فلا اشتقاق لهما لكونهما أعجميين.

وقيل: يجوز أن يكون «ياجوج» على وزن «فَاعُول» من (ي ج ج)، و«مَاجُوج» «فَاعُول» أيضًا من (م ج ج)، فهُما حينئذ من أصلين مختلفين[(٣)].

و«يأجوج» و«مأجوج» بالهمز، قيل فيهما إنهما أعجميان كما تقدم، وقيل: هما

(١) ينظر الدرر الباهرة (١/ ٥٦٢).
(٢) ينظر التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (٣١٠).
(٣) الكتاب الموضح (٢/ ٤٧٦)، وللمزيد ينظر الدر المصون (٤/ ٤٨٢).

عربيان مأخوذان من أجَّ الظَّليم (وهو ذكر النعام) إذا أسرع، أو من أجَّت النار إذا التهبت، ووزن «يأجوج»: «يَفْعول» كيربوع، ووزن «مأجوج»: «مفعول» كمَعقول، وإنها لم ينصرفا على هذا للعلمية والتأنيث؛ لأنهما قبيلتان ومعرفتان[(١)].

قال الإمام مكي: «وحجة من همز أنه جعله عربيًّا مشتقًا من «أجت النار» إذا استخرجت، أو من «الأُجاج»، وهو الماء المر، أو من «الأجة»، وهي شدة الحر، فيكون وزنه «يَفْعُولًا» و«مَفْعُولًا»، كيربوع ومضروب.

وحجة من لم يهمز أنه يجوز أن يكون أصله الهمز على الاشتقاق الذي ذكرنا، ثم خفف همزه، ويجوز أن يكون لا أصل له في الهمز، وهو عربي مشتق أيضًا، فإذا قدر أن لا أصل له في الهمز كان ياجوج «فاعولًا» من «يج» – ذكره بعض أهل العلم، ولم يفسر «يج» ما هو، ويكون ماجوج إذا قدرت أن لا أصل له في الهمز «فاعولًا» أيضًا من «مج الماء» إذا ألقاه من فيه ، و«مج الشراب» كذلك، أو يكون مشتقًا من «مجاج العنب» وهو شرابه، ومن «المجمجة» وهي تخليط الكتاب، وامتنع صرفهما وهما مشتقان للتأنيث والتعريف؛ لأنهما اسمان لقبيلتين كمجوس اسم للقبيلة، فإن جعلتهما في القراءتين أعجميَّين لم تقدر لهما اشتقاقًا، ويكون ممتنع الصرف فيهما للعجمة والتعريف»[(٢)].

﴿خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤] بفتحِ الراء وإثباتِ أَلِفٍ بعدَها (خَرَاجًا)، وكذلك بسورة المؤمنون.

قيل: الخَرْجُ والخَرَاج لغتان بمعنى واحد –كالنَّول والنَّوال– وهو شيء يُخرجه القومُ من مالهم بقدر معلوم. قال الصنعاني: «خَرْجًا وخَرَاجًا: إتاوة وغلَّة. والخَرْج أخص من الخراج، يُقال: أَدِّ خَرْجَ رأسِك وخَرَاجَ مدينتِك. وقوله عز وجل: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ...﴾ [المؤمنون: ٧٢] معناه: أم تسألهم أجرًا على ما جئتَ به فأجرُ ربِّك وثوابُه خيرٌ. وقوله عز وجل: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

(١) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٣٢٣، ٣٢٤).
(٢) الكشف (٤٣٩، ٤٤٠).

أي: جُعْلًا»[١].

وقيل بالفرق بينهما. قال الرازي: «قيل: الخَرْجُ والخَرَاج واحد، وقيل: هما أمران متغايران، وعلى هذا القول اختلفوا. قيل: الخرْجُ بغير ألف هو الجُعْل؛ لأن الناس يُخرج كلُّ واحدٍ منهم شيئًا منه، فيخرج هذا أشياء وهذا أشياء، والخراج هو الذي يجبيه السلطانُ كلَّ سنة.

قال الفراء: الخراج هو الاسم الأصلي، والخرج كالمصدر. وقال قطرب: الخرج الجزية، والخراج في الأرض».ا.هـ

وعن الجمع بين القراءتين على اختلاف معنييهما تقول الباحثة آمال خميس: «أفادت قراءةُ الخرج أن أهلَ تلك البلادِ التي وصل إليها ذو القرنين قد استنجدوا به ليخلصهم من أذى يأجوج ومأجوج فعرضوا عليه أن يجعلوا له جُعلًا -أي مالًا يجمعونه منهم- مقابل تخليصهم.

يقول مكي بن أبي طالب: «كأنهم قالوا له: نجعل لك جعلًا ندفعه إليك الساعةَ من أموالنا مرَّةً واحدة على أن تبني بيننا وبينهم سدًا».

وأفادت قراءة «خراجًا» مدى شدَّة حاجَةِ ساكني تلك المنطقة إلى الخلاص بحيث عرضوا على ذي القرنين أن يجعلوا ضريبةً على أموالهم وأراضيهم يُخرجونها له كُلَّ شهر أو عام باستمرار مقابل بناء السَّد وتخليصهم.

ويقول مكي بن أبي طالب في ذلك: «أي: فهل نجعل لك أُجرة نؤدِّيها إليك في كل وقت نتفق عليه كالجِزية على أن تبنيَ بيننا وبينهم سدًّا - أي حاجزًا. فالخراج ما يُؤدى في كل شهر أو في كل سنة»»[٢]. ا.هـ

على أن ما اختاره مكي أنهم إنما عرضوا عليه أن يعطوه أجرة وعطية من أموالهم

(١) تفسير غريب القرآن (١٥٥).
(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٦/ ٢٣٤).

مرَّةً واحدة معروفة على بنيانه، لم يعرضوا عليه أن يعطوه جزية على رءوسهم منجمة في كل عام، والله تعالى أعلم[(١)].

﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ [الكهف: ٩٦] قرأ ﴿ءَاتُونِىٓ﴾ بهمزة وصل تسقط وصلًا، وبعدها همزة ساكنة (قالَ ائْتُونِي)، وإذا ابتدأ كسرَ همزة الوصل مع إبدال الهمزة التي هي فاء الفعل ياءً ساكنة (ايتُونِي).

فعل أمر من «أتى» الثلاثي، من الإتيان، أي: جيئوني، أمرَهم أن يحضروا، وأما قراءة ﴿ءَاتُونِىٓ﴾ بالمد: أمرهم بإحضار ذلك له. قال ابن أبي مريم في معنى قراءة حمزة: «والمعنى: جيئوني بقِطْر أُفرِغْه عليه، فهو على تقدير الجارِّ».

قال الدكتور الزهيري: «فكأنه أمرهم بإحضار ذلك له، ولا يحتاجوا بعده إلى آخرين، وهذا هو الكمال في المعونة، أعني أن يساعد المرءُ غيرَه فيما لا يُحسنه ويُعلِّمه كيف يقوم هو بنفسه بذلك العمل بعد، بخلاف أهل الجشع والطمع الذين يحرصون على احتكارهم للمهارات والقدرات ليظل غيرُهم في حاجة إليهم»[(٢)].

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾ [الكهف: ٩٧] قرأ بتشديد الطاء (فَمَـا اسْطَّاعُوا)، وقد انفردَ بها حمزة.

أصلُها «اسْتَطَاعُوا»، فأدغمت التاء في الطاء لاجتماعِهما وهما متقاربان، ولم تنقل حركة التاء إلى السينِ بعدَ الإدغام لئلا يحرك ما لا يتحرك أي سين اسْتَفْعَل فبقي «اسْطَّاعُوا» بتشديد الطاء.

قال ابن الجزري في النشر: «فأدغم التاء في الطاء، وجمعَ بين ساكنَين وصلًا، والجمع بينهما في مثلِ ذلك جائز مسموع. قال الحافظ أبو عمرو: ومما يُقوِّي ذلك ويُسَوِّغه أن الساكن الثاني لما كان اللسانُ عنده يرتفِعُ عنه وعن المُدغم ارتفاعة واحدة صار بمنزلة

---

(١) ينظر الكشف (٤٤٠)، التفسير الكبير (١٠/ ٣٨٢)، الكتاب الفريد (٤/ ٣٢٤).

(٢) الدرر الباهرة (١/ ٥٦٥).

حرف متحرك، فكأن الساكن الأول قد ولي متحرِّكًا، وقد تقدم مثلُ ذلك في إدغامِ أبي عمرو وقراءةِ أبي جعفر وقالون والبزي وغيرهم[١]، فلا يجوزُ إنكاره»[٢].

وقال أيضًا في قوله تعالى: «نعمَّا» بسورتي البقرة والنساء: «وقرأ أبو جعفر بإسكان العين، واختلفوا عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر، فروى عنهم المغاربة قاطبة إخفاء كسرة العين ليس إلا، ويريدون الاختلاس فرارًا من الجمع بين الساكنين، وروى عنهم العراقيون والمشرقيون قاطبة الإسكان، **ولا يُبالون من الجمع بين الساكنين لصحته روايةً، ووروده لغةً**، وقد اختاره الإمام أبو عبيدة أحد أئمة اللغة، وناهيك به، وقال: هو لغة النبي ﷺ فيما يروى: «نعْمَّا المال الصالح للرجل الصالح»[٣]، وحكى النحويون الكوفيون سماعًا من العَرب: «شَهْر رَّمضان» مدغمًا، وحكى ذلك سيبويه في الشعر»[٤].

﴿أَن تَنفَدَ﴾ [الكهف: ١٠٩] قرأ بياء التذكير (يَنفَدَ).

قال مكي بن أبي طالب: «لأن تأنيث الكَلِمات غير حقيقي؛ ولأنه حمله على الكلام؛ لأن الكلام والكلمات سواء، والكلام مصدر مذكر».

---

(١) تقدم شيء من ذكر ذلك في مقدمة الكتاب عند ذكر ردِّ ما ذُكر من كراهية قراءة الإمام حمزة.

(٢) النشر (٢/ ٢٤٠، ٢٤١).

(٣) هكذا في النشر، وذكره ابن زنجلة كذلك في حجة القراءات (١٤٦، ١٤٧)، والرازي في التفسير الكبير (٣/ ٦٢٦)، وابن منظور في لسان العرب (مادة نعم) ناسِبه إلى أبي عبيدة أيضًا بلفظ: «نعْمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح» - بسكون العين وتشديد الميم جامعًا بين الساكنين.

والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٢٥٧)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم لرواية موسى بن علي بن رباح، وعلى شرط البخاري لأبي صالح من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: «يا عمرو نَعِما بالمال الصالح للرجل الصالح»، وضبطه الحاكم بفتح النون وكسر العين، وعلى هذا الضبط لا حُجَّة في الحديث.

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، و أحمد في المسند (١٧٦٩٢) بلفظ: «يا عمرو نعمَ المال الصالح للمرء الصالح»، ولا دليل فيه على هذا اللفظ أيضًا.

(٤) النشر (٢/ ١٨٠، ١٨١).

سورة مريم عليها السلام

﴿خَلَقۡتُكَ﴾ [مريم: ٩] بنون مفتوحة بدل التاء وألِف بعدَها (خَلَقْنَاكَ).

على إخبار الله تعالى عن نفسه بالعظمَة كقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ [الأعراف: ١١]، وفيه مناسبة لقوله تعالى قبلَه: «إِنَّا نَبْشُرُكَ»، وبعده: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣].

قال الدكتور الزهيري: «قرئ «خلقناك» بنون العظمة للدلالة على عظيم قدرة الله، وعظيمِ إبداعه في خلقه للخلق، فكأنه قيل لزكريا: لا تستعجب فإن الخلَّاقَ العظيم قادرٌ على كل شيء، وقرئ ﴿خَلَقۡتُكَ﴾ للدلالة على أنه وحده سبحانه هو الذي خلق الخلقَ بلا مُعين ولا وزير ولا مُشير»[(١)].

﴿تُسَٰقِطۡ﴾ [مريم: ٢٥] قرأ بفتح التاء والقاف (تَسَاقَطْ).

أصله «تَتَساقَط»، مُضارِع «تَساقَطَ»، حذفت إحدى التاءين تخفيفًا، نحو: «تَنَزَّل» و«تَذَكَّرُون»، والفاعل ضمير يعود إلى النخلة، أو الثمرة، وجاز تقدير الثمرة وإن لم يَجْرِ لها ذِكرٌ لأن ذِكر النخلة يدل عليها، فهي مفهومة من السياق، أو الجذعِ، وجاز تأنيث فعلِه لإضافته إلى النخلة وهي مؤنثة فالتبس بها، كما قالوا: ذهبت بعضُ أصابعِه.

وإذا كان الفعل «تَسَاقَط» لازمًا -لا يتعدى إلى مفعول- فـ«رُطبًا» منصوب:

إمَّا على التمييز، والأصل والمعنى: تتساقط عليك رُطَبُ النخلة، كقولك: قَرَّ زيدٌ عينًا، والأصل والمعنى: قَرَّ عينُ زيدٍ.

وإمَّا على الحال من المنوي فيه، والتقدير: تساقط عليك ثمرةُ النخلة في حال كونِها رُطبًا جَنِيًّا.

وقيل: «تَسَاقَط» متعَدٍّ بمعنى «تُسْقِط» بضم التاء، أي: تُسْقِط النخلةُ عليك رُطبًا،

(١) الدرر الباهرة (٢/ ٧).

فـ «رُطبًا» على هذا مفعول به[(١)].

وعن العلاقة بين القراءتين تقول الباحثة آمال خميس: «أفادت قراءة ﴿ تُسَٰقِطْ ﴾ كثرةَ الرطب النازل على مريم عليها السلام من النخلة كأنها مأمورة بإسقاطه، وكأنَّ الهَزَّ هو من قبيل الأخذ بالأسباب، كما تدل القراءةُ على نزول الرطب من النخلة تدريجيًّا، شيئًا بعدَ شيء، وليس دفعةً واحدة.

أمَّا قراءة «تَسَاقَط» فأفادت سهولة تساقطه وكثرته...»[(٢)]، والله تعالى أعلم.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤] برفع اللام (قَوْلُ الحَقِّ).

على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو قولُ الحق، والمقصود نِسبتُه إلى أمه فقط أو: هذا الكلامُ أو: عيسى عليه السلام؛ لأنه روحُ الله وكلمتُه، والكلمةُ قولٌ، قيل: وإنما قيل له: «كلمةُ الله» و«قولُ الحق» لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدَها، وهي قوله: «كُن» من غير واسطةِ أبٍ.

وعلى هذا الوجه يكون الوقف على ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ كافيًا، فيَحسُن الوقفُ عليه والابتداءُ بما بعده.

أو أنه مرفوع على أنه خبر ثانٍ، فـ «ذلك» مبتدأ و«عيسى» خبر أول، و«ابنُ مريم» نعت له ، و«قَولُ الحق» خبر ثان.

أو أن «قولُ الحق» خبر لـ «ذلك»، و«عيسى» بدل من «ذلك» أو عطف بيانٍ له.

أو أنه بدل من «عيسى»، أو نعت له.

وعلى هذا يكون الوقف على ﴿ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ حسنًا، فيحسن الوقف عليه ولكن لا يُبدأ بما بعده لتعلقه به في اللفظ والمعنى، والله تعالى أعلم[(٣)].

---

(١) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٣٥٦)، الكشف (٤٤٧)، الكتاب الموضح (٢/ ٤٨٧).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٦/ ٢٨٥).

(٣) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٣٦٥)، أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء (٣٠١)، منار الهدى (٤٧٩)، إعراب القرآن للنحاس (٥٦٦).

﴿ وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨] بكسر الباء (وبِكِيًّا).

لغة فيه، على إتباع حركة الأول للثاني، ليعمل اللسان فيه عملًا واحدًا، كعِصِي وقِسِي ودِلِي.

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ﴾ [مريم: ٦٧] قرأ بفتحِ الذال والكافِ معَ تشديدهما (يَذَّكَّرُ).

مضارِع «تَذَكَّرَ»، وأصله «يَتَذَكَّر» فأدغمت التاء في الذال، من التذكُّر الذي هو بمعنى التدبر، والمعنى: أيقول الإنسان مقالَته هذه في إنكار البعث ولا يتدبر ويعتبر بخلق نفسِه أنا أوجدناه الإيجادَ الأول ولم يكن شيئًا، بل كان عدمًا فأوجدناه؟ كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ [يس: ٧٨].

وأما القراءة بالتخفيف ﴿يَذْكُرُ﴾ فهي من «ذَكَرَ» من الذكر الذي يكون عقبَ النسيان والغفلة، وقيل: المعنى: أولا يعلم، أوْ أوَلَا يتنبَّه؟. قيل: والحجة في ذلك قولُه تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١١].

قالت الباحثة آمال خميس: «أفادت قراءة «يَذْكُر» بالتخفيف نعيَ الله على الكافر المنكر للبعث عدمَ انتباهه وعلمه من حال نفسِه أنه لم يكن شيئًا في الدنيا، ثم صار إنسانًا حيًّا موجودًا.

يقول الفخر الرازي: «أما إذا قرئ ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ﴾ بالتخفيف فالمراد: أوَلا يعلمُ ذلك من حال نفسه؛ لأن كلَّ أحد يعلم أنه لم يكن حيًّا في الدنيا ثُمَّ صار حيًّا».

أمَّا قراءة «يَذَّكَّر» بالتشديد فأفادت نعيَ الله على الكافر عدمَ تفكره وتدبره في أول خلقِه فيستدل بذلك على البعث.

يقول الشوكاني: «والمراد بالذكر هنا إعمالُ الفِكر، أي: ألا يتفكر هذا الجاحِدُ في أوَّلِ خلقِه فيستدل بالابتداء على الإعادة، والابتداءُ أعجبُ وأغربُ من الإعادة؛ لأن النشأةَ الأولى هي إخراجٌ لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداعًا واختراعًا، لم يتقدم عليه ما يكون كالمِثال له، وأمَّا النشأةُ الآخرةُ فقد تقدَّم عليها النشأةُ الأولى فكانت

كالمثال لها»»[1].

﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١]، ﴿يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] : قرأ «وَلَدًا» في المواضِعِ الأربعة بضم الواو وسكونِ اللام (وُلْدًا)، وكذلك في سورتي الزخرف ونوح.

الوَلَدُ والوُلْد لغتان كالحَزَن والحُزْن والعَرَب والعُرْب والبَخَل والبُخْل، ويكون الوُلْدُ على هذا واحِدًا، كما قال:

فَلَيْــتَ فُلَانًــا كَانَ فِي بَطــنِ أُمِّــه وَلَيْــتَ فُلانًــا كانَ وُلْدَ حِمَــارِ

قال مكي: «وقال الأخفش: الوَلَدُ بالفتح الابنُ والابنة، والوُلْدُ بالضَّم الأهلُ.

وقيل: هما لغتان في الولد، كقوله: البَخَل والبُخْل، والعَدَم والعُدْم، فيتفق لفظ الواحد في إحدى اللغتين مع لفظ الجمع، كما قالوا: الفُلك في الواحدة وفي الجمع».

قيل: ويجوز أن يكونَ الوُلْدُ جَمعَ «وَلَد» كأَسَد وأُسْد وخَشَب وخُشْب، وأنشدوا على ذلك:

وَلَقَــــد رَأَيــــتُ مَعَــــاشِرًا قَــــد ثَمَّــــروا مَــــالًا ووُلْدًا

قال الشنقيطي -رحمه الله-: «والظاهر عدمُ صِحة هذا». يعني كونَه جمعًا لـ«وَلَد».

قال: ومما يدل على أن «الوُلد» بالضم ليس بجمع قول الشاعر: ... وذكر البيتَ المذكورَ أولًا، وهو بالضم، وهو مفرد قطعًا[2].

﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ [مريم: ٩٠] قرأ بنون ساكِنة مُخفاة بدل التاء، وكسرِ الطاء مع تخفيفها (يَنفَطِرْنَ).

مِن «انفطَرَ» بمعنى انشَقَّ، مطاوع فَطَرَه بالتخفيف إذا شقَّه، يُقال: فَطَرْته فانفَطَرَ هو. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ﴾

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٦/ ٣١٥، ٣١٦).

(٢) ينظر أضواء البيان (٤/ ٤٥٦)، الدر المصون (٤/ ٥٢٢، ٥٢٣)، الكشف (٤٥١).

[المزمل: ١٨].

وقراءة حفص ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ مطاوع فَطَّرَه بالتشديد، إذا شقَّه أيضًا، والمعنى: يتشقَّقْنَ، غيرَ أن التشديد يدل على التكثير وتكرير الفعل، والتخفيف يحتمل التكثيرَ وغيرَه[1].

سورة طه

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ [طه: ١٣] قرأ ﴿وَأَنَا﴾ بتشديد النون، و﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ بنون مفتوحة مكان التاء الثانية وبعدها ألِف (وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ)، وقدِ انفرد حمزة بذلك مِن القراء العشرة.

على أنها «أنَّ» المشدَّدة، وهي المؤكِّدة، وحذفت إحدى نونيها تخفيفًا، والضمير «نَا» اسمها، و«اختَرْناك» بضمير المتكلم المعَظِّمِ نفسَه خبرها، وفيهما مِن أسلوب التعظيم لله والمبالغة في الإجلال له سبحانه وتعالى، وفيه انتقال من لفظ الوحدة في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢] إلى لفظ الجمع للتعظيم في قوله: «وَأَنَّا اختَرنَاك»، كما جاء في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ ثم قال بعدها: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿وَءَاتَيۡنَا﴾ [الإسراء: ٢].

قال الدكتور الزهيري: «قراءة النون تفيد عظيمَ المهمة التي اختار اللهُ موسى لها، كما تفيد عظيمَ مِنَّته عليه -سبحانه-، وقراءة التاء تفيد تعيينَ الفاعلِ، وأن الله وحدَه هو الذي يَختار للرسالة، لا أحد سواه، ولا يُوصَل إلى ذلك باجتهاد كما زعم البعضُ»[2]. قلتُ: والقراءة بالنون تفيد ذلك أيضًا، والله تعالى أعلم.

﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] قرأ بتشديد نون ﴿إِنۡ﴾ مفتوحةً (إِنَّ هَذَانِ).

فيها أوجه:

أحدها: أن «هَذَان» اسم «إنَّ» على لغة بعضِ العربِ من إجراء المثنى بالألف دائمًا

(١) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٣٩٤).

(٢) ينظر الدرر الباهرة (٢/ ٢٨)، الكتاب الموضح (٢/ ٤٩٦).

ككِنانَة وبني الحارِث بن كعب وبني الهجيم وبني العنبر، وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومراد وعذرة، وحكى هذه اللغةَ الأئمةُ الكبار كأبي الخطاب وأبي زيد الأنصاري والكسائي. قال أبو زيد: سمعتُ مِن العربِ مَن يقلِب كلَّ ياء ينفتح ما قبلها ألفًا، يجعلون المثنى كالمقصور فيُثبِتون ألفًا في جميع أحواله ويقدرون إعرابَه بالحركات، وأنشدوا:

إنَّ أبَاهَـــا وأبَـــا أبَاهَـــــا   قـــد بَلَغَـــا في المَجْـــدِ غايَتاهَـــا

والشاهد فيه قوله: «غَايَتَاها»، فإنه مثنى «غاية»، وقد وقعَت هُنا في موضعِ نصب لأنها مَفعُول به، ولو أنه أجراها على اللغة الأشهَر لقال: «قد بلغا غايتَيْها».

وحكى الفرَّاءُ عن رجل من الأسد عنهم -يريد بني الحارث-: «هذا خطُّ يدَا أخي بعينه». ولم يقل: «يدَيْ» على أنه مضاف إليه، وحذفت نونُه لإضافته لما بعده. قال الفراء: «وذلك -وإن كان قليلًا- أقيسُ». إلى غير ذلك من الشواهد.

الثاني: أنَّ «إِنَّ» بمعنى «نَعَم»، و«هَذَانِ» مبتدأ، و«لَسَاحِرَان» خبرُه، وضُعِّف هذا الوجهُ.

الثالِث: أن اسمها ضمير الشأن محذوف، وجملة «هذان لساحِرَان» خبرها، والتقدير: «إِنَّه»، أي الأمر والشأن، ولم يخْلُ هذا الوجهُ من التضعيف أيضًا.

الرَّابِع: أنه لَمَا ثُنِّيَ «هَذَا» اجتمع ألفان: ألِفُ «هذا»، وألِفُ التثنية؛ فوَجَبَ حذفُ واحدة منهما لاجتماعِ الساكنَين، فمَن قدَّر المحذوفةَ ألِفَ «هذا» والباقية ألف التثنية قلبها في الجر والنصب ياءً، ومَن قدَّر العكسَ لم يُغيِّر الألفَ عن لفظها.

الخامِس: أنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد -وهو «هذا»- جعل كذلك في التثنية؛ ليكون المثنى كالمفرد؛ لأنه فرعٌ عليه، واختار هذا القول الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية -رحمه الله-، وقال: إن بِناء المثنى إذا كانَ مفردُه مبنيًّا أفصحُ من إعرابِه، قال: وقد تفطَّن لذلك غيرُ واحد من حُذَّاق النحاة، ثم ذكرَ اعتراضَينِ على قوله والردَّ

عليهما[١].

وهذه القراءةُ -أعني بتشديد النون و«هذان» بالألف- قراءةُ نافع، وابنِ عامر، وعاصِم من رواية شعبة عنه، وحمزة، والكسائي، وأبي جعفر، ويعقوب، وخلف البزار من القُرَّاء العشرة، ووافقهم الشنبوذي والحسن.

وقد ذكر الرازي في ردِّه على مَن طعن في هذه القراءة أوجهًا فقال:

«**أحدها**: أنه لما كان نقلُ هذه القراءة في الشُّهرة كنقلِ جميع القرآن - فلو حكمنا ببطلانها جاز مثلُه في جميع القرآن، وذلك يُفضِي إلى القَدْح في التواتُر، وإلى القدح في كل القرآن..

وإذا ثبت ذلك امتنع صيرورتُه معارَضًا بخبر الواحد المنقول عن بعض الصحابة[٢].

ثانيها: أن المسلمين أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلامُ الله تعالى، وكلامُ الله تعالى لا يجوز أن يكون لحنًا وغلطًا، فثبت فسادُ ما نُقِل عن عثمان وعائشة -رضي الله عنهما- أن فيه لحنًا وغلطًا.

ثالثها: قال ابن الأنباري: إن الصحابةَ هم الأئمة والقدوة، فلو وجدوا في المصحف لحنًا لَمَا فوَّضوا إصلاحَه إلى غيرهم مِن بعدهم مع تحذيرهم من الابتداع وترغيبهم في الاتباع، حتى قال بعضُهم: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم.

فثبت أنه لا بُد من تصحيح القراءة المشهورة [يعني هذه القراءة]»[٣].

---

(١) نقل ذلك عنه ابنُ هشام في شرح الشذور (٧٨: ٨٠)، وهو في رسالة مطبوعة لشيخ الإسلام بعنوان: «رسالة ابن تيمية في «إن هذان لساحران»»، تحقيق وتعليق دكتور/ محمد حسن محمد يوسف.

(٢) رضي الله عنهم، وهذا إذا ما صحَّ هذا النقل أصلًا.

(٣) ينظر التفسير الكبير (١٠/ ٦٣٨، ٦٣٩)، شرح شذور الذهَب مع كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب (٧٥: ٨٠)، وانظر الدر المصون (٥/ ٣٥، ٣٦)، الكتاب الموضح (٢/ ٤٩٨: ٥٠١)، البحر المحيط (٧/ ٣٤٩، ٣٥٠)، قراءة حمزة بن حبيب الزيَّات (١٥١: ١٥٤)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٨٤).

قلت: القراءة متواترة، وموافقة للغة العرب، وموافقة لرسم المصحف، فأيُّ وجه للطعن فيها بعدَ ذلك؟ ولو أردنا أن نستشهد بشاهد من الكلام العربي على صحتها فأيُّ شاهد سيُنقَل إلينا بأوثقَ مما نُقلت به هذه القراءة التي رواها ثمانية من القراءة العشرة، وقراءةُ الواحد منهم -وحدَه- متواترة، مُجمَع على قبولها؟![1].

﴿ كَيْدُ سَٰحِرٍ ﴾ [طه: ٦٩] بكسرِ السين، وإسكانِ الحاء، وحذفِ الألف (سِحْرٍ).

يجوز أن يكون على حذف المضاف، والمعنى: كيدُ ذي سِحر، أو ذوي سِحر. أو هُم لتوغلِهم في سحرِهم كأنهم السحر بعينه وبذاته، كقولك: رَجلٌ زُورٌ، أو بيَّنَ الكيدَ لأنه يكونُ سِحرًا ويكون غيرَ سحرٍ، كما تبين المِائة بدرهم فتقول: مِائة درهم، ونحوه: علمُ فقهٍ، وعلمُ نحوٍ، واللهُ تعالى أعلم[2].

﴿لَّا تَخَٰفُ ﴾ [طه: ٧٧] بحذفِ الألف وجَزْمِ الفاء (لا تَخَفْ)، وقد انفرد بها حمزة.

على أنه مجزوم في جوابِ الأمر «فاضْرِبْ»، أي: فاضرِبْ لهم طريقًا، فإنك إنْ تضرِبْ لا تَخَفْ، أو على أنه نهي مستأنف.

وعلى جزم «تخفْ» يجوزُ أن يكونَ «ولا تخشَى» إخبارًا مستأنفًا، فالفعل «تخشَى» مرفوع، أي: وأنت لا تخشى، أخبَرهُ تعالى أنه لا يحصل له خوفٌ، أو أنه مجزوم أيضًا بحذف حرف العلة، وهذه الألف إنما هي ألِفُ إشباعٍ أتي بها موافَقةً للفواصل ورءوسِ الآي، نحو الألف في قوله تعالى: ﴿ ٱلظُّنُونَا ﴾ [الأحزاب: ١٠] و﴿ ٱلرَّسُولَا ﴾ [الأحزاب: ٦٦] و﴿ٱلسَّبِيلَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧] في قراءة مَن قرأ بإثباتها، أو أنه مجزوم بحذف الحركة المقدَّرة على لغة من قال: «ألَمْ يأتيك»، وهي لغة قليلة، قال الشاعِر:

إذا العجُوزُ غَضِبَتْ فطَلِّقِ ولا ترضاهَا ولا تَملَّقِ

والأكثر: «ولا تَرْضَها». وقال الآخر:

---

(١) ذُكِر شيء من هذا المعنى في مقدمة الكتاب.

(٢) ينظر البحر المحيط (٧/ ٣٥٧)، الكتاب الفريد (٤/ ٤٣٤).

وَتَضحَكُ مِنِّي شَيخَةٌ عَبَشَمِيَّة كَأَن لمْ تَرَا قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَـا

والأكثر: «لم تَرَ» بحذف الألف، ولكن الفتحة أُشبِعَت حتى صارت ألفًا.

وذكرَ الشنقيطي أن ذلك مسموعٌ أيضًا في النثر، كقولهم: كلكال وخاتام وداناق، يعنون: كلكلاً وخاتمًا ودانقًا.

وعلى جزم «تخفْ» على أنه جواب الطلب في «فاضرِبْ» لا يوقف على ﴿ فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ لتعلقه به، وليس كذلك إذا اعتُبِر أنه نهي مستأنف.

وكذلك إذا جعل «ولا تخشَى» معطوفًا على «لا تَخَفْ» واعتبر مجزومًا فلا يوقف على «لا تَخَفْ دَرَكًا»، وأما إذا اعتبر إخبارًا مستأنفًا على أنه نفي فالوقف على «لا تَخَفْ دَرَكًا» كافٍ، فيحسُن الوقفُ عليه، والابتداءُ بما بعدَه، والتقدير: وأنت لا تخشى، على سبيل الإخبار، والله تعالى أعلم[1].

﴿ أَنجَيْنَٰكُم ﴾، ﴿ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ ﴾ [طه: ٨٠]، ﴿ رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [طه: ٨١] قرأ بتاءٍ مَضمُومَة للمُتكلِّم مَكانَ النونِ في الثلاثة، وحذف الألِف (أَنجَيْتُكُم)، (وَوَاعَدتُّكُم)، (رَزَقْتُكُم).

مناسبة لقوله تعالى: ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ [طه: ٨١]، وقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴾.

قال الدكتور الزهيري: «قراءة التاء «أنجيتكم»، «رزقتكم» تفيد تعيينَ الفاعل، وأنه وحدَه -سبحانه- الذي له المنةُ والفضلُ على عباده، وقراءة «واعدتكم» تفيد عظيمَ شرفِ ذلك الميعاد، فهو من الجليل العظيم سبحانه، وقراءة النون ﴿ أَنجَيْنَٰكُم ﴾، ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾، ﴿ رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ تفيد عظيمَ فضلِ الله ومزيدَ تفضُّلِه في ذلك؛ فإن نون العظَمَة تدلُّ على التعظيم»[2].

﴿ بِمَلْكِنَا ﴾ [طه: ٨٧] قرأ بضم الميم (بِمُلْكِنَا).

قال المنتجب الهمذاني: «قرئ «بملكنا» بالحركات الثلاث في الميم، وهي لغات،

---

(١) ينظر البحر المحيط (٧/ ٣٦٢)، أضواء البيان (٤/ ٥٩٩)، المكتفى (١٤٨)، إيضاح الوقف والابتداء (٤٠٣).
(٢) الدرر الباهرة (٢/ ٤٢).

والجميع مصدر بمعنى القُدرة، والمصدرُ مضافٌ إلى الفاعل، والمفعولُ محذوف، أي: ما أخلفنا موعدَك بأن ملكنا أمرنا، أي: لو ملكنا أمرَنَا وخُلِّينا ورأينا لما أخلَفناه، ولكن غُلِبْنا مِن جهة السامري وكيدِه».

ونقل القرطبي في تفسيره:

«بمَلكنا» بفتح الميم: بطاقتنا، لم نملك أنفسَنا، أي كُنا مُضْطَرين. «بمِلكنا» بكسر الميم: مصدر ملكت الشيءَ أملكه مِلكًا، والمصدرُ مضافٌ إلى الفاعل، والمفعول محذوف، كأنه قال: بملكنا الصوابَ، بل أخطأنا، فهو اعترافٌ منهم بالخطأ. «بمُلكنا» بضم الميم: بسلطاننا، أي: لم يكن لنا ملك فنخلف موعدَك[1].

وقال الإمام الطبري: «وقد أنكر بعضُ الناس قراءةَ من قرأه بالضم، فقال: أيّ ملك كان يومئذ لبني إسرائيل، وإنما كانوا بمصر مستضعفين؟! فأَغْفَلَ معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابًا بعيدًا، وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك، وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نَرُدَّها عما أتتْ، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعدَ».

قال أبو حيَّان: «والظاهر أنها لغات، والمعنى واحد»، والله تعالى أعلم.

﴿حُمِّلْنَآ﴾ [طه: ٨٧] بفتح الحاء والميم مُخفَّفَة (حَمَلْنَا).

على أنه فعل ثلاثي مجرد مبني للمعلوم، والمراد أنهم فعلوا ذلك، فالفعل مُسنَد إلى الفاعلين، وهو مُتعدٍ لمفعول واحد، وهو «أَوْزَارًا»، والضمير المتصل فاعل، وقد جاء بعده «فَقَذَفْنَاهَا» بإسناد الفعل إليهم أيضًا.

قال المنتجب: «والقراءتان متقاربتان؛ لأنه إذا حُمِّلوا حَمَلُوا».

﴿يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه: ٩٦] بتاء الخِطاب (تَبْصُرُوا).

خطابًا لموسَى عليه السلام وقومه، أو لموسى عليه السلام بصيغة الجمع تعظيمًا

---

(١) ينظر تفسير القرطبي (٦/ ٤٤٠٨).

له[١].

﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم ﴾ [طه: ١٣٣] بياء التذكير (يَأْتِـهِم).

لأن الفاعل مجازي التأنيث، وأيضًا قد فصل بينه وبين الفعل، أو لأن معنى البينة والبيان واحد فحمل على معنى البيان، وقد قال تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾[الأنعام: ١٥٧]، والله تعالى أعلم[٢].

سورة الأنبياء عليهم السلام

﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ [الأنبياء: ٨٠] بياء التذكير (لِيُحْصِنكُم).

أي ليُحصنكم اللهُ تعالى، وفيه التفات على هذا الوجه لتقدُّم ضمير المتكلم في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾، أو أن الفاعل هو داود عليه السلام لتقدم ذكره، أو اللبوس، أو التعليم، أي: ليحصنكم التعليمُ، دلَّ عليه قولُه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾.

﴿ وَحَرَامٌ ﴾ [الأنبياء: ٩٥] بكسر الحاء وإسكانِ الراء وحذفِ الألف (وَحِرْمٌ).

لغة فيه، كالحِلِّ والحَلَال.

﴿قَلَ رَبِّ ٱحْكُم﴾ [الأنبياء: ١١٢] بضم القاف وحذفِ الألِفِ وإسكانِ اللام، ويلزمُ منه إدغامُ اللامِ في الرَّاءِ لسكونِ أوَّلِ المُتجانِسَيْن (قُل رَّبِّ).

على الأمر للنبي ﷺ، وفي القراءتين معنًى لطيف، وهو أن النبي ﷺ أُمِرَ أن يقول، وأنه قال كما أُمِر، **فالقراءةُ إلى القراءة كالآية إلى الآية ما لم تكن لغةً.**

سورة الحج

﴿ سُكَٰرَىٰ ﴾، ﴿ بِسُكَٰرَىٰ ﴾ [الحج: ٢] بفتحِ السِّينِ، وإسكانِ الكافِ، وحذفِ

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ٤٩).

(٢) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٤٦٩).

الألِفِ فيهِمَا (سَكْرَىٰ).

على وزن «فَعْلَىٰ»، جمع سَكْرَان، حكى سيبويه: قومٌ سَكْرىٰ، وهو مُطَّرِد لكل ذي عاهة في بدنه كمَرْضَىٰ، أو عقلِه كحَمْقَىٰ.

وقيل: يجوز أن يكون جمعَ «سَكِر»، حكى سيبويه: رجلٌ سَكِر، كهَرِم وهَرْمَىٰ وزَمِن وزَمْنَىٰ، وذلك لأن السُّكْر علة لَحِقَت عقولَهم، كما أن المرض والصرع والهرم علةٌ لحقت أجسامَهم، ويكون التأنيث في «سكرىٰ» على هذا التأنيث للجمع، ليس كالتأنيث في: «امرأة سكْرَىٰ»[(١)].

﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾[الحج: ٢٣] بخفض الهمزة الثانية، مُنَوَّنةً كما هي (وَلُؤْلُؤٍ)، وكذلك بسورة فاطر: ٣٣.

عطفًا على «أَسَاوِرَ» المجرور بالفتحة، أي: يُحَلَّون فيها من أساورَ من ذهب، ويُحلَّون من لؤلؤ.

أو عطفًا على «ذَهَبٍ»، أي: يُحلَّون فيها من أساوِرَ من ذهبٍ وأساوِرَ من لؤلؤٍ، أي: منهما، على معنى أنها مُرَصَّعة، أي يُحلون من أساور من الذهب المرصَّع باللؤلؤ. ومن منع عطفَه على «ذهبٍ» مُستدِلًّا بأن السِّوار لا يكون من لؤلؤ فقد فاته هذا المعنى.

وأما قراءة النصب ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ فبالعطف على موضع «مِن أساور»، أي يُحلَّون من أساور من ذهب ويُحلَّون لؤلؤًا، يحلون بالأساور وباللؤلؤ جميعًا، أو على تقدير: ويُؤتَون لؤلؤًا، أو ويلبسون لؤلؤًا، والله تعالى أعلم[(٢)].

﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ﴾ [الحج: ٢٥] برفع الهَمزَة مُنونة (سَوَاءٌ العَاكِفُ).

العاكف: المُقيم، والبادي: غير العاكف، وهو الذي لا يُقيم. قال الفراء: «العاكف: مَن كان من أهل مكة، والبادِ: مَن نزع إليه بحج أو عمرة».

(١) ينظر الكشف (٤٦٩)، الكتاب الفريد (٤/ ٥٢٧).

(٢) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٥٤٣، ٥٤٤).

ورفع «سواء» فيه وجهان:

أحدهما: أنه خبر مُقدم، و«العَاكِف» مبتدأ مؤخر، والتقدير: والعاكِفُ والبادِي فيه سواءٌ.

قال أبو علي: «والمعنى: العاكفُ والبادي فيه سواءٌ، ليس أحدُهما بأحق به من صاحبه، واستواءُ العاكف والبادي فيه دلالة على أن أرضَ الحرم لا تملك، ولو مُلِكَت لم يستويا فيه، وصار العاكفُ فيها أولى بها من البادي بحق ملكه، ولكن سبيلها سبيل المساجد التي مَن سبق إليها كان أولى بالمكان لسبقه إليه، فسبيله سبيل المباح الذي مَن سبق إليه كان أولى به»[١].

والثاني: أنه مبتدأ، و«العاكف» فاعلٌ سدَّ مَسدَّ الخبر.

قال السمين الحلبي: «وفيه ضعفٌ أو منع مِن حيث الابتداءُ بالنكرة مِن غير مُسوِّغ». وقال الشنقيطي:«والظاهر أن مُسَوِّغ الابتداء بالنكرة التي هي «سواء» على هذا الوجه هو عملها في المجرور الذي هو «فيه»، إذ المعنى: سواءٌ فيه العاكف والبادي».

والوجه الأول أحسنُ؛ لأنه متى اجتمع معرفةٌ ونكرةٌ جعلت المعرفة المبتدأ[٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾: الجعلُ هنا يجوز أن يكون بمعنى التصيير فيتعدى إلى مفعولين، وأن يكون بمعنى الخلق فيتعدى إلى مفعول واحد، فإن كان ينصب مفعولين فالضمير في «جعلناه» الراجع إلى المسجد هو المفعول الأول، وقيل في المفعول الثاني:

إنه الجملة من قوله: «سواءٌ العاكف فيه والباد»، أو إنه «للناس» فيكون مستقرًّا، أي: جعلناه ثابتًا لهم، على معنى: أنه جعله لهم منسكًا ومتعبدًا، والجملة من قوله:

---

(١) الحجة للفارسي (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٢) ينظر الدر المصون (٥/ ١٤٠)، أضواء البيان (٥/ ٦١).

«سواءٌ العاكف» في محل نصب على الحال. ذكره السمين الحلبي والمنتجب الهمذاني[(١)].

وعلى تقدير أن جملة «سواءٌ العاكف فيه والباد». هي المفعول الثاني لـ «جعلناه»، أو أنها حال - لا يُوقف على ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ ويُبدأ بما بعده لا تصالهما ببعضهما.

وذهب الفراء إلى أن الهاء في «جعلناه» هي المفعول الأول، واللام في «للناس» هي المفعول الثاني، وجملة «سواءٌ العاكف فيه والباد» جملة استئنافية. قال -رحمه الله-: «ومن رفع [سواء] جعل الفعل [جعلناه] واقعًا على الهاء واللام التي في الناس، ثم استأنف فقال: «سواءٌ العاكف فيه والباد»، ومن شأن العرب أن يستأنفوا بـ«سواء» إذا جاءت بعد حرف قد تم به الكلام، فيقولون: مررت برجلٍ سواءٌ عندَه الخيرُ والشرُّ»[(٢)].

وعلى هذا الوجه يحسُن الوقفُ على ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ والابتداءُ بـ«سواءٌ العاكف فيه والباد». قال أبو عمرو الداني: «﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ كافٍ على قراءة من قرأ «سواءٌ» بالرفع على أنه خبر الابتداء مقدم، و«العاكف» بالابتداء، ومَن قرأ بالنصب [أي «سواءً»] لم يقف على «الناس»»[(٣)]، والله تعالى أعلم.

وعن العلاقة التفسيرية بين القراءتين تقول الباحثة آمال الفلاح: «تفيد ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ بالنصب أن الله تعالى جعل البيتَ الحرامَ سواءً للمقيم والزائر، أما قراءة «سواءٌ العاكف فيه والباد» بالرفع فقد أفادت أن المقيمَ والزائر لبيت الله الحرام يستويان في حق السكن والعبادة فيه ...

[و]بالجمع بين القراءات .. يتبين أن الله تعالى قد جعل البيتَ الحرامَ سواءً وعدلًا في العبادة وفي الإقامة بين المقيم في مكةَ الملازم لبيته الحرام فيها، والمسافر الذي يحضر من البادية للعبادة، سواء أطالت زيارته أم قَصُرَت، فإنَّ له حقَّ العبادة والإقامة في بيت الله الحرام، ولا يحقُّ لأي من العاكف أو البادي منعَ الآخر من هذين الحقين الذَيْن

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ١٤٠)، الكتاب الفريد (٤/ ٥٤٥).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٢٢).

(٣) المكتفى في الوقف والابتدا (١٥٤)، ويُنظر أيضًا إيضاح الوقف والابتداء (٤١٠، ٤١١).

جعلهما الله تعالى لكل منهما سواء، والله أعلم»[١].

﴿ مَنسَكًا ﴾ [الحج: ٣٤، ٦٧] معًا: بكسر السين (مَنسِكًا).

قيل: الفتح والكسر لغتان بمعنى واحد، والمراد بالمنسك مكان النسك أو المصدر، وقيل: المكسور مكان، والمفتوح مصدر[٢].

﴿ أُذِنَ ﴾ [الحج: ٣٩] بفتح الهمزة (أَذِنَ).

مبنيًّا للفاعل، مسنَدًا لضميرِ اسمِ الله تعالى، والمعنى: أَذِنَ اللهُ، فالآية قبلها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨]، فأَسند الفعل إلى الله تعالى لتقدم اسمه، والفِعلُ قرُبَ منه، والمأذون فيه محذوف، أي: في القتال؛ لدلالة «يُقاتِلون» عليه، والمعنى: أَذِنَ الله لهم في القتال.

﴿ يُقَٰتَلُونَ ﴾ بكسر التاء (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ).

مبنيًّا للفاعل، والمعنى: يُقاتِلُون ظالميهم وعدوَّهم. قال مكي: «... أضافوا الفعل إلى الفاعل على تقدير: أَذن الله للذين يريدون قتالَ عدوهم بالقتال»[٣].

﴿ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧] بياء الغيبة (يَعُدُّونَ).

مناسَبة لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾ [الحج: ٤٧]، وهو إخبارٌ عن الكفار، وأما القراءة بالتاء فبالخطاب على العموم؛ لأنه يحتمل أن يكون خطابًا للمسلمين وللكفار فالتاء أعمُّ.

قالت الباحثة آمال الفلاح: «بالجمع بين القراءتين يتضح فيهما خبرٌ مستعمل في التعريض بالوعيد للكافرين، حيث يتبينُ أن الله تعالى هَيَّأَ في هذه الدنيا أيامًا تناسب أوهامَ المخلوقات، وأزمانًا تناسب شأنهم، ولكنه حليم لا يستطيل الزمانَ، وقادر لا

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٧/ ٢٣٦، ٢٣٧).
(٢) ينظر الدر المصون (٥/ ١٤٨).
(٣) الكشف (٤٧٣).

يخاف الفوتَ، لذا فإن يومًا عنده -عز وجل- كألف سنة مما يَعُدُّه النبيُّ والمؤمنون معه، ومما يعده المشركون المحتقرون الذين يستعجلون بالعذاب، وهذا اليوم قادم، وقد قدر الله تعالى له قَدْرَه الذي يتناسب مع عظمة شأنه، والله أعلم»[(١)].

سورة المؤمنون

﴿ صَلَوَٰتِهِمۡ ﴾ [المؤمنون: ٩] قرأها بالإفراد، بغير واوٍ قبل الألِف (صَلاتِـهِم).

اسم جِنس، فهو في معنى الجَمْع. والمحافظةُ على الصلاة: إقامتُها، والمبادرةُ إليها أوائل أوقاتها، وإتمامُ ركوعِها وسجودِها - ذكره القرطبي رحمه الله.

﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [المؤمنون: ٩٢] برفع الميم (عَالِـمُ).

خبر مبتدأ محذوف، أي: هو عالِمُ الغيبِ، فيكون الكلام مستأنَفًا، وفيه معنى التأكيد.

وتفيد القراءة بالرفع أن الله المنزَّه عن الولد والشريك يتصف بكمال العلم وشموله، فبعد تنزيهه سبحانه عن الولد والشريك استأنف الكلام بوصفه تعالى بالعلم الكامل والشامل بما يُثبت له هذه الصفةَ على الدوام.

﴿ شِقۡوَتُنَا ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] بفتح الشين والقاف وألِفٍ بعدَها (شَقَاوَتُنَا).

الشَّقَاوَة والشِّقوَة مصدران بمعنى واحد، فالشِّقْوة كالفِطْنة، والشَّقَاوة كالسَّعَادة[(٢)].

قال السمين: «الشِّقوَة والشَّقَاوَة والشَّقاء: سوءُ الحظ، وهو ضدُّ السعادة. يُقال منه: شَقِيَ يَشْقَى، فالشِّقْوة كالرِّدَّة، والشَّقَاوَة كالسَّعَادة وزنًا لا معنًى»[(٣)].

قال الرازي: «قال أبو مسلم: الشِّقْوة من الشَّقاء كجرية الماء، والمصدر الجري، وقد

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٧/ ٢٦٢).
(٢) ينظر الدر المصون (٥/ ٢٠٣)، الكتاب الفريد (٤/ ٦٢٢).
(٣) عمدة الحفاظ (٢/ ٢٨٢)، وكذلك المفردات للأصفهاني - مادة (شقا).

يجيء لفظ «فِعْلَة» والمرادُ به الهيئةُ والحال، فيقول: جِلْسَة حَسَنة ورِكْبَة وقِعْدَة، وذلك من الهيئة، وتقول: عاش فلان عيشة طيبة، ومات ميتة كريمة، وهذا هو الحال والهيئة، فعلى هذا المراد من الشِّقْوة حال الشقاء».

وقال ابن عاشور: «و«الشِّقْوة» بكسر الشين وسكون القاف في قراءة الجمهور، وهي زِنة الهيئة من الشقاء. وقرأ حمزة والكسائي وخلَف: «شَقَاوتنا» بفتح الشين، وبألف بعدَ القاف، وهو مصدر على صيغة الفَعَالَة مثل الجَزالَة والسَّذَاجَة».

﴿ سِخْرِيًّا ﴾ [المؤمنون: ١١٠] بضم السين (سُخْرِيًّا)، وكذلك بسورة ص.

الضم والكسر لغتان بمعنى واحد، عُزي الكسر إلى قريش، والضم إلى تميم[١].

وقيل: بالضم الخِدمة والسُّخرة من التسخير، الذي هو التذليل والعبودية، كما كان يفعلُ أميةُ بن خلف ببِلالٍ رضي الله عنه، وبالكسر من الاستهزاء، وهو في القراءتين مصدر، ولذلك وُحِّد، والله تعالى أعلم[٢].

قال المنتجب الهمذاني: «قرئ بضم السين وكسرها، وكلاهما مصدر سَخِرَ كالسُّخْر والسِّخْر، تقول منه: سخِرت منه، وبه أسخر -بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر- سُخرًا وسِخرًا وسِخريًّا وسُخريًّا وسخرية، إذا هزأت به، غيرَ أن ياء النسب زيادة قوة في الفعل، كما قيل: الخصوصية في الخصوص، والدليل على أن المراد بهما الهزء قولُه جلَّ ذِكره: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٠]، والضحك بالسخر والهزء أشبه، وهذا مذهب صاحب الكتاب [يعني سيبويه] وشيخِه الخليل رحمهما الله، وهو أنهما لغتان بمعنى.

وقال غيرهما: إن المكسور من الهزء، والمضموم من الإذلال والتسخير، أي: سخَّرُوهم واستعبدوهم.

---

(١) ينظر اللهجات العربية في التراث (١/ ٢٥٣)، في اللهجات العربية (٨٤).

(٢) ينظر الكشف (٤٨١)، والتفريق بينهما في معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٣).

وقال محمد بن يزيد أيضًا: هما لغتان ككُرْسِي وكرسي، وبُخْتِي وبِخْتِي، وأُسْوَة وإِسْوَة، وإنما تؤخذ التفرقة عن العرب، فأما بالتأويل فلا، هذا معنى كلامه»[١].

﴿أَنَّهُمْ هُمُ﴾ [المؤمنون: ١١١] بكسرِ الهمزة (إِنَّهُم).

على الاستئناف والقَطعِ مما قبلَه، وعليه فيحسن الوقفُ على ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ [المؤمنون: ١١١] والبدء بـ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾.

والفعل «جزى» يتعدى إلى مفعولين، فالمفعول الأول في الآية هو الضمير في «جزيتهم»، والمفعول الثاني على هذه القراءة محذوف، أي: جزيتهم اليومَ بصبرهم الجنةَ، ثم ابتدأ مادِحًا لهم: إنهم هم الفائزون، أي: فازوا بها حيث صبروا.

﴿قَٰلَ كَمْ﴾ [المؤمنون: ١١٢]، ﴿قَٰلَ إِن﴾ [المؤمنون: ١١٤] بضمِّ القاف، وحذفِ الألف، وسكونِ اللام فيهما بصيغَة الأمر (قُلْ).

قيل في المأمور بذلك إنه الملك، أو بعض رؤساء أهلِ النار، والتقدير: قل لهم: كم لبثتم؟، والضمير على قراءة «قال» يعود إلى الله تعالى، أو المأمور بسؤالهم من الملائكة.

قال الزمخشري: «استقصروا مدةَ لبثِهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها؛ لأن الممتحن يستطيل أيامَ محنَتِه ويستقصر ما مرَّ عليه من أيام الدَّعة إليها، أو لأنهم كانوا في سرور، وأيامُ السرور قصار، أو لأن المنقضي في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في تَقالِّهِم لِسِنِي لبثهم في الدنيا، ووبَّخهم على غفلتهم التي كانوا عليها»[٢].

﴿لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] بفتحِ التاء وكسرِ الجيم (تَرْجِعُون).

على البناء للفاعل، من «رَجَعَ» اللازم، أي لا تَرجِعون بأنفسكم، وهو في معنى القراءة الأخرى؛ لأنهم إذا رُجِعُوا رَجَعُوا.

---

(١) الكتاب الفريد (٤/ ٦٢٣).
(٢) الكشاف (٤/ ٢٥٣).

سورة النُّور

﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ﴾ [النور: ٩] برفعِ التاء (وَالخَامِسَةُ).

على الابتداء، والخبر ما بعده من قوله تعالى: ﴿ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ ﴾ [النور: ٩]، وقيل إنها معطوفة على موضع «أن تَشْهَدَ» المرفوع، لأنه فاعل «يَدْرَأ»، والتقدير: ويدرَأُ عنها العذابَ شهادَةُ أربعِ شهادات والشهادةُ الخامسةُ، فهي عطف على موضع الفاعل[1].

﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [النور: ٢٤] قرأ الفِعل بياء التذكير (يَشْهَدُ عَلَيهُمْ).

لأن تأنيث «أَلسِنتهم» مجازي، وللفصل بين الفعل وفاعله، قيل: ولأن الواحد من الألسنة مذكر.

﴿ دُرِّيٌّ ﴾ [النور: ٣٥] بياء مدِّيَّة بعد الراء، فهمزة مرفوعة منونة مع المد المتصل (دُرِّيءٌ).

صِفة لـ «كَوكَب»، على وزن «فُعِّيل»، من الدَّرْء بمعنى الدَّفع، كقوله تعالى: ﴿ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ ﴾ [النور: ٨] أي: يدفعه، والمعنى: كأن ضوءَه يدفعُ بعضُه بعضًا من لمعانه، أو يدفعُ ضَوؤُها الظلامَ والخفاءَ، أو لكونه يدفع الشياطين عن استراق السمع، والكوكب إذا رجم به الشياطين كان في تلك الحالة أكثر ضوءًا.

ووزن «فُعِّيل» في الصفات حكاه سيبويه عن أبي الخطاب، ومن الأسماء: الـمُرِّيق للعُصْفُر، ثم قال: ومما يمكن أن يكون على هذا البناء قولهم: العُلِّيَّة؛ لأنه من علا يعلو، فهو فُعِّيل منه.

وأما قراءة حفص ﴿ دُرِّيٌّ ﴾ فيحتمل أن تكون منسوبة إلى الدُّرِّ، شُبِّه به لصفائه وفرط ضيائه، وأن تكون أصلها الهمز فخُفف كما قيل في «النَّسِيء» و«النَّبِيء»[2].

---

(١) انظر الكتاب الموضح (٢/ ٥٤٨).

(٢) ينظر الكتاب الفريد (٤/ ٦٤٧)، البحر المحيط (٨/ ٤٥).

﴿ يُوقَدُ ﴾ [النور: ٣٥] بتاء التأنيث (تُوقَدُ).

على التأنيث، مضارِع «أُوقِدَتْ» مبني للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على «زُجاجَة» على حدِّ: أوقدت القنديلُ، والفعل للزجاجة في اللفظ، وهو في الحقيقة للمصباح، توقد الزجاجةُ من زيت شجرة، والتقدير: مصباح الزجاجة، فحذف المضافَ وأقام المضافَ إليه مقامَه.

قال ابن زنجلة: «جعلوا الإيقاد للزجاجة لأنه جاء في سياق وصفِها وقرب منها، فجعلوا الخبر عنها لقربها منه وبعده من المصباح. فإن قيل: كيف وصفت الزجاجة بأنها توقد وإنما يكون الاتقاد للنار؟ قيل: لما كان الاتقاد فيها جاز أن يوصف به لارتفاع اللبس عن وهم السامعين وعلمهم بالمراد من الكلام، والعرب قد تسند الأفعال كثيرًا إلى ما لا فعل له في الحقيقة إذا كان الفعل يقع فيه، فيقولون: «ليلٌ نائمٌ» لأن النوم فيه يكونُ، كما قال جل وعز: ﴿كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٍ﴾ [سورة إبراهيم: ١٨] فالعصوف للريح، فجعله من صفة اليوم لكونه فيه وهذا واضح، عند أهل العربية».

ويحتمل أن يراد بالزجاجة القنديل، فأنث على لفظ «الزُّجاجَة» والمراد القنديل، وعكسه: ﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ ﴾ [الأحزاب: ٣١] لأنه ذُكِّر على لفظ «مَنْ» والمراد التأنيث، والله تعالى أعلم[1].

﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ﴾ [النور: ٥٧] بياء الغيبةِ (يَحْسَبَنَّ).

أي لا يَحْسَبَنَّ حاسِبٌ أو أحَد، أو لا يحسبنَّ النبيُّ ﷺ، لتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النور: ٥٦]، و«الذين» مَفعول أوَّل، و«مُعجِزِين» ثانٍ، وبه يُرد على مَنِ استشكَلَها قائلًا بفاعليَّة الموصول ولم يكن في اللفظ إلا مفعولٌ واحد وهو «مُعجزين».

أو يكون «الذين كفروا» في موضع رفعٍ فاعلًا، والمفعولُ الأول محذوفًا، وقوله: «مُعجِزِينَ» مفعولًا ثانيًا، والتقدير: لا يحسَبَن الذين كفروا أنفسَهُم أو إيَّاهم مُعجِزِين في

(١) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٥٥٢)، الكتاب الفريد (٤/ ٦٤٨)، حجة القراءات (٥٠٠، ٥٠١).

الأرض، وجاز حذفُ المفعول الأول لأنه في الأصل مبتدأ، وحذف المبتدأ كثير جائز في كلام القوم.

ومفعولا الفعل القلبي -كحسب- يجوز حذفُهما، أو حذفُ أحدهما إن قام عليه دليلٌ، كما أشار له ابنُ مالك في الخلاصة بقوله:

وَلا تجــز هنــا بِــلَا دَلِيــل سُــقُوط مفعــولين أو مفعــول

ومثال حذفِ المفعولين معًا مع قيام الدليل عليهما قوله تعالى: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص: ٦٢]، أي: تزعمونهم شركائي.

وقيل: «الذين كفروا» فاعل، والمفعولان هما «معجزين» و«في الأرض»، والمعنى: لا يحسبن الذين كفروا أحدًا يُعجِزُ اللهَ في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك. قال السمين: «قيل: هو خطأ؛ لأن الظاهر تعلُّق «في الأرض» بـ«معجزين»»[1].

﴿ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ ﴾ [النور: ٥٨] بالنصب (ثَلاثَ عَوْرَاتٍ).

فيها أوجه:

أحدها: أنها بَدَل من قوله: ﴿ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ﴾ المنصوب على الظرفية الزمانيَّة؛ لأنها ثلاثة أزمنة، فقد فُسِّرَت بالأزمنة في قوله تعالى: ﴿ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ﴾، فأبدل «ثلاث عورات» منها على إضمار الوقت، والتقدير: أوقات ثلاثِ عورات، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مكانَه، والمعنى: يستأذنونكم في ثلاثة أوقات، وهذا أصح في المعنى لأنهم لم يُؤمَروا بالاستئذان ثلاثَ مرَّات، وإنما في ثلاثة أوقات حيث بيَّنها بعد ذلك، وهي الأوقات المذكورة في الآية[2].

ويُحتمَل أنه جُعِل نفسُ ثلاثِ المراتِ نَفْسَ ثلاثِ العورات مُبالغةً، فلا يحتاج إلى حذف مضاف.

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ٢٣٢، ٢٣٣)، الكتاب الفريد (٤/ ٦٦٨، ٦٦٩)، التفسير الكبير (١١/ ٦٢٧).
(٢) ينظر تفسير القرطبي (٦/ ٤٨٤٢).

الثاني: أن «ثلاثَ عورات» بدل من الأوقات المذكورة - يعني قوله: ﴿ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ وما عطف عليه، ويكون بدلًا على المحل فلذلك نُصِب.

وعلى هذين الوجهين -أعني وجهَي البدل- لا يُوقف على ما قبل «ثلاثَ عورات»؛ لأنه بدل منه وتابع له، ولا يوقف على المتبوع دون تابعه.

الثالث: أنه منصوب بإضمار فعل، والتقدير: اتقوا أو احذروا أو أعني ثلاثَ عورات[1].

سورة الفُرقان

﴿ جَنَّةٌ يَأۡكُلُ مِنۡهَا ﴾ [الفرقان: ٨] قرأ الفعل بنون الجمع (نَّأۡكُلُ).

على أن الفاعل هو ضمير المتكلِّمين، أي نأكلُ نحن منها. اقترحوا جنةً يأكلون منها، فيكونون بأكلهم منها أبعدَ من الريب، ويتيقنون أن ثمرَتَها حقيقة لا سحر.

﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ ﴾ [الفرقان: ١٧] بنون العَظَمَة (نَحْشُرُهُم).

على الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدًا مَّسۡـُٔولًا ﴾ إلى التكلُّم، وفيه مُوافَقة لقوله تعالى قبل ذلك: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان: ١١].

قال الدكتور الزهيري: «قراءة «نحشرهم»، «فنقول» بنون العظمة للدلالة على عظيم قدرةِ الله الذي يحشرُ الكفارَ ومَن عَبدوهم من دون الله، وكذا عظيم سخطِه وغضبه على هؤلاء الكفار المشركين، وقراءة الياء «يحشرهم» للدلالة على أن الله وحده هو الذي يحشرُهم دونَ مُعينٍ ولا وزيرٍ ولا مُشيرٍ، فالملائكة التي تقوم بذلك إنما هم منفذون لأمر الله».

﴿ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ ﴾ [الفرقان: ١٩] بياء الغيبة (يَسْتَطِيعُونَ).

قيل في الفاعل وجهان:

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ٢٣٤)، الكتاب الفريد (٤/ ٦٧٠)، منار الهدى (٥٤٣).

الأول: أنه الآلهةُ المعبودون من دون الله، أي: فقد كذبكم مَن عبدتم فما يستطيعون صرفًا للعذاب عنكم، ولا نصرًا لكم، وأُخبِرَ عن الآلهة بضمير العاقل -الواو- في «يستطيعون» لأنها كانت عندهم ممن يعقل ويفهم، ولذلك عبدوها، ويجوز أن تكون الملائكة، أو كانوا يعبدون الآلهةَ ممن يعقِل ومن غيره فغُلِّب ضميرُ العاقل[(١)].

والثاني: أنه المشركون، أي: فما يستطيع هؤلاء الكفار العابِدون للآلهة صرفًا للعذاب، ولا نصرًا لأنفسهم يمنعها من العذاب[(٢)].

واختار أبو علي الفارسي الوجهَ الأول- قال: «وليس بالحسن أن تجعل «يستطيعون» للمتخذين الشركاءَ على الانصراف من الخطاب إلى الغيبة؛ لأن قبله خطابًا وبعده خطابًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ﴾».ا.هـ

وقال الأشموني في الوقف على ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾: «جائز لمن قرأ «يستطيعون» بالياء التحتية للعدول من الخطاب إلى الغيبة، وليس بوقف لمن قرأه بتاء الخطاب، والمراد عبادها، وبها قرأ حفص، والباقون بياء الغيبة، والمراد الآلهة التي كانوا يعبدونها من عاقلٍ وغيره، ولذلك غلب العاقل فجيء بواو الضمير»[(٣)].

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الفرقان: ٥٠] بإسكان الذالِ وضمِّ الكافِ مُخفَّفَةً (لِيَذْكُرُوا).

مُضارِعُ «ذَكَرَ» من الذِّكر ضِد النسيان، أو بمعنى التَّذَكُّر والتدبُّر.

وأما قراءة «ليَذَّكَّروا» فأصلها «يَتَذَكَّرُوا»، فأدغِمت التاء في الذال، من التذكر والتفكر والاتعاظ.

جاء في كتاب تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر: «أفادت قراءةُ التخفيف «لِيَذْكُرُوا» أن الله صرف الماء بينهم ليذكُرَ مَن أصابهم المطرُ نعمةَ الله فيشكروه، ويذكر

---

(١) ينظر الكشف (٤٩٢)، الكتاب الفريد (٥/ ١٤، ١٥)، الدر المصون (٥/ ٢٤٨).

(٢) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ١٤)، تفسير القرطبي (٦/ ٤٨٧٤).

(٣) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (٥٤٧).

المحرومون منه ما حلَّ بهم من بلاء فيستغفروه.

أما قراءة التشديد «لِيَذَّكَّروا» فتفيد الدعوةَ إلى أخذ العبرة والعظة من هذا التصريف بعدَ حدوث الذكر الذي هو ضدُّ النسيان.

وقد ذهب كثيرٌ من العلماء إلى أن الذِّكْر والتذكُّرَ بمعنى واحد، أو بمعنى قريب، إلا أن التَّذَكُّر فيه مبالغة ...

قال أبو علي الفارسي: «وقول حمزة «يَذْكُر» في معنى يتذكر ... وهما بمعنًى إلا أن التَّفَعُّل في التذكر والنظر أكثرُ».

أما القرطبي فقد قال: «وقرأ حمزة والكسائي «لِيَذْكُرُوا» مخففة الذال من الذكر، والباقون مُثقَّلًا من التذكر، أي ليذكروا نعمَ الله ويعلموا أن من أنعم بها لا يجوزُ الإشراكُ به، فالتذكر قريب من الذِّكْر غيرَ أن التذكر يُطلق فيما بَعُدَ عن القلبِ فيحتاج إلى تكلف في الذكر».

وبالجمع بين القراءتين نجد أن الآيةَ أمرت بالذكر والتذكر، ولا شك أن التذكر –وهو الاعتبار والاتعاظ– لا يكونُ إلا بعد الذِكْر، وفيه تكلُّف وبذلُ جهد، وأن الذكر بدون تذكر لا قيمةَ له. كما أنَّ قراءةَ التشديد تفيد تكرار التذكر مرة بعد مرة؛ لأن التذكر يكون فيما بَعُدَ عن القلب، وكذلك تفيد المبالغة في ضرورة الانتباه من الغفلة»[1].

﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠] بياءِ الغيبة (يَأْمُرُنَا).

على الإخبار عن النبي محمد ﷺ على وجه الإنكار منهم أن يسجدوا لما يأمرهم به النبيُّ ﷺ.

أو قالوا: أنسجد لما يأمرنا المسمَّى بالرحمن ولا نعرف ما هو؟ على أنهم قالوا: «وما الرحمن؟».

وقيل: إنه كان يُطلَق على مُسَيلمةَ الكذاب رحمان اليمامة، فلما قيل لهم ﴿ٱسْجُدُواْ

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (مجلد ٨، الجزء الثامن/ ٨٧، ٨٨) بتصرف يسير جدًّا.

لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] قالوا حينئذ: «أنسجد لما يأمرنا رَحمانُ اليمامة؟»، تكبُّرًا منهم واستهزاءً، فأنزَلَ سبحانه من قبلهم هذه الآية[1].

والقراءة بالياء تفيد أن المشركين خاطَبَ بعضُهم بعضًا بذلك، وأما القراءة بالتاء فبخطابهم للرسول ﷺ وردهم عليه بعد ما أمرهم بالسجود لله جل وعلا.

﴿سِرَٰجًا﴾ [الفرقان: ٦١] بضمِّ السِّينِ والراءِ وحذفِ الألِف (سُرُجًا).

على الجمع ككُتُب وكِتاب وحُمُر وحِمَار، وجُمِعَ باعتبار الكواكب والشمس والنجوم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

وذكر القمر بعدَها تشريفًا له، كقولِهِ تعالى ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] بعد ذكر الملائكة، وكقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [سورة الرحمن: ٦٨]. فأعاد ذكر القمر مع كونه داخلًا في السُّرُج لفضله عليها، وذلك أن للقمر عند عرب الجزيرة وأهل مكة منزلةً خاصة ربما تفوق عندهم منزلةَ الشمس التي طالما يكتوون بوهجها المحرِق، وهم يعيشون في صحراء ممتدة تقل فيها منابعُ الماء والكلأ، فكان مِن مَنِّ الرحمن عليهم أن جعل لهم نورًا لطيفًا يهتدون به في حِلِّهم وترحالهم، وقدَّره منازلَ ليعلموا مواقيتَ مَنسكِهم وعددَ سنيهم على طريقتهم المعهودة في حساب الشهور القمرية، فهو لذلك من آلاء الرحمن الحقيقة بإفراد الذكر لمكان فضله عليهم وأهميته في حياتهم.

وقيل: المراد بالسُّرُج النجوم دون الشمس، وهي المصابيح المذكورة في الآية الأخرى، فكأنه سبحانه أشار إلى ما يظهر في السماء ليلًا وهو القمر والنجوم، والقراءة بالإفراد «سِرَاجًا» تحتمل ذلك على إرادة الجنس كما في نظائره، أو أراد به الشمس فيكون مجموع القراءتين قد أفاد مجموعَ النجوم والقمرين -الشمس والقمر-.

وقيل: بل المرادُ الشمس، وإنما جُمِع لجعل شمسٍ كلِّ يومٍ سراجًا له، فالجمع باعتبار

(١) ينظر حجة القراءات لابن زنجلة (٥١١، ٥١٢)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٠).

الأيام والمطالع، وعلى هذا القول تتحد القراءتان، والله تعالى أعلم[(١)].

﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢] بإسكانِ الذال وضمِّ الكافِ مُخفَّفة (يَذْكُرَ).

مضارع «ذَكَر» من الذِّكْر، وهو ضد النسيان.

وقراءة حفص بالتشديد «يَذَّكَّر» أصلها «يتذَكَّر» فأدغمت التاء في الذال، مضارع «تذَكَّرَ» من التذَكُّر.

ذكر الفرَّاء أن يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد. يقال: ذكرت حاجتك وتذكرتها.

وقال مكي في قراءة حمزة «يَذْكُر» إنها على معنى الذكر لله، وفي القراءة بالتشديد إنها على معنى التذكر والتدبر والاعتبار مرة بعد مرة.

ونُقِل عن عمر بن الخطاب وابنِ عباس وقتادة رضي الله عنهم: المؤمنُ قد ينسى بالنهار ويذكر بالليل، وينسى بالليل ويذكر بالنهار. وعن الحسن: جعل أحدهما خلفًا عن الآخر، فإن فاتَ رجُلًا شيءٌ في النهار أدركه في الليل، وإن فاته شيءٌ في الليل أدركه في النهار[(٢)].

﴿وَذُرِّيَّـٰتِنَا﴾ [الفرقان: ٧٤] بحذفِ الألف (وَذُرِّيَّتِنَا).

بالإفراد على إرادة الجِنس، فهو بمعنى الجمع وإن كان لفظها مفردًا. قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران: ٣٤] بعدَ ذكر الأنبياء عليهم السلام، فاستُغنِي عن جمعِها لأنها جمعٌ، وقال تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا﴾ [النساء: ٩]، ولكل واحدٍ ذريةٌ، وقد تقع الذرية للواحد بدلالة قوله تعالى عن دعاء زكريا عليه السلام: ﴿هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، وإنما سأل ولدًا بدلالة قوله: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥]، وقوله: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ [آل عمران: ٤٠].

---

(١) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٣٢)، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (٣٢٦، ٣٢٧)، إبراز المعاني (٦١٨، ٦١٩).

(٢) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٣٣)، الكشف (٤٩٤)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧١).

وقال ابن عاشور: «ويستفاد معنى الجمع من الإضافة إلى ضمير «الذين يقولون»، أي: ذريةِ كلِّ واحد»[(١)].

﴿ وَيُلَقَّوْنَ ﴾ [الفرقان: ٧٥] بفتحِ الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف (وَيَلْقَوْنَ).

على البناء للفاعل، وهو يتعَدى لمفعُولٍ واحِد وهو «تَحِيَّة»، كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وقوله: ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨]، من لقي الشيءَ يلقاه إذا استقبله وصادفه، أي: يستقبلون ويُصادفون فيها تحيةً وسلامًا، وببناء الفعل للفاعل جعل الفعل لهم، فهم الذين يلقَوْنَ التحيةَ والسلامَ.

أما قراءة حفص ﴿ وَيُلَقَّوْنَ ﴾ فعلى البناء للمفعول، من لَقَّيْتُ فلانًا الشيءَ، إذا قابلته به، والمعنى: وتتلقاهم الملائكةُ فيها بالتحية والسلام، و«تَحِيَّة» مفعول ثان، وذلك أن «لَقِيَ» فِعلٌ يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا نقل بتضعيف العين يتعدَّى إلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان: ١١].

وبالجمع بين القراءتين يتبين أن أهل الجنة يُلَقِّيهم اللهُ أو ملائكتُه التحيةَ والسلامَ إذا دخلوا الجنةَ، وهم يَلْقَوْنَهَا، وفي ذلك مُبالَغة في احترامهم وتكريمهم من الله عز وجل، نسأل الله تعالى من فضله[(٢)].

سورة الشعراء

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] قرأ بتشديد الزاي، ونَصبِ لفظي «الرُّوح» و«الأَمِين» بالفتحة (نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الأَمِينَ).

الفعل مُتعدٍّ مزيد بالتضعيف، وفاعله ضمير يعود على الله تعالى، و«الروح» مفعول، و«الأَمين» صفته، وفيه مناسَبة لقوله تعالى قبله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢] فإن «تَنزِيل» مصدرُ «نَزَّلَ» بالتشديد.

(١) ينظر تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٨/ ٩٨)، الكشف (٤٩٥)، التحرير والتنوير (١٩/ ٨٣).
(٢) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٣٩، ٤٠)، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٨/ ١٠٠).

والرُّوح هو جبريل عليه السلام، فجبريل لم ينزل بالقرآن حتى نزَّله اللهُ به، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧].

قال الدكتور الزهيري جامعًا بين القراءتين: «والقراءتان متكاملتان، فقراءة «نزَّل» تفيد أن جبريل لا ينزِل إلا بأمر الله وإذنه، لا من تِلقاء نفسِه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، ولكن قد يُظَنُّ أن جبريلَ عليه السلام إنما ينزل مُكرَهًا أو كارهًا فأفادَت قراءةُ «نَزَل» بالتخفيف على أنه ينزل مُحِبًّا مُشتاقًا سعيدًا برؤية رسولنا ﷺ وتبليغه وحيَ الله وأمره».

سورة النَّمل

﴿ فَمَكَثَ ﴾ [النمل: ٢٢] بضمِّ الكاف (فَمَكُثَ).

فتح الكاف وضمها لغتان فيه، فهما بمعنًى.

وقد اجتُهِدَ في توجيه القراءة بالضم والفتح باعتبار ثِقَلِ الضمة وخِفَّة الفتحة -ولا أقطع بصحة ذلك الاجتهاد، فهو من باب الاستئناس، والله تعالى أعلم-، يقول الدكتور الزهيري: «هما لغتان، ومعناهما واحد، وقد يُقال -والله أعلم- قراءةُ «فمَكُثَ» بضم الكاف تدل على شدة أمر الإقامة على هذا الهدهد، فلعلَّ ظروفَ بيئةِ سبأ لم تكن ملائمةً له، فحركةُ الضم أقوى الحركات عندَ العرب كما ذكرنا غيرَ مرة، وقراءةُ «فمَكَثَ» بالفتح تدل على سهولة ويُسر هذا المكث لكونه في سبيل الله، فإن حركةَ الفتح أضعفُ الحركات»[(١)].

وتقول الباحثة هدى رشيد: «وبالجمع بين القراءتين تبين أن قراءة الضم أشارت إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام، حيث يرى البقاعي أن «مكُث» بالضم فيها «إشارة إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام ليوافق إفهام حركة الكلمة ما أفهَمَهُ

(١) الدرر الباهرة (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

تركيب الكلام». على اعتبار أن الضمة أقوى الحركات ، فهي تفيد الشدةَ والقوَّة، والله أعلم»[(١)].

﴿ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: ٢٥] بياء الغيبة في الفِعلَين (يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ).

جريًا على نَسق الآية من كلام الهدهد. قال القرطبي: «وهذه القراءة تعطي أن الآية من كلام الهدهد، وأن الله تعالى خصَّه من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له، وإنكار سجودِهم للشمس، وإضافته للشيطان، وتزيينه لهم ما خص به غيره من الطيور وسائر الحيوانات من المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقولُ الراجِحةُ تهتدي لها».

ثم قال عن القراءة بالتاء: «وهذه القراءة تعطي أن الآية من خطاب الله عز وجل لأمة محمد ﷺ».

قلت: وتعداد هذه المعاني في الآية الواحدة باختلاف قراءاتها من جماليات القراءات، فلا مانعَ أن يكون اللهُ عز وجل قال ذلك والهدهدُ أيضًا قاله، وعُبِّر عن ذلك بآيةٍ واحدة، **فالقراءة إلى القراءة كالآية إلى الآية ما لم تكن لُغةً.**

﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ﴾ [النمل: ٤٩] قرأ بتاء الخطاب المضمومة، وضمِّ التاء الثانية التي هي لامُ الكلمة (لَتُبَيِّتُنَّهُ)، و﴿ لَنَقُولَنَّ ﴾ [النمل: ٤٩] بتاء الخطاب وضم اللامِ الثانية (لَتَقُولُنَّ).

على إسناد الخطاب من بعض الحاضرين إلى بعض.

وقوله تعالى: ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ يحتمل أن يكون فعلًا مستقبلًا وهو أمر، أي: قال بعضُهم لبعض: احلفوا، ويجوز أن يكون ماضيًا في معنى الحال، والمعنى: قالوا مُتقاسِمين بالله.

فإن جعلنا ﴿ تَقَاسَمُواْ ﴾ فِعلَ أمر فالخطابُ في (لَتُبَيِّتُنَّهُ) و(لَتَقُولُنَّ) واضح، رُجوعًا بآخر الكلام إلى أوله، وإن جعلناه ماضيًا فالخطاب على حكاية خطابِ بعضِهم

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٨/ ١٤٢).

لبعض بذلك.

﴿ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩] بتاء الخِطاب (تُشْرِكُونَ).

على الخِطاب للمشركين.

قالت الباحثة هدى رشيد: «قراءة الغيب ﴿ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فيها توبيخ وتبكيت للكفار على شركهم حيث تفيد إعراضَ الله تعالى عن خطابه لهم، وقراءةُ «أما تشركون» بالخطاب فيها مواجهة لهم، وفي ذلك ما فيه من تقريع مع تهديد ووعيد، والله أعلم»[(١)].

﴿ بِهَٰدِى ٱلْعُمْيِ ﴾ [النمل: ٨١] بتاء مفتوحَة مكان الباء، وسكون الهاء بلا ألِف، ونصبِ «العُمي» بالفتحة (تَهْدِي العُمْيَ)، وكذلك في ﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ﴾ [الروم: ٥٣]، وهي مِمَّا انفرَدَ به حمزةُ.

على أنه فعل مضارِع لـ «هَدَى»، و«العُمْي» مفعول بِه، وفيه مناسبة لقوله تعالى قبله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ [النمل: ٨٠]، وهما فعلان كذلك.

قال الدكتور الزهيري: «قرئ «تهدي» و«العُميَ» على أنه مفعول به، وقرئ «بهادي» و«العُمي» على أنه مضاف، والقراءتان متكاملتان، فاسم الفاعل «بهادي» يدل على تمكن الفاعل من الفعل، وقوةِ اتصافه بأدائه، وصيغة الفعل تدل على حصول الفعل، والمضارعة تدل على الاستمرار، فالآية بقراءتيها تنفي عن رسول الله ﷺ أن يكون متمكنًا أو قادرًا على هداية مَن طبع اللهُ على قلبه، كما تفيده قراءة «بهادي»، وتنفي عنه كذلك أن يكون هاديًا لأحد هؤلاء -ولو لمرة- وتدل على ذلك قراءة «تهدي»».

﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣] بياء الغيب (يَعْمَلُونَ).

فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة.

قال ابن عاشور: «﴿تَعْمَلُونَ﴾ بتاء الخطاب فيكون ذلك من تمام ما أُمِر الرسولُ عليه الصلاة والسلام بأن يقوله للمشركين، وفيه زيادة إنذار بأن أعمالهم تستوجبُ ما

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (٨/ ١٥٥).

سيرونه من الآيات. والمراد: ما يعملونه في جانب تلقي دعوة رسوله محمد ﷺ وقرآنه؛ لأن نفي الغفلة عن الله مستعمل في التعريض بأنه منهم بالمرصاد لا يُغادِرُ لهم من عملهم شيئًا.

وقرأ الباقون ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بياء الغيبة، فهو عطف على «قل»، والمقصود تسليةُ الرسول عليه السلام بعد ما أُمِر به من القول بأن الله أحصى أعمالهم وأنه مجازيهم عنها، فلا ييأس من نصر الله.

وقد جاءت خاتمةً جامعة بالغة أقصى حدٍّ من بلاغة حُسْن الختام»[1].

سورة القَصص

﴿ وَنُرِيَ﴾ [القصص: ٦] بياءٍ وراء مفتوحَتَين، فألِفٍ مُمَالَة على أصله، وقرأ ﴿فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ [القصص: ٦] بالرفع في الأسماء الثلاثة: (وَيَرَى فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا).

«يَرى» مضارِع «رأى» الثلاثي، و«فِرعون» فاعل، و«هَامان وجنودُهما» معطوفان عليه.

قال ابن زنجلة: «ومن قرأ «يرى» بالياء، «فِرعونُ وهَامانُ وجنودُهما» فالمعنى: هم يُعاينون، والفعلُ لهم، وحجتهم أن المعنيين يتداخلان؛ لأن فرعون ومن ذكر معه إذا أراهم الله من المستضعفين ما كانوا يحذرون رَأَوْا ذلك، وإذا رَأَوْه فلا شك أن الله عز وجل أراهُمُوه».

وقال الدكتور الزهيري: «قراءة النون «نُرِي» للدلالة على عظيم قدر الله وعظيم كبريائه وجبروته، وعظيم عزته وحكمته، فتسليطُه للكفار على المؤمنين لحكم ومصالح وليس عجزًا منه –سبحانه– عن نصر المؤمنين، كما [أن] فيه دلالة على عظيم لُطف الله

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٥٩).

في تقديره لهلاك فرعون وقومه على يد مَن يقومون هم بتربيته رغم حذرهم من ذلك، وقراءة الياء للدلالة على أن ما أراده الله قد كان، فقد رأى فرعونُ وهامانُ وجنودُهما ما كانوا يحذرون من الهلاك وزوال الملك والمملكة».

﴿ وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] بضمِّ الحاء وإسكان الزَّاي (وَحُزْنًا).

مِن «حَزِنَ يَحْزُن»، والحَزَنُ والحُزْنُ لُغتان كالعَرَبِ والعُرْب والبَخَلِ والبُخْل والعَدَمِ والعُدْم والسَّقَم والسُّقم. قال الفراء: «وكأن الحُزْن الاسم والغمّ وما أشبهه، وكأن الحَزَن مصدر، وهما بمنزلة العُدْم والعَدَم».

﴿ جَذْوَةٍ ﴾ [القصص: ٢٩] بضم الجيم (جُذْوَةٍ).

قُرئت بفتح الجيم وكسرها وضمها، فهي مُثلَّثة الجيم، وكلها لغات فيه.

قيل: هي العُود الذي في رأسه نار، هذا هو المشهور، وقيده بعضُهم فقال: في رأسه نارٌ من غير لهب، وقيل: الجذوة العودُ الغليظ سواء في رأسه نار أم لم يكن. قال السمين: «وليس المرادُ هنا إلا ما في رأسه نار»[(١)].

﴿ ٱلرَّهْبِ ﴾[القصص: ٣٢] بضم الراء (الرُّهْبِ).

قرئ بضم الراء وسكون الهاء (الرُّهْب)، وبفتح الراء وسكون الهاء (الرَّهْب)، وبفتحهما (الرَّهَب)، وهي لغات بمعنًى، وهو الخوف، نُسب الفتح إلى أهل الحجاز، والضمُّ إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد[(٢)]. وقيل: هو بفتحتين الكُمُّ بلغة حِمْيَر وحنيفة. قال الزمخشري: وهو من بدع التفاسير[(٣)].

﴿ لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٣٩] بفتح الياء وكسرِ الجيم (يَرْجِعُونَ).

على البناء للفاعل، فأسندَ الفِعل إليهم لأنهم إذا رُجِعوا رَجَعوا.

---

(١) الدر المصون (٥/ ٣٤٠).

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٠: ١٢٢).

(٣) الدر المصون (٥/ ٣٤١)، وينظر الكتاب الفريد (٥/ ١٣٣)، الكتاب الموضح (٢/ ٥٩٦).

﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾[القصص: ٨٢] بضم الخاء وكسر السين (لَخُسِفَ).

على البناء للمفعول، و«بنا» نائب الفاعل.

قال الدكتور الزهيري: «قرئ «لخَسَف بِنا» بفتح الخاء والسين لتعيين الفاعل لذلك وهو الله عز وجل، فلا يكون شيءٌ في الكون إلا بإذنه ومشيئته وخلقه وإيجاده، وقرئ «لخُسِف بنا» بضم الخاء وكسر السين على البناء للمفعول للدلالة على الغضب العام والسخط الذي لحقهـ(ـم)[1]، فالكون كله قد رضي عن الخسف بهـ(ـم)، غضبًا عليهـ(ـم)، ويحتمل أن تكون فائدة ذلك كذلك الدلالة على أن الملائكة -بأمر الله- خسفت الأرض بهـ(ـم)، أو الأرض -بأمر الله- ابتلعتهـ(ـم)، أو الملائكة -بأمر الله- هيأت الأرض لابتلاعهـ(ـم) فابتلعتهـ(ـم)، فناسب ذلك المجيء بالبناء على ما لم يُسَمَّ فاعله»[2].

سورة العنكبوت

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ﴾ [العنكبوت: ١٩] بتاء الخطاب (تَرَوْا).

قال مكي -رحمه الله-: «وحجة من قرأ بالتاء أنه أجراه على مخاطبة إبراهيمَ لقومه، لتقدم خطابه لهم في قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، وكذلك ما بعده، فجرى «أولم تروا» على الخطاب لأنه في سياق خطاب مكرر، ويجوز عند أبي طاهر أن يكون خطابًا للنبي على التنبيه على قدرة الله بدلالة قوله بعد ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، ومنع ذلك غيرُه، وقال: هو خطاب للمشركين، والمعنى: قل لهم يا محمد: أولم تَروا كيف يُبدئ الله الخلق. قال: ولا يحسن أن يكون خطابًا للمؤمنين؛ لأنهم لم يكونوا في شك من البعث

---

(١) ما بين الأقواس موجود في النص، ولا أرى وجهًا لوجود ضمير الجمع، فإنهم لم يُخسف بهم، وقد أدركوا منةَ الله عليهم بعد أن خَسَفَ بقارون وكانوا قد تمنوا أن يكونوا مثلَه.

(٢) الدرر الباهرة (٢/ ١٩٧، ١٩٨)، بتصرف يسير.

فيُنبَّهوا عليه؛ لأنه قد استقر ذلك في نفوسهم وآمنوا به، وإنما ينبه عليه مَن يَجحده، ويُقوِّي التاءَ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، والأمر خطاب، وهو للكفار.

وحجة من قرأ بالياء أنه رده على لفظ الغيبة التي قبله في قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ﴾، فالمعنى: أولم ير الذين اقتصصنا عليهم قصص الأمم السالفة كيف يُبدئ الله الخلقَ، ويمكن أن يكون التقدير: أولم ير مَن مضى من سالِف الأمم كيف يُبدئ الله الخلقَ»[1]. وفي القراءة بالياء توبيخ لهم.

﴿لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾ [العنكبوت: ٢٨] بزيادَة همزة مفتوحة للاستفهام (أَئِنَّكُم).

على الاستفهام الإنكاري للتوبيخ والتقريع.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ [العنكبوت: ٣٢] بإسكانِ النون الثانية مُخفاة، وتخفيفِ الجيم (لَنُنجِيَنَّهُ)، و﴿مُنَجُّوكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] بإسكان النون، وتخفيف الجيم (مُنجُوكَ).

مِن «أَنجَى يُنجِي». قال مكي عن القراءتين: هما لغتان قد جاءتا في القرآن بإجماع، وفي التشديد معنى التكرير.

وباعتبار ثِقَل التشديد وخِفَّة التسكين يقول الدكتور الزهيري: «ووجه القراءة بالتشديد -والله أعلم- بيانُ عظيمِ هولِ العذاب الذي نجَّى الله لوطًا ومؤمني أهلِه منه، كما يفيد عظيمَ المنة عليهم في إنجائهم، وذلك لما يُفيده التشديد -تشديد الجيم- من التثقيل، والقراءة بالتخفيف تفيد أن ذلك الإنجاءَ في قدرة الله يسير، فالله على كل شيء قدير، وذلك لما يفيده التخفيف -تخفيف الجيم- من الخِفَّة»[2].

﴿مَا يَدْعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٢] بتاء الخِطاب (تَدْعُونَ).

على الخطاب للمشركين، وفيه التِفاتٌ من الغيبة إلى الخِطاب، وحَسُنَ ذلك لأن في الكلام معنى التهديد والوعيد والتوبيخ لهم، وفيه أيضًا وعظٌ وزجر لهم.

---

(١) الكشف (٥١٨، ٥١٩).

(٢) الدرر الباهرة (٢/ ٢٠٤)، بتصرف يسير.

﴿ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[العنكبوت: ٥٠] بحذف الألف الثانية، بالتوحيد.

على أن يكونَ المقترَح آيةً واحدة، أو يكون المرادُ به الجمعَ على إرادة الجنس كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، واللهُ تعالى أعلم.

قال الدكتور الزهيري: «قال ابن عاشور: قرئ «آيات» و«آية» بالإفراد والجمع، وهما في هذا سواء؛ لأن القصد إلى الجنس، فالآية الواحدة كافيةٌ في التصديق.

قلتُ: ويحتمل أن يقال: لعلَّ بعضَهم طلب آيةً، وبعضَهم طلب آياتٍ، أو لعلهم كانوا أحيانًا يطلبون آيةً وأحيانًا أخرى يطلبون آيات»[(١)].

﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ [العنكبوت: ٥٨] بثاء مُثلَّثَة ساكِنَة مكان الباء، وتخفيفِ الواو، بعدَها ياء مفتوحَة مكان الهمزة (لَنُثْوِيَنَّهُم).

من الثَّوَاء وهو الإقامة، وقيده بعضُهم فقال: هو من الإقامة مع الاستقرار، يقال: ثَوَى: أقام، وأَثْوَيْته: أنزَلته بموضع الإقامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: ٤٥] أي: مُقيمًا، وقوله: ﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠] أي: مكانَ ثواءٍ، أو: ثواءً على المصدر، وقوله: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١] أي: مُقامه عندنا.

قال المنتجب الهمذاني: «وقرئ «لنثوينهم» على معنى لنعطينهم جنةً يثوون فيها، أي: يُقيمون، و«ثوى»: فعل يتعدَّى بحرف جر، بشهادة قول حسَّان رضي الله عنه:

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةٍ

كأنه قال: أقام فيهم ونزل فيهم، فإذا نُقِل بالهمزة يتعدى إلى مفعولين، الثاني فيهما بحرف جر، أي: لنثوينهم من الجنة في غُرَف، فحذف الجار، كقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي: منهم، وقول الشاعر: أَمَرْتك الخَيْـرَ. أي: به».

---

(١) الدرر الباهرة (٢/ ٢٠٧)، وينظر الكتاب الموضح (٢/ ٦٠٥).

وأما ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ فمن التبوُّء، وهو الإقامة أيضًا، وقيل: هو الإنزال، وبوَّأت فلانًا منزلًا: جعلت له مسكنًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحشر: ٩] أي: نزلوها، فالفعل «بَوَّأ» يتعدى إلى مفعولين[1].

﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ [العنكبوت: ٦٦] بإسكانِ اللام (وَلْيَتَمَتَّعُوا).

على أنها للأمر، والأمر ها هنا للتهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقوله لإبليس: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ [الإسراء: ٦٤].

واللام في «لِيَكْفروا» يحتمل فيها أن تكون أيضًا للأمر كما قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فيكون عَطَفَ أمرًا على مثله، أو أنها للعلَّة فيكون قد عطفَ كلامًا على كلام، وذلك كقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ﴾ [النحل: ٥٥][2].

سورة الرُّوم

﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢] بفتح اللام قبل الميم (لِلْعَالَـمِين).

جمعُ «عَالَم»؛ لأن هذه الآيات لا تكاد تخفَى على أحد.

قال ابن أبي مريم في قراءة حفص ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ بكسر اللام: «والوجه أنه جمع «عَالِـم» بكسر اللام، وإنما خصهم بالذكر وإن كانت الآياتُ للعالِـم والجاهل جميعًا لأن العالِمَ هو الذي يتدبر، ويستدلُّ فهو المنتفعُ بها دونَ الجاهل، فكأنها ليست للجاهل لإعراضه عنها وتركه الاستدلالَ بها».

وقال في القراءة الأخرى: ««للعالَـمين» بفتح اللام، وهم جميع الخلق، فالآيات

---

(١) ينظر عمدة الحفاظ (١/ ٢٩٥، ٢٩٦)، المفردات (مادة ثوى)، الكتاب الفريد (٥/ ١٧٥، ١٧٦)، الكشف (٥٢٢)، الكتاب الموضح (٢/ ٦٠٧).

(٢) وفي اللام في آية النحل وجهان آخران: أنها للصيرورة، أي صار أمرُهم إلى ذلك، وقيل إنها للأمر أيضًا. ينظر الدر المصون ٤/ ٣٣٦

عامة لجميع الإنس والجن؛ لأنها موضع استدلال واعتبار، وإن ذهل عنها ذاهلٌ، وتركَ الاستدلالَ بها جاهل، فالآيات لا تخرج عن كونها مما يُستدَل به».

وقال الدكتور الزهيري: «قرئ بفتح اللام وكسرها، وهما قراءتان متواترتان متكاملتان، وقد استشهد بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] لقراءة كسر اللام، وإن قصد صِحتَها فهذا ثابت لا يحتاجُ إلى استدلال، إذ هي قراءةٌ متواترة، وإن قصد ترجيحَها على الأخرى ففي ذلك نظرٌ؛ لأن آيةَ العنكبوت واردةٌ في الأمثال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾، وآية الروم هذه واردةٌ في آيات ودلائل ربوبية الله، وليس فهمُ أو تبيُّنُ هذه الآيات قاصِرًا على العالِـمين، بل وضوحُها ودلائلُها على ربوبية الله ظاهرٌ لكل مخلوق «للعالَـمين»، وأما قراءةُ كسر اللام فتفيد أن أعظمَ الناس انتفاعًا بهذه الآيات هم العلماء إذا قلنا المقصود من قوله: «العالِـمين» -بكسر اللام- العلماء، وإذا قلنا المقصود كل مَن علم بربوبية الله وإلهيته وآمن بذلك فالمعنى المراد: وما ينتفع بهذه الآيات إلا مَن آمن بالله»[(١)].

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] بتاءِ الخِطاب (تُشْرِكُون).

جريًا على نَسق الآية في الخطاب.

قال الدكتور الزهيري: «قراءة «يشركون» بالياء إعراضٌ عن خطاب المشركين لشركهم وكفرهم، فهم لا يستحقون مخاطبةَ الله لهم، وخطابُهم كما في قراءة التاء «تشركون» إنما هو خطاب غضب وسخط، وليسَ خطابَ رحمة ورضًا».

سورة لُقمان

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [لقمان: ٣] برفع التاء (هُدًى وَرَحْمَةٌ)، وقد انفرد به حمزة.

عطفًا على «هُدًى» المرفوع، و«هُدًى» على هذا خبر ثان لاسم الإشارة «تِلكَ»،

(١) الدرر الباهرة (٢/ ٢١٤، ٢١٥)، وينظر الكتاب الموضح (٢/ ٦١٠، ٦١١).

و«آيات» خبره الأول، فـ«هُدًى» خبر بعد خبر، أو يكون «هُدًى» خبرًا لمبتدأ محذوف لكونها أولَ الآية، والتقدير: هو هدًى، إشارة إلى الكتاب، أو هي هدًى، إشارة إلى آياته.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾ [لقمان: ١٨] بألِفٍ بعدَ الصَّاد، وتخفيف العين (وَلا تُصَاعِرْ).

صاعَر وصَعَّرَ لغتان كباعَدَ وبعَّدَ وضاعَفَ وضَعَّف، «صاعَرَ» لغة الحجاز، و«صعَّرَ» لغة تميم، وهو من المَيل. ولا تُصاعِرْ خَدَّك أي: لا تُمِلْ بوجهِك ولا تُعرِضْ تكبُّرًا، وذلك أن المتكبِّر يميل بخدِّه تكبرًا، كما قال تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ [الحج: ٩]، وأصله من الصَّعَر، وهو داء يُصيب الإبلَ في أعناقها فتميل وتلتوي، فشُبِّه به الرجلُ المتكبرُ على الناس[١].

﴿ نِعَمَهُۥ ﴾ [لقمان: ٢٠] بسكونِ العين، وتاء للتأنيث مُنوَّنة مَنصوبة بدل الهاء (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً).

اسم جنس يراد به الجمع، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي: نِعَمه، قال ابن خالويه ومكي: أو يراد به الوحدة لأنها في تفسير ابنِ عبَّاس -رضي الله عنهما- الإسلامُ، وهي نعمة جامعة لكل النعم، وما سِواها يصغر في جنبها.

وقال الزجاج: «مَن قرأ «نعمة» فعلى معنى ما أعطاهم من توحيده عز وجل».ا.هـ

و«ظَاهِرة» على هذه القراءة نعتٌ لـ«نعمة»، وهي حال على قراءة الجمع «نعمَه»[٢].

﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ [لقمان: ٣٤] بإسكان النون وتخفيف الزاي (وَيُنزِلُ).

من «أَنْزلَ يُنْزِلُ».

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ٣٨٨)، الكتاب الموضح (٢/ ٦١٨)، الكشف (٥٢٨)، الكتاب الفريد (٥/ ٢١٥).

(٢) ينظر الكشف (٥٢٩)، الحجة لابن خالويه (٢٨٦)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٩٩)، الكتاب الفريد (٥/ ٢١٦).

سورة السجدة

﴿أُخۡفِيَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] بإسكان الياء (أُخْفِي).

مضارع «أخفيتُ أُخفي»، مُسنَد لضمير المتكلم، مرفوع بضمة مقدرة، أي: فلا تعلم نفس ما أخفي أنا لهم من قرة أعين، وهو متناسق مع قوله تعالى قبله: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، وفيه إشارة إلى عظيم ما أعده الله وأخفاه لعباده المؤمنين، فكيف بجزاءٍ أعَدَّه الله بنفسه؟، وفي إخفاء الله عز وجل جزاءَه للمؤمنين وإخباره عن ذلك ما فيه من التشويق، فاللهم إنا نسألك من فضلك، ونسألك الشوقَ إلى لقائك في غير ضراء مُضِرَّة، ولا فتنة مُضِلَّة.

﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ [السجدة: ٢٤] بكسر اللام، وتخفيف الميم (لِمَا).

على أن اللام جارَّة مُعلِّلة، متعلقة بـ «جَعَلنا»، و«ما» مصدرية، أي: جعلناهم أئمة هادين لِصبرهم.

قال ابن عاشور -بتصرف يسير-: «قرئ «لَـمَّا» بتشديد الميم، وهي «لَـمَّا» التي هي حرفُ وجودٍ لوجود، وتسمى التوقيتية، أي: جعلناهم أئمة حينَ صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون، وقرئ «لِـمَا» بتخفيف الميم على أنها مركبة من لام التعليل و«ما» المصدرية، أي: جعلناهم أئمةً لأجل صبرهم وإيقانهم».

وقال الفرَّاء: «وموضع «ما» خفضٌ إذا كسرت اللام، وإذا فتحت وشددت فلا موضع لها، إنما هي أداة»[1].

سورة الأحزاب

﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ [الأحزاب: ٤] بفتح التاء والهاء، مع تخفيف الظاء كما هِي (تَظَاهَرُون)،

---

(١) ينظر الإتحاف (٤٥٠)، التحرير والتنوير (٢١/ ٢٣٧، ٢٣٨)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٢).

وقرأ ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ [المجادلة: ٢، ٣] بفتح الياء، وتشديد الظاء، وفتحِ الهاء (يَظَّاهَرُون).

«تَظَاهَرُون» أصله «تتظاهَرُون» فحذف إحدى التاءَين تخفيفًا لاجتماع المثلَيْن.

وأصل «يظَّاهرون» بالمجادلة «يتظاهرون» مضارع «تَظَاهَرَ»، أدغِمت التاءُ في الظاء لتقارب مخرجيهما، وخالفَ قراءَته في سورة الأحزاب لعدم المسوِّغ؛ لأن الحذفَ إنما كان لاجتماع المثلين -وهما التاءان-، وهنا ياءٌ تحتية ثم تاء فوقية، فلم يجتمع المثلان.

والمعنى في القراءتين واحد وإن اختلفت الصيغتان، فقد يقال: ظاهرَ الرجلُ من امرأته، وظَهَّر، وتظاهَر، وتظَهَّر، واظَّهَر.

والظِّهار مشتق من الظَّهْر، وأصله أن يقول الرجل لامرأته: أنتِ عَليَّ كظَهْر أُمِّي[1].

﴿ٱلظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠] بحذف ألِفِ الإطلاق وصلًا ووقفًا، فيقرأ: (الظُّنُونَ)، وكذلك في ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦]، ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

على الأصل، وذلك أن تقول: رأيت الرَّجُلَ -بالنصب من غير تنوين، فإذا وقفتَ أسكنتَ فقلت: رأيت الرُّجُلْ.

﴿لَا مُقَامَ﴾ [الأحزاب: ١٣] بفتح الميم الأولى (مَقَامَ).

قال مكي: «قرأ حفص بضم الميم، جعله اسمَ مكان، على معنى: لا موضع قيام لكم .. ويجوز أن يكون مصدرًا من «أقام» على معنى: لا إقامةَ لكم، وقرأ الباقون بفتح الميم على أنه مصدر قَامَ قِيامًا ومَقامًا، ويجوز أن يكون أيضًا اسمَ مكان، والقراءتان بمعنًى».

﴿أُسْوَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] بكسر الهمزة (إِسْوَةٌ)، وكذلك بموضعي سورة الممتحنة.

بالكسر لغة الحجاز، وبالضم لغة قيس وتميم، فهما لغتان كِرشْوَة ورُشْوَة وعِدوَة وعُدوَة وقِدوة وقُدوَة.

---

(١) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٧٧٦)، الدر المصون (٥/ ٤٠٢).

والأسوة أو الإسوة هي الحالة التي يكون الإنسانُ عليها في اتباع غيره سواءٌ في حُسْن أو قُبح، نفع أو ضر، وفي الآية: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ وصفها بالحَسَنَة، والمعنى: اتباعه واجبٌ عليكم. يُقال: تأسَّيْتُ به أي: اتَّبعتُه في فعله مثل: اقتدَيْتُ[1].

﴿ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ ﴾ [الأحزاب: ٣١] بالياء في الفعلين (وَيَعْمَلْ).

معطوف على «يَقنُت»، وهو محمول على لفظ «مَن» دون معناه، فلفظه مذكر، وفي القراءة مناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه.

(يُؤْتِهَا) بالياء.

ضميرُه راجع إلى الله تعالى، أي يؤتها اللهُ، لتقدم ذكره تعالى في قوله: «لله وَرَسُولِه».

﴿ وَقَرْنَ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] بكسر القاف (وَقِرْنَ).

فيها وجهان:

أحدهما: أنه من القرار، تقول: قَرَرْتُ بالمكان أقِرّ، والأصل: «اقْرِرْنَ» بكسر الراء الأولى، فخُفِّفَ بنقل كسرة الراء الأولى إلى القاف ثم حذفها، وحذفِ ألِفِ الوصل لتحرك ما بعدها، فبقي: «قِرْنَ» بكسر القاف، على وزن «فِلْنَ»، ومعناها مُطابِق لما يُراد بها من الثبوت والاستقرار، والمعنى على هذا الوجه: الْزَمْنَ بيوتكنَّ ولا تخرجن منها.

والوجه الثاني: أن يكون من الوَقار، وهو الحلم والرزانة، تقول: وقَرَ يَقِرُ وقارًا وقُرَّةً ووُقُورًا فهو وَقُور، أي: سَكَنَ، والأمر قِر، وللنساء: قِرْن، مثل عِدْنَ وزِنَّ، وأصلُه: «اوْقِرْنَ» فحذفت فاء الكلمة -وهي الواو- واستغنيَ عن همزة الوصل فبقي: «قِرْنَ» على وزن «عِلْنَ».

---

(١) ينظر الإتحاف (٤٥٣)، المفردات للأصفهاني (مادة أ س ا)، عمدة الحفاظ (١/ ٩١).

والمعنى على هذا: كُنَّ أهلَ وَقارٍ وهدوء وسكينة في بيوتكن[(١)].

وأما القراءة بفتح القاف فتحتمل:

أن تكون من القَرار، وهو الثبات، والفعل منه قَرِرْتُ أَقَــرُّ، والأصل: «اقْرَرْنَ» بفتح الراء الأولى، على وزن «افْعَلْنَ»، فنُقِلت حركةُ العين [يعني فتحة الراء الأولى] إلى الفاء [يعني القاف]، وحذفت العينُ [وهي الراء الأولى] لالتقاء الساكنَين، وحذفت ألفُ الوصل لتحرك القاف، فبقي «قَرْنَ».

ويحتمل أن تكون من قَرِرْتُ به عينًا أَقَرُّه قُرَّةً وقُرُورًا، على معنى: واقْرَرْنَ عينًا في بيوتكن، ثم ألقيت الحركة على ما سبق آنفًا.

وأن تكون من قَارَ يَقَارُ، إذا اجتمع، ومنه القارَة، وهي قبيلةٌ سُمُّوا قارة لاجتماعهم والتفافهم، ومنه قولُ شاعرهم:

دَعونا قارَةً لا تُنفِرُونا[(٢)]

وذكر الدكتور عبده الراجحي أن الاختلاف في القراءتين بالفتح والكسر من اختلاف اللهجات، وأن أهل الحجاز يميلون إلى الفتح، وأن قبائل قيس وتميم تميل إلى الكسر[(٣)].

﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] بكسر التاء (وَخَاتِمَ).

قال القرطبي: «بفتح التاء بمعنى أنهم به خُتِموا، فهو كالخاتَم والطابع لهم.

وقرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم، أي: جاءَ آخرَهم. وقيل: الخاتِمُ والخاتَم لغتان، مثل: طابِع وطابَع، ودَانِق ودَانَق، وطابِق من اللحم وطابَق».

وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور: «وخاتِم النبيين» بكسر تاء خاتم، على أنه اسم فاعل من «خَتَمَ»، وقرأ عاصم بفتح التاء على تشبيهه بالخاتم الذي يختتم به المكتوب في

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ٤١٥، ٤١٦)، الكتاب الفريد (٥/ ٢٥٤).
(٢) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٢٥٥).
(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١١٨: ١٢٠).

أن ظهوره كان غلقًا للنبوءة».

﴿ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٨] بالثاءِ الْمُثلَّثَة مكان الباء (كَثِيرًا).

من الكثرة، على أنهم يُلعنون مرَّةً بعد مرة، والقراءة بالياء «كبيرًا» أي عظيمًا[1].

سورة سَبَأ

﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [سبأ: ٣] بتقديم اللامِ على الألف مع فتحها وتشديدها (عَلَّامِ).

على وزن «فَعَّال» للمبالغة، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [سبأ: ٤٨].

﴿ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴾ [سبأ: ٥] بخفض الميم (أَلِيمٍ)، وكذلك بالجاثية.

صفة لـ «رجزٍ»، وأما على القراءة بالرفع فصفة لـ «عذاب».

﴿ نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا ﴾ [سبأ: ٩] بالياء في الأفعالِ الثلاثة بدلًا مِن النون، (إن يَشَأْ يَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يُسْقِطْ عَلَيْهُمْ كِسْفًا).

على الإخبار عن الله -جل ذكره- عن نفسه، أي: إن يشأ الله يخسف أو يُسقط، لتقدم ذكره في قوله: ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [سبأ: ٨].

﴿لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] بضم الهمزة (أُذِنَ لَه).

على البناء لما لم يُسم فاعله؛ لأن المقصود هو الإخبار عن المأذون له، ومعلوم أن فاعل الإذن هو الله تعالى، و«له» نائب الفاعل[2].

﴿فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ [سبأ: ٣٧] بسكون الراء، وحذفِ الألِف بعدَ الفاء (الغُرْفَتِ)، وإذا وقف عليها وقف بالتاء اتباعًا للرسم، وقد انفرد بها حمزة.

قال السمين: «بالتوحيد على إرادة الجنسِ ولعدَمِ اللبس؛ لأنه معلوم أن لكل أحد

(١) الكشف (٥٣٨)، الكتاب الفريد (٥/ ٢٧٢).
(٢) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٦٤٢).

غرفة تخصُّه، وقد أجمع على التوحيدِ في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥]». ا.هـ. وقيل: الغرفة اسم للجنة، والله تعالى أعلم[١].

﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾، ﴿يَقُولُ﴾ [سبأ: ٤٠] بنون العَظَمَةِ فيهما (نَحۡشُرُهُم)، (نَقُولُ).

فيه انتقال من لفظ الواحد إلى لفظ الجمع بصيغة العظمة، كما قال سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾، ثم قال: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، وقال: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الإسراء: ٢].

وفي القراءة بنون العظمة دليل على عظيم قدر الله وتعاليه وكبريائه، وعظيم قدرته في حشره لعباده جميعًا، وعظيم هول العذاب والتبكيت الذي ينتظر المشركين، والله تعالى أعلم[٢].

﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ [سبأ: ٥٢] بهمزة مضمومة بعدَ الألف، مع إشباع المد المتصل على أصله (التَّنَـاؤُشُ).

فيه أوجه:

أحدها: أنه مشتق من «نَأَشَ» إذا طَلَبَ، والمعنى: وكيف لهم طلبُ الإيمان في الآخرة، وهو المكان البعيد؟ وذلك أنهم آمنوا في موضعٍ لا ينتفعون بالإيمان فيه.

الوجه الثاني: أن يكون مشتقًّا من «ناش ينوش» إذا تناول -كالقراءة بغير همز-، لكن لما انضمت الواوُ -وضمتُها لازمة- أبدلت منها همزة، نحو: أُقّتت في وُقتت، وأدْؤُر في أدْوُر، فيكون المعنى: وكيف يكون لهم تناولُ الإيمان من مكان بعيد -وهو الآخرة- ولم يكونوا يتناولونه عن قريب في حين الاختيار والانتفاع بالإيمان في الدنيا، فإنها دارُ التكليف؟ وقد قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ٤٥٠)، الكتاب الموضح (٢/ ٦٤٣).

(٢) ينظر الدرر الباهرة (٢/ ٢٥٦)، الكتاب الموضح (٢/ ٦٤٤).

ﺀَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وعلى هذا الوجه تكون القراءتان بمعنًى.

الوجه الثالث: أنها من النئيش، وهو الحركة في إبطاء، والمعنى: من أين لهم الحركة فيها بعد، ولا حيلة في ذلك؟، ومنه قول الشاعر:

وجئت نئيشًا بَعدَمَا فَاتَكَ الخبَرَ

وقول الآخر:

تمنى نئيشًا أن يكونَ أطاعَني وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ

وأما القراءة بترك الهمز «التناوش» فمن ناش ينوش، ونُشْتُه نوشًا، وهو التناول، على التفسير المذكور، وتناوش القومُ في القتال إذا تناول بعضُهم بعضًا ولم يتدانوا كل التداني.

فالمراد بالتناوش وصف قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [سبأ: ٥٢] بأنه إيمانٌ تأخر وقتُه أو فات وقته[١].

سورة فاطر

﴿غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] بخفض الراء (غَيرِ الله).

على أنه نعت لـ «خالقٍ» على اللفظ.

﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ [فاطر: ٤٣] بإسكانِ الهمزة وصلًا (السَّيِّئْ وَلا)، وقدِ انفردَ به حمزة، وأمَّا ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] فمتَّفَقٌ على رفعِه بالضمة الظاهرة.

تخفيفًا لتوالي الحركات، وقيل: إجراءً للوصل مجرى الوقف.

(١) ينظر الكشف (٥٤٥)، الكتاب الفريد (٥/ ٣١١)، المفردات للأصفهاني (مادة نوش)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٥).

وإسكان الهمزة فيها كإسكانها في «بَارِئْكُم» لأبي عمرو[(١)]، وحَسَّنَ إسكانَها كَوْنُ الكسرة على حرف ثقيل بعد ياء مُشددة مكسورة، فهو أولى من تسكينِ أبي عمرو لزيادة الثقَل، ويجوز أن يكون على تسكينِ الأوسط من الحركات المختلفة إذا توالت والأوسطُ منها غير فتحة نحو: «إبِل» و«فَخذ»، فهذا في المتصل، ومن المنفصلِ قولُه: «وَلا تَعْرِفْكُم العربُ»، وقد أكثرَ أبو علي الفارسي في كتابِه الحجة في القراءات السبع من الاستشهاد لقراءة حمزة من كلامِ العرب، ثم قال: «فإذا ساغَ ما ذكر في هذه القراءة من التأويلِ لم يسُغْ أن يُقال لحنٌ».ا.هـ، وهي مَروِيَّة كما في النشرِ عن أبي عمروٍ والكسائي، قال فيه: «وناهِيكَ بإمامَي القراءة والنحو أبي عمرو والكسائي».

وقال المنتجب الهمذاني: «وقرأ حمزة «ومكر السيِّئ» بإسكان الهمزة تخفيفًا لتوالي الحركات مع الياء والهمزة، وليس قولُ مَن قال: «إنه قَدَّر الوقفَ عليه، فأجرى الوصلَ مُجرى الوقف» بمستقيم؛ لأن حمزة ليس مذهبُه إبقاءَ الهمزةِ في الوقف على صورته، بل يُزيلُه ويُسهِّله على مذاق العربية، ومُلَحِّنُ حمزةَ[(٢)] في هذا ونظيره لكونه حذف حركة الإعراب مُخطِئٌ جاهل بالقراءات وبوجوهها، وبلغات القوم وبما فيها من الاتساع من: الإشباع، والاختلاس، والإسكان، والحذف، والإثبات، وغير ذلك مما لا يُحصى، مع أن حركات الإعراب قد تحذف في مواضع: منها الوقف، ومنها الإدغام، ومنها الأسماء والأفعال المعتَلَّة، فلو كانت حركاتُ الإعراب لا يجوز حذفُها من حيث كانت دلالةَ الإعراب لم يجُز حذفُها في هذه المواضع، فإذا جاز حذفها في هذه المواضع بعوارِضَ تعرِضُ جاز حذفها أيضًا في قوله: «ومَكر السيِّئ» لما ذكرتُ، **ولكن**

---

(١) قرأ أبو عمرو بن العلاء البصري -أحد القراء السبعة- من أكثر الطرق بإسكان الهمزة في ﴿ بَارِيِكُمۡ ﴾، والراء في ﴿ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾ و﴿ يَنصُرُكُم ﴾ و﴿ يُشۡعِرُكُمۡ ﴾ حيث وقع ذلك مرفوعًا.
قال الشيخ البناء: «هي لغة بني أسد وتميم وبعض نجد طلبًا للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد كـ ﴿ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾، أو نوعين كـ ﴿ بَارِيِكُمۡ ﴾، وإذا جاز إسكانُ حرف الإعراب وإذهابه في الإدغام للتخفيف فإسكانه وإبقاؤه أولى». إتحاف فضلاء البشر (١٧٨)

(٢) أي: مُخطِّئه.

مَن جَهِلَ شيئًا عَاداه»[١].

سورة يس

﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ ﴾ [يس: ٣٥] بحذف هاء الضَّمير (عَمِلَتْ أَيْدِيهِم).

موافقة لرسم مصحف الكوفة. يجوز أن تكون «مَا» موصولة بمعنى الذي، والضمير العائد إليها من الصلة حُذِف استخفافًا لطول الكلام، والتقدير: «والذي عَمِلتهُ»، فيكون معطوفًا على «ثمره»، والمعنى: ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أيديهم، وحَذفُ الهاء من الصلة حَسَن، كما قال تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩] أي: اصطفاهم، و﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١] أي: بعثه، و﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٣] أي: رحمه.

ويجوز أن تكون «مَا» نافية، فتكون حرفًا، ولا يكون لها موضع من الإعراب، ولا ضمير مقدر حينئذ، ولكن المفعول محذوف، أي: ما عملتْ أيديهم شيئًا من ذلك الزرع الذي أنبتَه الله لهم، كما قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٤]، وهذا الوجه عزاه القرطبيُّ في تفسيره لابن عباسٍ -رضي الله عنهما- والضحاك ومقاتل.

وجُوِّز أن تكون «مَا» مصدرية، أي: وعَمَلِ أيديهم، وهو مصدر أُريدَ به المعمول، والله تعالى أعلم[٢].

﴿ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس: ٤٩] بسكون الخَاء، وتخفيف الصَّاد (يَخْصِمُونَ)، وقدِ انفردَ بها حمزة.

على وزن «يَفْعِلُون» من الخصُومة، خَصَمَه يَخصِمُه.

---

(١) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٣٣٣، ٣٣٤)، النشر (٢/ ٢٦٩)، الدر المصون (٥/ ٤٧٣)، الكتاب الموضح (٢/ ٦٤٩)، قراءات الإمام حمزة والانتصار لها (١٤٣: ١٥٣).

(٢) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٦٥٣)، تفسير القرطبي (٨/ ٥٦٦١).

يحتمل أن يكون معناه: يخصِم بعضُهم بعضًا في أمورهم، مُتشاغِلين في متصرفاتهم، كأنه قال: وهم يتكلمون، فحذف المضاف والمفعولُ به، بدلالة ما حكى الله عنهم من مُخاصَمة بعضِهم بعضًا في غير هذا الموضع.

وأن يكون المعنى: يَخْصِمون مَن وعدَهم مجيءَ الساعة، وقيامَ القيامة، ويغلبونه بالجدل في ذلك، أي: يخصِمُون مُجادِلَهم عند أنفسهم وفي ظنِّهم، فحذف المفعول به.

قال ابن كثير -رحمه الله- في معنى الآية: «قال الله عز وجل: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: ما ينتظرون إلا صيحةً واحدة، وهذه -والله أعلم- نفخةُ الفزَع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناسُ في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم»[(١)].

﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ [يس: ٥٦] بضم الظاء، وَحذفِ الألِف (ظُلَلٍ).

جَمعُ ظُلَّة، كحُلَّة وحُلَل وغُرْفة وغُرَف، قال السمين: «وهي عبارة عن الفُرُش والسُّتور».

وأما «ظِلال» فيجوز أن يكون جمع ظِل، كشِعْب وشِعاب وفِلّ وفِلال، وأن يكون جمعَ ظُلَّة كقُبَّة وقِباب وقُلَّة وقِلال.

قال الباحث سامي خليل: «يتضح من خلال القراءات ما أعده الله لأهل الجنة من نعيم، وأنهم هم وزوجاتهم المؤمنات في ظلال دائمة ممتدة، لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، متكئون على السُّرُر المزينة بالستور والفُرُش، والله أعلم»[(٢)]. نسأل الله تعالى من فضله.

---

(١) عمدة التفاسير (٣/ ١١٤)، وينظر الكتاب الفريد (٥/ ٣٥٤، ٣٥٥)، الكشف (٥٥٢)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٧٩).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١٠/ ١٤٥)، وينظر الدر المصون (٥/ ٤٨٩)، الكتاب الفريد (٥/ ٣٦٠).

﴿ جِبِلًّا ﴾ [يس: ٦٢] بضمِّ الجيم والباء، وتخفيف اللام (جُبُلًا).

لغة فيه، ومعناه الخَلْق كالقراءة الأخرى، يقال: جَبَلَهُ الله إذا خَلَقَه، فهو مَجبُول، والمعنى: خلقًا كثيرًا.

وقال مكي: «وحجة مَن قرأ بضمتين أنه جعله جمعَ «جَبِيل»، وهو الخلق أيضًا، كرَغِيف ورُغُف.

قال الباحث سامي خليل: «القراءتان بمعنى واحد، تفيدان إغواءَ الشيطان وإضلالَه لخلق كثيرين، والآية الكريمة تبين تحذير الله عز وجل للإنسان من الشيطان الذي أضل خلقًا وأممًا كثيرة من أن يتبع سُبل الشيطان، وأن يحكم عقله، ويَحْذَر من تزيين الشيطان وإغوائه له، والله أعلم»[(١)].

سورة الصافات

﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ [الصافات: ١٢] بضمِّ التاء (عَجِبْتُ).

بإسناد الضمير للبارئ سبحانه وتعالى، وقد أجمع السلف على ثبوت العجبِ لله، فقد وردت فيه أحاديثُ عن النبي ﷺ، فالعجب نوعان:

أحدهما: أن يكون صادرًا عن خفاء الأسباب على المتعجِّبِ فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ.

والثاني: أن يكون سببُه خروجَ الشيء عن نظائرِه أو عما ينبغي أن يكون عليه، مع علم المتعجِّب، وهذا هو الثابت لله تعالى[(٢)].

قال الزمَخشري: «وقرئ بضم التاء، أي بلغ مِن عظيمِ آياتي وكثرة خلائقي أني

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١٠/ ١٤٧)، وينظر الكتاب الموضح (٢/ ٦٥٦)، الكشف (٥٥٤).
(٢) ينظر مجموع رسائل العقيدة للشيخ ابن العُثيمين (صـ ٣٩٦) في شرحه لمعةَ الاعتقاد، و(صـ٣٤٤) في تعليقاته على العقيدة الواسطية.

عجبتُ منها، فكيف بعبادي هؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي، أو عجِبتُ مِن أن ينكروا البعثَ ممن هذه أفعاله، وهم يسخرون ممن يصف اللهَ تعالى بالقدرة عليه». وعن مكي وعلي بن سُليمان: وهم يسخرون من نبوَّتِك والحقِّ الذي عِندَك.

وقال أبو زرعة: «ومن قرأ «عجبتُ» فهو إخبار عن الله جل وعزَّ. وحجتهم ما روي في الحديث: «إن الله قد عجب من فتًى لا صبوة له». وقال صلى الله عليه: «عَجِبَ ربُّكم من إِلِّكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم».

قال أبو عبيد: والشاهد لها مع هذه الأخبار قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾ [الرعد: ٥]، فأخبر جل جلالُه أنه عجيب. ومما يزيده تصديقًا الحديث المرفوع: «عجب الله البارحة من فلان وفلانة». قال الزجاج: وقد أنكر قوم هذه القراءة وقالوا: إن الله جل وعز لا يعجب. وإنكار هذا غلط؛ لأن القراءة والرواية كثيرة، فالعجب من الله خلاف العجب من الآدميين، هذا كما قال جل وعز: ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومثل قوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩]، و﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]. فالمكر من الله والخداع خلافه من الآدميين. وأصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقِلُّ مثله قال: قد عجبت من كذا وكذا، فكذلك إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه: عجبت، والله قد علم الشيءَ قبلَ كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي تلزم به الحجة عند وقوع الشيء»[(١)].

وإسناد الضمير إلى الله تعالى في الآية واضح من غيرِ بُعد ولا تكلف، وهو على المعنى المذكور واضح في تنزِيه الله تعالى عن النقص مع قبول اللفظ على حقيقته ومعناه المتبادر.

وحاول بعضهم صرف المعنى عن ظاهره فقال إنه مصروف للمخاطَبِ، أي قل يا محمد: بل عجبتُ أنا.

وعن شُرَيْح أنه أنكر هذه القراءة فقال: الله لا يتَعَجَّب، فبلغَت إبراهيمَ النَّخعِيَّ

(١) حجة القراءات لابن زنجلة (٦٠٧، ٦٠٨).

فقال: إن شُريحًا كان مُعجبًا برأيه، قرأها مَن هو أعلم منه، يعني عبدَ الله بنَ مسعود رضي الله عنه[١].

﴿ يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: ٤٧] بكسر الزاي (يُنزِفُونَ).

على البناء للفاعل، مِن أَنزَفَ الرجُل إذا ذهبَ عقلُه من السُّكْر، فهو نزِيفٌ ومنزُوف، والمعنى: ولا هم عن الخمر يسكرون فتزول عقولُهم، أي: تبعد عقولهم، كما تفعل خمرُ الدنيا.

ويُقال: أنزَفَ أيضًا إذا فرغ شرابُه ونَفِد، فالمعنى: ولا هم عن الخمر ينفد شرابُهم كما ينفدُ شرابُ الدنيا. فالمعنى الأول من نفاد العقل، والثاني من نفاد الشراب.

قال مكي: «والأحسنُ أن يحمل على نفاد الشراب؛ لأن نفاد العقل قد نفاه عن خمر الجنة في قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: ٤٧] أي: لا تغتال عقولهم فتذهبها[٢]، فلو حمل «ينزفون» على نفاد العقل لكان المعنى مكرَّرًا، وحملُه على معنيين أولى، وأما الذي في الواقعة فيحتمل وجهين؛ لأنه ليس قبله نفي عن نفاد العقل بالخمر كما جاء في هذه السورة».

وأما قراءة ﴿ يُنزَفُونَ ﴾ بفتح الزاي فعلى البناء للمفعول من نُزِفَ الرجلُ إذا ذهب عقلُه، ويقال للسكران: نزيف ومنزوف.

قال السمين: «ويجوز أن تكون هذه القراءة من أنزَفَ أيضًا بالمعنى المتقدم. وقيل: هو من قولهم: نَزَفْتُ الرَّكيَّة [وهي البئر] أي: نَزَحْت ماءَها، والمعنى أنهم لا تذهبُ

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/ ٤٩٧).

(٢) قال ابن كثير -رحمه الله-: «وقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ يعني: لا تؤثر فيهم غولًا، وهو وجعُ البطن -قاله ابنُ عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد- كما تفعله خمرُ الدنيا من القُولَنْج ونحوه لكثرة مائيتها. وقال قتادة: هو صداع الرأس، ووجع البطن. وعن السدي: لا تغتال عقولهم، وقال سعيد بن جبير: لا مكروه فيه ولا أذى. والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن». عمدة التفاسير (٣/ ١٢٧، ١٢٨)

خمورُهم بل هي باقية أبدًا، وضُمِّن «يُنزَفون» معنى يُصَدُّونَ عنها بسبب النزيف»[(١)].

﴿ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات: ٩٤] بضم الياء (يُزِفُّون)، وقد انفرَدَ به حمزة.

من أَزَفَّ، ويحتمل معنيين:

أحدهما: أنه من أَزَفَّ يَزِفُّ، أي دخل في الزَّفِيف وهو الإسراع، ومنه أَزَفَّ الظَّلِيمُ -وهو ذَكَرُ النَّعام- أي دخل في الإسراع، فقوم سيدنا إبراهيم ﷺ لَمَّا سمعوا بذلك بادَروا مُسرِعين، فالهمزة ليست للتعْدِيَة،

والثاني: أنه من أَزَفَّ غيرَه، إذا حمَلَه على الزَّفيف وهو الإسراع، فالمفعول محذوف، أي: يُزِفُّ بعضُهم بعضًا، أي: يحمل بعضُهم بعضًا على الزفيف، أو كأنهم حملوا دوابَّهم على الإسراعِ في المشي، واللهُ تعالى أعلم. قال الأصمعي: يقال: أزفَفْتُ الإبلَ، إذا حملتها على أن تزفَّ، وهو سرعة الخطو، ومقاربة المشي.

وأما قراءة ﴿ يَزِفُّونَ ﴾ بفتح الياء فمن زَفَّ يَزِفُّ زَفًّا وزَفِيفًا، إذا أسرعَ. وذكر القرطبي أوجهًا أخرى في تفسيرها.

وقيل: إنهما لغتان بمعنًى واحد، يُقال: زَفَّ القومُ وأَزَفُّوا، كما قالوا: زَفَفْتُ العروس وأَزْفَفْتُها[(٢)].

﴿ مَاذَا تَرَىٰ ﴾[الصافات: ١٠٢] بضم التاء، وكسر الراء، وياءٍ بعدها (تُرِي).

مضارع «أريته»، يُقال: رأى زيدٌ الشيءَ، وأريته إيَّاه، والمعنى: ماذا تُري أباك وتُبديه من صبرك أو جزعك؟ فـ«ماذا» مفعول أول، و«أباك» ثانٍ، هذا إذا جعلت «ماذا» اسمًا واحدًا.

وإن جعلت «ما» اسمًا مبتدأ، و«ذا» خبره، وهو اسم موصول بمعنى الذي، و«تُرِي» صلته كان التقدير: ما الذي تُريه أباك، أو ما الذي تُرينيه؟ فيكون المفعولان

(١) الدر المصون (٥/ ٥٠١)، وينظر الكشف (٥٥٧، ٥٥٨)، الكتاب الفريد (٥/ ٣٨١).
(٢) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٣٨٨، ٣٨٩)، الدر المصون (٥/ ٥٠٨)، تفسير القرطبي (٨/ ٥٧٣٤).

محذوفَين.

وقيل: معناه: ماذا تُشير؟ قال مكي: «وليس ذلك من إبراهيم على معنى الاستشارة له في أمر الله، إنما هو على الامتحان للذبيح، واستخراج صبرِه على الذبح»[(١)].

سورة ص

﴿مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] بضمِّ الفاء (فُوَاقٍ).

قيل: الفَواقُ والفُواق لغتان، كقَصاص الشعر وقُصاصه، وكجَمام وجُمام، نُسِب الفتح لأهل الحجاز، والضم لتميم وأسد وقيس[(٢)]، والفواق: ما بين حلبتي الحالب من الوقت؛ لأنها تُحلَب ثم تُترك سويعة يرضعها الفصيل لِتَدُرَّ ثم تُحلَب، يقال: ما أقام عنده إلا فواقًا، أي: مقدار فواق.

قال المنتجب: «ومعنى قوله جل ذكره: «ما لها من فواق» أي: ما لها من نظرة وراحة وإفاقة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «ما لها من رجوع وترداد»، مِن أفاق المريضُ، إذا رجع إلى الصحة، وأفاقت الناقة، إذا رجع اللبنُ إلى ضرعها».

وقال القرطبي: «... وقال الفراء وأبو عبيدة وغيرهما: «من فَواق» بفتح الفاء: أي: راحة، لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه، و«من فُواق» بضم الفاء: من انتظار. وقد تقدم أنهما بمعنى، وهو ما بين الحلبتين.

قلت: والمعنى المراد أنها ممتدة لا تقطيع فيها».

وقيل: الفَواق بالفتح يجوز أن يقام مقام المصدر، وهو اسم من الإفاقة، كما يقال: أجاب جوابًا، وأصاب صوابًا، بمعنى: إجابة وصوابًا، والفُواق بالضم اسم لذلك الزمان الذي يعود فيه اللبن إلى الضرع.

وقال الواحدي: «روى أبو هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «يأمر الله إسرافيلَ

(١) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٣٩٢)، الكتاب الموضح (٢/ ٦٦٤، ٦٦٥)، الكشف (٥٥٩) .

(٢) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢٠٦، ٢٠٧).

فينفخ نفخة الفزع». قال: «ويأمر فيمدها ويطولها»، وهي التي يقول: «**ما لها من فواق**»[(١)].

وهذا يحتمل معنيين: **أحدهما**: ما لها سكون. **الثاني**: ما لها رجوع.

والمعنى: ما تسكن تلك النفخة، ولا ترجع إلى السكون، ويُقال لكل من دام على شيء: لا يفيق منه ولا يستفيق».

ثم قال بعد ما ذكروه فيها من معانٍ: «أرادوا أن تلك الصيحة إذا جاءت لا ترد ولا ترجع، والمعنى هو الأول؛ لأنها إذا ردت سكنت، وردها سكونها. فإذًا معنى قوله: ﴿**مَا لَهَا مِن فواق**﴾ أي: سكون، بمعنى أنها إذا جاءت لا تسكن حتى يبعثوا وينجز لهم ميعاد العذاب»[(٢)]. نسأل الله السلامة، والأمانَ يومَ الفزع.

﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ ﴾ [ص: ٦٣] بهمزة وصلٍ مكسورةٍ في الابتداء ساقطةٍ في الوصل (اتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا)،

يحتمل وجهين:

أحدهما: أنَّه على الإخبار، فأخبر بالفعل ولم يُدخِل عليه استفهامًا، لأنهم قد علموا أنهم اتخذوا المؤمنين في الدنيا سخريًّا، فأخبروا عما فعلوه في الدنيا، ودل عليه قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذتمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُم ذِكرِي﴾ [المؤمنون: ١١٠]، ويكون «اتخذناهم» وما بعده صفةً لـ«رجالًا»، وتكون «أم» معادلة لمضمر محذوف، تقديره: أمفقودون هم أم زَاغَتْ عنهم الأبصارُ؟

وقيل: هي معادلة لـ «ما» في قوله: ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا ﴾ [ص: ٦٢]؛ لأن «أم» تقع في أكثر أحوالها معادلة للاستفهام، و«ما» استفهام.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨/ ٥٧٩٧)، وفي التذكرة (٥٠٧، ٥٥٧)، وقال: خرَّجه علي بن معبد وغيره، وينظر في تخريجه فتح الباري (١١/ ٣٦٨، ٣٦٩).

(٢) التفسير البسيط للواحدي (١٩/ ١٦٦، ١٦٧)، وينظر الكتاب الفريد (٥/ ٤١٢، ٤١٣)، تفسير القرطبي (٨/ ٥٧٩٧)، التفسير الكبير (١٣/ ٢٩٢).

وعلى هذا الوجه يكون تعلق هذه الآية بما قبلها تعلق الصفة بموصوفها.

والثاني: أنه على الاستفهام، وطرحت همزة الاستفهام لدلالة «أم» في قوله تعالى: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ عليه، ولما دل عليه الكلام من التقرير والتوبيخ.

وأما قراءة ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ ﴾ بقطع الهمزة فعلى سبيل الاستفهام الذي معناه التقرير والتوبيخ، وليس على جهة الاستخبار عن أمر لم يُعلَم، بل علموا أنهم فعلوا ذلك في الدنيا، فمعناه أنه يُوبِّخ بعضُهم بعضًا منكرين على أنفسهم ما فعلوه في الدنيا من الاستسخار بالمؤمنين.

قال الرازي: «اختلفوا في نظم هذه الآية على قولين بناءً على القراءتين المذكورتين:

أما القراءة على سبيل الإخبار فالتقدير: ما لنا لا نراهم حاضرين لأجل أنهم لحقارتهم تُرِكوا، أو لأجل أنهم زاغت عنهم الأبصار. ووقع التعبير عن حقارتهم بقولهم: «اتخذناهم سخريًّا».

وأما القراءة على سبيل الاستفهام فالتقدير: لأجل أنَّا قد اتخذناهم سخريًّا -وما كانوا كذلك- فلم يدخلوا النار، أم لأجل أنهم زاغت عنهم الأبصار؟».

وقال القرطبي: «إذا قرأت بالاستفهام كانت «أم» للتسوية، وإذا قرأت بغير الاستفهام فهي بمعنى «بل»»[(١)].

سورة الزُّمَر

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ [الزمر: ٩] بتخفيفِ الميم (أَمَنْ هُوَ).

تحتمل الهمزة فيه وجهين:

(١) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٤٤٠)، الكشف (٥٦٥، ٥٦٦)، التفسير الكبير (١٣/ ٣٥٦)، تفسير القرطبي (٨/ ٥٨٦٧).

أحدهما: أنها للاستفهام، و«مَنْ» موصولة بمعنى «الذي» في موضع رفع بالابتداء، و«هو قانت» صِلتها، والخبَر والمعادِل محذوفان، والتقدير: أَمَنْ هو قانتٌ خيرٌ أم الكافر المخاطب بقوله: ﴿ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ﴾ [الزمر: ٨]؟، ودلَّ على هذا المحذوف شيئان: جَرْيُ ذِكرِ الكافر قبلَه في الآية المذكورة، وقولُه بعده: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٩]، ولا بد من هذا التقدير لأن التسوية تحتاج إلى اثنين، وإلى جملتين.

والوجه الثاني: أنها للنداء، و«مَنْ» مُنادًى، ويكون المنادَى كلَّ موصوف بصفة القنوت، أو النبيَّ ﷺ، وهو المأمور بقوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، كأنه قيل: يا مَن هو قانت، قال الفرَّاء: وهو وجهٌ حسَن، العرب تدعو [أي تُنادِي] بـ«يَا»، فيقولون: يا زيدُ أقبِل، وأَزيدُ أقبِل، قال القرطبي: فالتقدير على هذا: قل تمتع بكفرك قليلًا إنك من أصحابِ النار. يَا مَن هو قانتٌ إنك من أصحابِ الجنة، كما يقال في الكلامِ: فلان لا يُصلي ولا يصوم، فيا مَن يصلي ويصوم أبشِر، فحُذِف لدلالة الكلامِ عليه، والله تعالى أعلم[1].

﴿ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦] بكسر العَين، وفتحِ الباء وألِفٍ بعدَها، على الجَمع (عِبَادَهُ).

وهم الأنبياء والمؤمنون بهم. قال ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، وقرأ بعضُهم: «عباده»، يعني أنه تعالى يكفي مَن عَبَده وتوكل عليه».ا.هـ

ويدخل في ذلك أصالةً النبيُّ ﷺ، ودل عليه قوله بعده: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾. قال الفرَّاء: «وذلك أن قريشًا قالت للنبي ﷺ: أما تخافُ أن تَخْبَلَكَ آلهتُنا لعَيبك إيَّاها؟! فأنزل الله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ محمدًا ﷺ، فكيف يخوفونك بمن دونه؟، والذين قالوا: «عباده» قالوا: قد همت أمم الأنبياء بهم، ووعدوهم مِثْلَ هذا، فقالوا لشعيب عليه السلام: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود: ٥٤]، فقال الله: «أليس الله

(١) ينظر الدر المصون (٦/ ٩،٨)، معاني القرآن (٢/ ٤١٦)، تفسير القرطبي (٨/ ٥٨٨٢)، مرشِد الأعزة (هامش صـ٧٣)، الكتاب الفريد (٥/ ٤٤٩)، الكشف (٥٦٨).

بكافٍ عبادَه» أي محمدًا –عليه السلام– والأنبياء قبله، وكلٌّ صواب».

وقال مكي: «وحجة من جمع أنه حمله على أن المرادَ به الأنبياء عليهم السلام، ثم رجع إلى مخاطبة محمد ﷺ [يعني: بقوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾] فهو داخل في الكفاية».

ويتبين من القراءتين أن الله تعالى كافٍ مَن عَبَدَه وتوكل عليه، وهم الأنبياء –عليهم السلام– ومن آمن بهم وتَبِعَهم[1].

﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر: ٤٢] بضم القاف، وكسرِ الضاد، وبياء مفتوحة بدل الألف، ورفع «الموت»: (قُضِيَ عَلَيْهَا المَوْتُ).

على أن الفعل مبني للمفعول، و«الموتُ» نائب الفاعل، ومعلوم أن الذي قَضَى الموتَ هو الله تعالى.

ويُلمَح في صيغة البناء للمفعول «قُضِيَ» أنه أمر قد بُتَّ وفُرِغ منه، فهو واقع لا محالة، كقوله ﷺ في الحديث: «رُفِعَت الأقلامُ، وجفَّت الصحف»[2] ببناء «رُفِعَت» للمفعول، وأمَّا «جفَّت» فبني للمعلوم لأنه لازم، لا يتعدَّى لمفعول لينوبَ عن الفاعل، بخلاف «رُفِعَت»، والله تعالى أعلم.

قال البقاعي: «﴿ٱلَّتِي قَضَىٰ﴾ أي: ختم وحكم وبتَّ بَتًّا مقدَّرًا مفروغًا منه، وقراءة البناء للمفعول موضحة لهذا المعنى بزيادة اليُسر والسهولة».

ويقول الآلوسي في قوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]: «وفي إيثار صيغةِ المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء، مع الإيذان بتعَيُّن الفاعل».

واحتج ابن زنجلة للقراءة بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله بأن الكلام أتى عقيبه بترك تسمية الفاعل، وهو قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ولم يقل: «سَمَّاهُ»[3].

---

(١) ينظر تفسير القرطبي (٨/ ٥٩٠٢)، عمدة التفاسير (٣/ ١٦٨)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٤١٩، ٤٢٠).
(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد في المسند، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٣) ينظر حجة القراءات لابن زنجلة (٦٢٤)، روح المعاني (١١/ ٧٨)، نظم الدرر للبقاعي (١٦/ ٥١٨).

﴿ بِمَفَازَتِهِمۡ ﴾ [الزمر: ٦١] بألِف بعدَ الزَّاي، على الجمع (بِمَفَازَاتِـهِمْ).

جمع «مَفازة»؛ لاختلاف أنواعِ المفازات وما ينجو منه المؤمن يومَ القيامة، وهذه النجاة تكون بفضلِ الله ورحمته من شدائد وأهوال مختلفة لاختلاف أسبابِها، وجاز جمعُها وإن كانت مصدرًا لاختلاف أنواعها، ولأن لكل مُتَّقٍ نوعًا من المفازة، والله تعالى أعلم.

وقال الفرَّاء: «وقوله: «بمفازاتهم» جَمْع، وقد قرأ أهل المدينة: ﴿ بِمَفَازَتِهِمۡ ﴾ بالتوحيد، وكلٌّ صواب. تقول في الكلام: قد تبيَّنَ أمرُ القوم، وأمورُ القوم، وارتفع الصوتُ والأصواتُ، ومعناه واحد. قال الله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩]، ولم يقُل: أصوات، وكلٌّ صواب».

سورة غافر

﴿ يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] بفتحِ الياء والهاء في «يظْهر»، ورفعِ دالِ «الفَسَاد»: (يَظْهَرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادُ).

مضارِع «ظَهَرَ» اللازم، و«الفسادُ» فاعله.

قال الرازي: «أمَّا وجه القراءة الأولى [يعني قراءةَ حفص ومن معه] فهو أنه أسند الفعل إلى موسى في قوله تعالى: ﴿يُبَدِّلَ﴾، فكذلك في ﴿يُظۡهِرَ﴾ ليكون الكلامُ على نسق واحد.

وأما وجه القراءة الثانية [قراءة حمزة ومن معه] فهو أنه إذا بدل الدين فقد ظهر الفسادُ الحاصل بسبب ذلك التبديل».

﴿فَأَطَّلِعَ ﴾ [غافر: ٣٧] برفعِ العَين (فَأَطَّلِعُ).

عطفًا على «أَبْلُغُ»، وليس جوابًا للترجِّي في قوله «لَعَلِّي»، بل هو داخل في الترجي، كأنه قال: لعَلي أبلغُ ولعَلي أطلعُ، كأنه توقَّع أمرين على ظنه.

سورة فُصِّلت

﴿مِن ثَمَرَٰتٖ﴾ [فصلت: ٤٧] بغير ألِف، على الإفراد (ثَمَرَتٍ)، ووقف بالتاء.

على الجنس، تُعطِي معنى الجمع، لما في النكرة من معنى الجنسية والعموم، لاسِيَّما إذا كانت في النفي، ويُقوي ذلك قولُه: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ [فصلت: ٤٧] على الوحدة.

والأكمام جمع «كِمّ» بالكسر، وهو وعاء الثمرة.

قال مكي: «.. «ثمرات» بالجمع لكثرة أنواع الثمرات الخارجة من غلافاتها، والأكمام: الغلافات التي تخرجُ منها الثمراتُ، وهو جمع كم.

وقرأ الباقون بالتوحيد؛ لأن دخول «مِن» على «ثمرة» يدل على الكثرة، كما تقول: هل مِن رجل؟، فرجل عام للرجال كلهم، لست تسأل عن رجل واحد، فكذلك «من ثمرة» لست تريد ثمرة واحدة، بل هو عام في جميع الثمرات، فاستغنى بالواحد عن الجمع».

وقال الزهيري: «قراءة «ثمرة» على الإفراد تفيد أن كل الثمار ثمرةً ثمرةً لا تخرج إلا بإذن الله ومشيئته، وقراءةُ الجمع تفيد أن الله بقدرته ربما أخرج ثمرات متعددة من كم واحد، كما تفيد بيانَ قدرة الله في إخراج الثمرات المتعددة الأنواع والألوان والطعوم»[(١)].

سورة الشُّورى

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [الشورى: ٢٨] بإسكانِ النون وتخفيفِ الزاي (يُنزِلُ الغَيْثَ)، ووافقَ في ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ﴾ [الشورى: ٢٧].

من «أَنْزَل يُنْزِل». قيل: نَزَّل وأَنزَل بمعنًى واحد.

ونقل الباحث عماد الشريف عن الدكتور فاضل السامرائي فرقًا بين القراءتين

(١) ينظر الدرر الباهرة (٢/ ٣٣٣)، الكتاب الموضح (٢/ ٦٩٧)، الكشف (٥٧٩).

فقال: «أفادت قراءة «يُنْزِل» بالتخفيف أن الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطر بعدما يئسوا من نزوله رحمةً بالناس، والفعل «يُنْزِل» من الإنزال يفيد وقوعَ الحدث مرةً واحدة، ويحتمل الزيادة.

أما قراءة ﴿ يُنَزِّلُ ﴾ بالتشديد [فـ]ـتفيد أن الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطر بشكل دائم ومتكرر، فقراءةُ التشديد تفيدُ التدرُّجَ والتكرار والتكثير، ويحتمل أن قراءة التشديد تفيد أهميةَ الغيث الذي ينزل في ذلك الوقت لحاجتهم وفقرهم إليه بعدما يئسوا من نزوله، فقراءة التشديد تستعمل أحيانًا فيما هو أهم وأبلغ»[1].

﴿ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ ﴾ [الشورى: ٣٧] بكسر الباء، وياءٍ ساكنة بعدَها بلا أَلِفٍ ولا همز (كَبِيرَ الإِثْمِ)، وكذلك في سورة النجم.

واحدٌ يراد به الجمع، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]، ومثله قولهم: منعَت العراقُ درهمها وقفيزَها، والمعنى على الجمع، ويمكن أن يقال إنه لما أضيف «الكبير» إلى «الإثم»، والإثم جنس مستغرِق يراد به الكثرة اكتفي فيما أضيف بلفظ الواحد عن الجمع، وهم يجتنِبُون كبيرَ كُلِّ إثم.

ونقل عن ابن عباس أنه فسَّر «كبير الإثم» بالشرك؛ لأن الله تعالى أخبرَ عن نفسه غفران ما سواه من الذنوب، ولذلك سماه ظلمًا عظيمًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]. قال الرازي: «وهو عندي بعيد؛ لأن شرط الإيمان مذكور أوَّلًا، وهو يُغني عن عدم الشرك». يعني قولَه تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الشورى: ٣٦].

قلت: قد يقال: عطف اجتنابَ الشرك بعدَ ذِكر الإيمان توكيدًا لاجتنابه والحذر منه، وإلَّا فاجتنابُ الفواحش والاستجابةُ لله وإقامةُ الصلاة وغيرُ ذلك مما ذُكِر في

---

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١١/ ١٣٦).

الآيات هو داخل في الإيمان[(١)].

سورة الزخرف

﴿أَن كُنتُمۡ﴾ [الزخرف: ٥] بكسر الهمزة (إِن كُنتُمْ).

على أنها للشرط، وما قبلها جواب لها[(٢)]، وقيل: الجواب محذوف دلَّ عليه ما تقدَّم، والتقدير: إن كنتم قومًا مسرفين نضربْ عنكم الذكرَ صَفحًا؟، كما تقول: أنا أكرمُك إن جئتَني، والمعنى: إن جئتَني أكرَمتُك[(٣)].

وقيل: «إنْ» بمعنى «إذْ» كقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وقال الزمخشري: «فإن قلت: كيف استقام معنى «إن» الشرطية وقد كانوا مسرفين على البَتِّ؟ قلت: هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن الـمُدِلّ بصحة الأمر المتحقق لثبوته، كما يقول الأجيرُ: إن كنتُ عملتُ لك فوَفِّني حقي، وهو عالمٌ بذلك، ولكنه يُخيِّلُ في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فِعْلُ مَن له شك في الاستحقاق مع وضوحه، استجهالًا له»[(٤)].

قال الدكتور أحمد سعد بعد نقله كلامَ الزمخشري: «وكذلك حال مشركي مكةَ حينما أسرفوا في تكذيب الرسول ورسالته، فأخرج إسرافهم المحقق على صورة الفرض للتنبيه على جهلهم، وللدلالة على وجوب انتفائه، وعدم صدوره أصلًا ممن يسمع أو يعقل»[(٥)].

---

(١) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٧٠٣)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥)، الحجة لابن خالويه (٣١٩)، التفسير الكبير (١٤/ ٤٨).

(٢) ينظر تفسير القرطبي (٩/ ٦١٠٧)، التفسير الكبير (١٤/ ٧٥).

(٣) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٧٠٥)، الكتاب الفريد (٥/ ٥٤٥).

(٤) الكشاف (٥/ ٤٢٦).

(٥) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (١٩١، ١٩٢).

وقال ابن عاشور: «﴿إن كنتم﴾ بكسر همزة ﴿إن﴾ فتكون ﴿إن﴾ شرطية، ولما كان الغالب في استعمال ﴿إن﴾ الشرطية أن تقع في الشرط الذي ليس مُتوقَّعًا وقوعُه، بخلاف ﴿إذا﴾ التي هي للشرط المتيقن وقوعه، فالإتيان بـ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إن كنتم مسرفين﴾ لقصد تنزيل المخاطبين المعلوم إسرافهم منزلة مَن يُشَكُّ في إسرافه لأن توفر الأدلة على صدق القرآن من شأنه أن يُزيل إسرافَهم، وفي هذا ثقة بحَقِّيَّة القرآن، وضرب من التوبيخ على إمعانهم في الإعراض عنه.

وقرأه ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بفتح الهمزة على جعل ﴿أَنْ﴾ مصدرية، وتقدير لام التعليل محذوفًا، أي: لأجل إسرافكم، أي لا نترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين، بل لا نزال نُعيد التذكيرَ رحمةً بكم»[١].

قال الباحث عماد الشريف: «وبالجمع بين القراءتين يظهرُ أن الله تعالى يُعاتِبُ هؤلاء المشركين المسرفين في التكذيب والعصيان مُوبِّخًا لهم ومحذرًا من إمعانهم في الإعراض عنه قائلًا لهم على معنى: لا نتركُ تذكيرَكم ونعرض عنكم فلا نعظكم بالقرآن لأجل أنكم مسرفون في التكذيب والعصيان، بل لا نزالُ نذكركم ونعظكم إلى أن ترجعوا إلى طريق الحق رحمةً بكم، أو تقوم الحجة على مَن استمرَّ في إسرافه وتكذيبه ورفض الهداية، والله تعالى أعلم»[٢].

﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ﴾ [الزخرف: ٢٤] بضمِّ القاف، وإسكان اللام، وحذف الألِف (قُلْ).

على صيغة الأمر، يجوز أن يكون للنذير الذي ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [الزخرف: ٢٣]، أو أنه للرسول ﷺ ليقول لهم ذلك ويحتجَّ به عليهم.

قال القرطبي: «﴿قل أولو جئتكم بأهدى﴾ أي: قل يا محمد لقومك: أوليس قد جئتكم من عند الله بأهدى؟، يريد بأرشد ... فالخطاب للنبي ﷺ».

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٦٤).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١١/ ١٥٥).

وقال أبو حيَّان: «والظاهر أن الضمير في قال أو في قُل للرسول، أي: قل يا محمد لقومك: أتتبعون آباءَكم ولو جئتكم بدينٍ أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءَكم؟ وهذا تجهيل لهم، حيث يُقلِّدون ولا ينظرون في الدَّلائل»[(١)].

﴿أَسْوِرَةٌ﴾ [الزخرف: ٥٣] بفتحِ السِّين وألِف بعدها (أَسَاوِرَة).

على وزن «أَفَاعِلة»، قال المنتجب الهمذاني: «فأَسْوِرَة جمع سِوار وسُوار، يقال: سِوار المرأة وسُوارُها وإِسْوارها، عن الكسائي وغيره، وأساورة: يجوز أن يكون جمع إسوار كإعصار وأعاصير، والأصل أساوير وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير، كما قالوا: زنادقة في زناديق.

وأن يكون جمع أَسْوِرَة كأساق في جميع أسقية، والأصل أساور، وألحقت الهاء لتأنيث الجمع كما ألحقت في صياقلة لذلك».

وفي لسان العرب: والسِّوار والسُّوار: القُلْبُ، سِوار المرأة، والجمع أسوِرَة وأَسَاوِر، الأخيرة جمع الجمع، والكثير سُورٌ وسُؤُورٌ (الأخيرة عن ابن جني)، وجَّهها سيبويه على الضرورة، والإسْوَار: كالسِّوار، والجمع أَسَاوِرَة...».

وقال محققه: «قوله: «والإسوار» كذا هو مضبوط في الأصل بالكسر في جميع الشواهد الآتي ذكرُها، وفي القاموس الأُسوار بالضم. قال شارحه: ونقل عن بعضهم بالكسر أيضًا كما حققه شيخنا، والكل معرب دستوار بالفارسية»[(٢)].

وقال ابن عاشور: «وقرأ الجمهور «أساورة»، وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب: «أسورة». و«الأساورة» جمع أُسْوار لغة في سِوار. وأصل الجمع أساوير مخفف بحذف إشباع الكسرة ثم عوض الهاء عن المحذوف كما عوضت في زنادقة جمع زِنديق إذ حقه زناديق. وأما سوار فيجمع على أسورة.

---

(١) ينظر البحر المحيط (٩/ ٣٦٧)، تفسير القرطبي (٩/ ٦١٢٠)، الدر المصون (٦/ ٩٥، ٩٦)، الكتاب الموضح (٢/ ٧٠٨).

(٢) لسان العرب (٢١٤٨)، وقول المحقق من الهامش.

والسوار: حلقة عريضة من ذهب أو فضة تحيط بالرسغ. وهو عند معظم الأمم من حلية النساء الحرائر... وكان السوار من شعار الملوك بفارس ومصر يلبَس الملِك سوارين، وقد كان من شعار الفراعنة لبس سوارين أو أسورة من ذهب، وربما جعلوا سوارين على الرسغين وآخرين على العضدين، فلما تخيَّل فرعونُ أن رتبة الرسالة مثل الـمُلك حَسِبَ افتقادَ ما هو من شعار الملوك عندهم أمارةً على انتفاء الرسالة»(١).

﴿ سَلَفًا ﴾ [الزخرف: ٥٦] بضم السينِ واللام (سُلُفًا).

السَّلَف بفتح السين واللام جمع سالف، كخَدَم وخَادِم، وقيل: مصدر وصف به، فيصلح للواحد وللجمع، وهو هنا للجمع، والسَّلَف: المتقدم، يُقال: سَلَفَ يَسْلُفُ سلفًا، مثل: طلب يطلب طلبًا، أي تقدم ومضى، والقوم السُّلَّاف: المتقدمون، وسَلَفُ الرُّجُل: آباؤه المتقدمون، وجمعه أسلاف وسُلَّاف.

والسُّلُف بضمتين يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أنها جمعُ سَلِيف، كرَغِيف ورُغُف وسَرِيرٍ وسُرُر، والسَّليف من الناس كالفريق منهم.

والثاني: أنها جمعُ سَالِف، كصَابِر وصُبُر.

الثالث: أنها جمعُ سَلَفٍ، كأَسَدٍ وأُسُد وخَشَبٍ وخُشُب، والله تعالى أعلى وأعلم.

وقال الليث: يقال سلُف بضم اللام يسلف سلوفًا فهو سلف أي متقدم.

وقال ابن عاشور: «والسَّلَف بفتح السين وفتح اللام في قراءة الجمهور: جمع سالف مثل: خَدَم لخادِم، وحَرَس لحارِس. والسالف الذي يسبق غيرَه في الوجود أو في عمل أو مكان، ولما ذكر الانتقام كان المراد بالسلف هنا السالف في الانتقام، أي أن مَن بعدَهم سيلقون مثلَ ما لَقوا. وقرأ حمزة وحده والكسائي «سُلُفًا» بضم السين وضم اللام، وهو جمع سَليف اسم للفريق الذي سلف ومضى».

(١) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٣٢).

وذكر القرطبي أن معنى القراءتين واحد، والله تعالى أعلم[(١)].

﴿تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١] بحذف الهاء التي بعدَ الياء (تَشْتَهِي الأَنفُسُ)، وهو كذلك في مصاحِفِ مكة والعراق.

بحذف الضمير العائد إلى الموصول «ما»، وهو جائز الحذف، وعلى الحذف أكثر التنزيل[(٢)]، كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]، أي: بعثه.

وتحسس الدكتور محمد الجمل نكتة دقيقة في الفرق بين القراءتين بذكر المفعول -وهو الهاء- وحذفِه فقال: «ربما في ذكر المفعول إشارةٌ إلى ما تشتهيه الأنفسُ مما عرفَت بعضَ لذته في الدنيا، وسبق لها به عهد، وفي حذف المفعول إشارةٌ إلى كلِّ لذة يمكن أن تخطر على قلب بشر مما له به عهد، أو مما لا عهد له به مما تتخيله النفسُ وتذهب به كلَّ مذهب، وفي هذا استقصاءٌ لدرجات ما يخطر على النفس من أنواع الشهوات والملذات»[(٣)].

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥] بياء الغيبة (يُرْجَعُون).

فيه مناسبة لما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ [الزخرف: ٨٣].

قال الدكتور الزهيري: «قراءة الياء على الغيبة إخبار عن هؤلاء الكفار الذين كفروا بالله وجعلوا له الولد، ولم يخاطبهم لأنهم استحقوا إعراض الله عنهم، وقراءة التاء تحتمل أن تكون خطابًا لهم على سبيل التوبيخ والتهديد، فهو خطاب سخطٍ وغضب، لا خطاب رحمةٍ وإحسان، وتحتمل أن تكون خطابًا لجميع المكلفين، ففيها مع تهديد الكفار تبشير المؤمنين بإكرام الله لهم وإحسانه إليهم عند ورودهم إليه يوم القيامة».

---

(١) ينظر تفسير القرطبي (٩/ ٦١٤٩)، الكتاب الفريد (٥/ ٥٥٨)، الدر المصون (٦/ ١٠٤)، التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٣٥)، التفسير الكبير (١٤/ ١١٠).

(٢) ينظر الكتاب الفريد (٥/ ٥٦٢).

(٣) الوجوه البلاغية (٤٥٧).

سورة الدُّخان

﴿يَغۡلِي﴾ [الدخان: ٤٥] بتاء التأنيث (تَغۡلِي).

أي الشجرة، وأمَّا على القراءة بالياء فالضمير قيل: يعود على الطعام، وقيل: على الـمُهل. قال مكي: «ولا يجوز حمل التذكير في «يغلي» على المهل؛ لأن المهل إنما ذكر للتشبيه، فليس هو الذي يغلي»[1].

وعن الصورة البيانية لهذا يقول الدكتور الخراط: «... أما قراءة «تغلي» فالضمير فيها يعود على شجرة الزقوم، وهو مشهد حيٌّ تبدو من خلاله شجرةٌ تغلي في بطن امرئ بائس عُرِف بالأثيم، والغليانُ في الأصل للماء السائل، ولكنه أجراه هنا على الشجرة نفسها، ولنا أن نلحظ هذا التصوير المخيف الذي تكون فيه هذه الشجرة طعامًا للأثيم.

وتبدو هذه الصورة القرآنية الغنيَّة في إيحاءاتها ودلالاتها ذاتَ وظيفةٍ هادفة، وذات بُعْدٍ نفسي، وامتداد تأثيري؛ إذ ينعقد معها تشخيصٌ مُفعم بالمعاني والدلالات. ومن المعروف أن الشجر عالمٌ واسع، منه الضارُّ الذي يتعلَّقُ به أوراق وثمار، وأغصان كريهة المنظر والرائحة والطعم، وهو الذي يعنينا هنا، ومنه النافع ذو الثمر الشهي، والمنظر الجميل، ويستروح المؤمنون ظلاله في جنات النعيم.

وفي هذا السياق يتمُّ اختيار ضَرْب من الشجر المقيت، وله تسمية توافق طبيعته، فهو الزقوم الذي يترعرع وينمو في عَرَصات الجحيم، ولا يستسيغه الأثيم، بل هو وبالٌ عليه، ويمثل العنصرَ الأولَ من المشهد المخيف. قال الواحدي: «وشجرةُ الزقوم شيءٌ مُرٌّ كريه، يُكرَهُ أهلُ النار على تناوله، فهُم يتَزَقَّمُونه، وهي على هذا مُشتقَّةٌ من التَّـزَقُّم، وهو البَلْعُ على جُهد لكراهتها ونَتْنِها». وقد بيَّن سبحانه في آيات الصافات[2] أوصافَ هذه الشجرة: فهي تخرج في قعر الجحيم، وأغصانها تُرفع إلى دَرَكاتها، وثمرُها وما يحمله

---

(١) ينظر الكشف (٥٩٢)، ونحوه في الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١٦٦).

(٢) وهنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٤: ٦٦].

كأنَّه في تناهي قُبحِه وشناعة منظره رؤوسُ الشياطين، فشبَّه المحسوس بالمتخيَّل، وإن كان غيرَ مرئيٍّ؛ للدلالة على أنه غايةٌ في القُبح. ومن هنا نخرج إلى أنَّ بلايا هذه الشجرة ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعض.

وصورة هذه الشجرة غيرُ مُشاهدة، ومثلها في ذلك رؤوس الشياطين ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]. إلا أنه قد استقرَّ في نفوس البشر مِن قُبحِها ما صارت معه بمنزلة المشاهَد، كما استقرَّ في نفوسِهم مِن حُسْن الحُور العين ما صارت معه بمنزلة المشاهَد.

ثم يصحبنا المشهد إلى استذكار العنصر الثاني، ويُمَثِّل البطنَ التي احتوتِ الشجرةَ نفسَها، إذ بَدَت الشجرةُ وهي جاثِمة في أحشاء البطن تتمطَّى؛ لتتمكن من ثناياها. وأيُّ بطنٍ تحتمل ثِقَلَ شجرةٍ كريهة في طعمها ورائحتها وشكلها؟ وأيُّ ساحةٍ هذه تلك التي صارت مَسْرَحًا لهذه المشاهدِ المفزِعة؟ ونحن نعلم أنه كلما كبر الجسمُ وضَخُمَ كان أكثرَ إيلامًا، وأشدَّ إحساسًا بالعذاب.

ثم يأتي العنصرُ الثالث وهو الغليان، والأصل فيه أن يكون من صفات الماء السائل، أو من صفات شيء وُضِعَ في قِدْرٍ تُباشِرُها النارُ، وقد صار الغليانُ شيئًا ملازمًا للشجرة نفسها، إذ وصلت هذه الشجرةُ في حميمها وحرارتها إلى درجةٍ عالية يُطلَقُ عليها درجة الغليان. وماذا ينجم عن الغليان سوى الحِمَمِ والثَّوَرَان والفَوَران؟ ولا غليانَ عادةً من غير نارٍ مباشرة تزيد من التهابها.

وتؤكد الآيةُ التاليةُ هذا الغليان، وتُقَرِّبُه إلى الأذهان المحسوسة، فالشجرةُ تغلي مثلَ غَلْيِ الماءِ أو الزيت الشديد الحرارة. ولنا أن نتصور ذلك كله في العنصر الرابع، وهو ذلك المرء الضالع في الإثم الذي يُعاني ما يُعانِيه، ويحتمل ما يحتمله. **أرأيتم إلى هذه الصورة المفزعة التي تَخْلَعُ القلوبَ خَوفًا ورَهبة، وهذا هو البُعدُ النفسيُّ المنشود من مشاهدِ الجحيم التي رَسَمَتْها لَفْظَةٌ واحدةٌ في وصف الشجرة، وهي قوله تعالى: «تغلي»؟**

... أما الذي «يغلي» في القراءة الثانية فهو طعامُ الأثيم، أو دُرْدِيُّ الزَّيت، أو عَكَرُ

القَطِران، أو النحاس المذاب، على حسب ما يذكره المفسرون في تفسير المهل. وتكونُ العناية متوجهةً هنا إلى المواد الكريهة التي تعتمل في بطن الأثيم. قال الشوكاني: «ولا يصح أن يكون الضميرُ عائدًا إلى الـمُهل لأنه مُشبهٌ به، وإنما يغلي ما يُشبَّه بالمهل»[(١)].

سورة الجاثية

﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥] بنصب ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالكسرة منونة فيهما (ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ).

عَطفًا على اسم «إنَّ»، أي: وإنَّ في خلقكم... آياتٍ، وإن فِي اختلاف الليل... آياتٍ، والخبر قوله: «في خلقكم»، و«في اختلاف الليل»، كقولك: إنَّ في الدار زيدًا وفي السوق عَمْرًا، أو كرر «آيات» الثاني والثالث تأكيدًا للأول، أي: إن في السماوات وفي خلقكم وفي اختلاف الليل لآيات، ويكون «وفي خلقكم» عطفًا على «في السماوات»، كرر معه حرف العطف توكيدًا لما طال الكلام.

﴿ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦] بتاء الخِطاب (تُؤْمِنُون).

خطاب للمشركين على وجه التهديد. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره للمشركين به: فبأي حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم، وأدلته التي دلكم بها على وحدانيته من أنه لا ربَّ لكم سواه – تصدقون، إن أنتم كذَّبتم بحديثه وآياته؟، وهذا التأويل على مذهب قراءة مَن قرأ «تؤمنون» على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين».

وفي هذه القراءة يكون التهديد والتبكيت لهم أشدَّ وأبلغ، قال البقاعي: «من خاطب -وهم الجمهور- ردوه على قوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ [الجاثية: ٤]، وهي أقوى تبكيتًا».

(١) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة (٨٥: ٨٨).

وقال مكي: «على الخطاب، على معنى: قل لهم: يا محمد: فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون أيها الكافرون؟، ويجوز أن ترده على الخطاب الذي قبله في قوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ﴾»[(١)].

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ [الجاثية: ١٤] بنون العَظَمَة (لِنَجْزِيَ).

قال الدكتور الزهيري: «قراءة «لنجزي» بنون العظمة تفيد عظيمَ عذابِ الله للمجرمين، وعظيمَ فضله ومنته على المؤمنين، فهو يجزي كُلًّا بما كانوا يكسبون».

﴿غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] بفتح الغَين، وإسكان الشين، وحذف الألِف (غَشْوَة).

لغة فيه، وهما بمعنى الغِطاء والساتر، وقال ابنُ أبي مريم: «وهما كل غِطاء شامل».

﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الجاثية: ٣٢] بالنصْب بالفتحة (وَالسَّاعَةَ)، وقد انفرد به حمزةُ.

عطفًا على «وَعْد الله»، أي: إن وعد الله حَقٌّ، وإن الساعةَ لا ريبَ فيها، وذلك كقولك: إن زيدًا منطلقٌ، وعَمْرًا قائمٌ.

سورة الأحقاف

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ [الأحقاف: ١٩] بنون العَظَمَة (وَلِنُوَفِّيَهُم).

قال ابن أبي مريم: «على الرجوعِ من الغيبة إلى الإخبارِ عن النَّفس، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١]، ثم قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١]، وهذا يُسمَّى تلوين الخطاب»[(٢)].

وقال الدكتور الزهيري: «قراءة النون -نون العظمة- تفيد عظيمَ فضلِ الله وإحسانه إليهم حيث يوفي المحسنين أجورَهم إحسانًا منه وفضلًا، كما تفيد عظيم قدرته

(١) ينظر الكشف (٥٩٤، ٥٩٥)، تفسير الطبري (٢١/ ٧٥)، نظم الدرر للبقاعي (١٨/ ٦٨).
(٢) الكتاب الموضح (٧٢٦).

وحكمته حيث يوفي الظالمين أعمالهم عدلًا منه وحكمة، كما تفيد عظيمَ شأنِ الجنة والنار، وقراءة الياء تفيد تعيينَ الفاعل، فهو اللهُ الكريم الحكم العدل، فهي تدل على البشارة للمؤمنين، وعلى أنه لن يظلم أحدًا شيئًا ولو كان كافرًا، والله أعلم».

سورة مُحَمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ [محمد: ٤] بفتح القاف والتاء، وألِفٍ بينهما (قَاتَلُوا).

مبنيًّا للفاعل، من المقاتَلة، وهذا أعم؛ لأنه يدخل فيه مَن سعَى في القتل سواء قُتِل أو لم يُقتل، وإن كان لا يخلو من أن يحصل للمقتول بكل واحد من القتال والقَتْل ضُرُوب من الثواب.

سورة الفتح

﴿ضَرًّا﴾ [الفتح: ١١] بضم الراء (ضُرًّا).

قيل: الضَّر والضُّر لغتان بمعنًى، كالضَّعْف والضُّعْف والفَقر والفُقر، يقال: ضَرَّه فلانٌ ضُرًّا وضَرًّا كشَرِبَ شُرْبًا وشَرْبًا.

وقيل: بالفتح ضِدُّ النفع، وبالضَّمِّ سُوءُ الحال.

وباعتبار ثِقَل الضمة وخفة الفتحة قال الدكتور الزهيري: «فالآية على القراءتين تفيد أن العباد لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم دفعَ عظيمِ الضُّر -كما تفيده قراءةُ الضم-، ولا قليلِه -كما تفيده قراءةُ الفتح- إن أراد اللهُ بهم ذلك الضر»[1].

﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[الفتح: ١٥] بكسر اللام بلا ألِف (كَلِمَ الله).

جمع «كَلِمة»، والكَلِم والكَلام يرجعان إلى معنًى واحد.

وقال القرطبي: «والكلام: ما استقلَّ بنفسه من الجمل. قال الجوهري: الكلام اسم

---

(١) الدرر الباهرة (٢/ ٣٨٩)، وينظر الكشف (٦٠٥)، الكتاب الفريد (٥/ ٦٤٤)، الكتاب الموضح (٢/ ٧٣٤).

جنس يقع على القليل والكثير. والكلم لا يكون أقلَّ من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة مثل: نَبِقَة ونَبِق. ولهذا قال سيبويه: «هذا بابُ علمِ ما الكَلِمُ من العربية»، ولم يقُل: ما الكلام؛ لأنه أراد نفس ثلاثة أشياء: الاسم والفعل والحرف، فجاء بما لا يكون إلا جمعًا، وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة. وتميم تقول: هي كِلْمَة، بكسر الكاف».

وقال ابن أبي مريم: «﴿أن يبدلوا كَلِمَ الله﴾ بكسر اللام من غير ألف: قرأها حمزة والكسائي.

والوجه أنه جمع «كلمَة»، وقد يقع الكَلِم لما يكون كلامًا، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وإنما أراد تعالى قولَه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥]، والعَرَب قد تسمي الخطبةَ والقصيدةَ كلمة، وقد سبق القول في مثله.

وقرأ الباقون: «كلام الله» بالألف.

والوجه أن الكلام يختص بما كان جملةً، كالحديث والخبر، وهو اسم للمصدر، يُقال: كلَّمَه تكليمًا وكلامًا، وكلام الله ها هنا يراد به قوله تعالى: ﴿ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة: ٨٣]، فقال المنافقون للنبيِّ -عليه السلام- وأصحابه: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: ١٥]، وأرادوا بذلك تبديلَ الكلام الذي قال اللهُ، وهو قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]»[١].

سورة ق

﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠] بكسر الهمزة (وَإِدْبَارَ).

مَصدر «أَدبَر»، وهو مصدر قام مقام ظرف الزمان، كقولك: جئتك خُفُوقَ النجم، وأتيتك مَقدم الحُجَّاج، والمعنى: وقتَ إدبارِ الصلاة، أي انقضائها وتمامها.

(١) الكتاب الموضح (٢/ ٧٣٤، ٧٣٥)، وينظر تفسير القرطبي (٩/ ٦٣٢٢)، الكتاب الفريد (٥/ ٦٤٥).

قال مكي: وفي هذه الآية أمر من الله جل ذكره لنا أن نسبحه بعدَ الفراغ من الصلاة.

وقال ابن أبي مريم: «تقديره: وقت إدبار السجود، أي: وقت الفراغ من الصلاة، قيل: هي النوافل بعد الصلوات المكتوبة، وقيل: هي الركعتان بعدَ المغرب»[(١)]، والله أعلم.

سورة الذاريات

﴿مِّثۡلَ مَآ﴾ [الذاريات: ٢٣] برفع اللام (مِثلُ مَا).

على أنه صفة لـ «حَقٌّ» -وهو نكرة-، ولا يضر تقديرُ إضافتها إلى معرِفة؛ لأنها لا تتعرَّف بذلك لإبهامها، كما تقول: أتاني رجلٌ مثلُ زيدٍ؛ لأن «مثلًا» نكرة وإن أضيف إلى معرفة؛ لأنه لا يتخصص بالإضافة، ولا يتعرف؛ لأن الأشياء التي يقع بها التماثل بين المتماثلين كثيرة، فهو نكرة من جهة المعنى وإن كان مضافًا إلى المعرفة.

أو أنه خبر ثانٍ، أو أنه مع ما قبله خبر واحد نحو: هذا حُلوٌ حامِضٌ[(٢)].

﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ ﴾ [الذاريات: ٤٦] بخفض الميم (وَقَوْمِ).

عطفًا على ما قبله من المجرور من «مُوسَى» و«عادٍ» و«ثمود».

و«فِي مُوسَى» يجوز أن يكون عطفًا على ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾ [الذاريات: ٢٠]، أي: وفي موسى آيات، أي: وفي إرساله إلى فرعون آيات، ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ ﴾، وهو أحسن لقربه، على معنى: وجعلنا في موسى آية، أي: في إنجائه مما لحق فرعونَ وقومَه من الغرق.

وعلى التقديرين في عطف ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ ﴾ [الذاريات: ٣٨] يكون المعنى في عطف ﴿وَقَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الذاريات: ٤٦]، فالمعنى: وفي قوم نوح آيةٌ كما في قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾، أو: وفي قوم نوح آيةٌ، أي: وتركنا في إرسال موسى آيةً، وتركنا في قوم نوح آيةً[(٣)].

---

(١) الكتاب الموضح (٢/ ٧٤١) بتصرف يسير، وينظر الكشف (٦٠٩)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٨٠).
(٢) ينظر الإتحاف (٥١٦).
(٣) ينظر الكتاب الفريد (٦/ ١٥).

سورة الطُّور

﴿ يُصۡعَقُونَ ﴾ [الطور: ٤٥] بفتح الياء (يَصْعَقُون).

على البناء للفاعل، من صَعِقَ يَصْعَقُ صَعْقًا إذا مات، ويَصْعَقون: يموتون، فالواو ضمير الفاعلين.

وأما «يُصْعَقُون» بضم الياء فعلى البناء للمفعول، أي: يُماتون، إما من صَعِقَ زيدٌ، وصَعَقَه غيرُه، إذا أماته، يتعدَّى ولا يتعدى، كسَعِدَ وسَعَدتُه فهو مسْعُود، فيكون كيُضْرَبون، وإما من صَعِقَ زيدٌ وأصْعَقَه غيرُه إذا أماته أيضًا، فيكون كيُكْرَمون.

أي أن «يُصْعَق» يحتمل أن يكون من صَعَقَه اللهُ، فهو مصعوق، أو أنه من أصعقه اللهُ، فهو مُصعَق.

وقال الفراء: «والعرب تقول: صُعِق الرجلُ وصَعِق، وسُعِدَ وسَعِدَ لغات كلها صواب»[(١)].

سورة النَّجْم

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ ﴾ [النجم: ١٢] بفتح التاء، وإسكان الميم، وحذف الألِف (أَفَتَمْرُونَهُ).

من مَرَيْتَه حقَّه إذا غلبتَه وحَجزته إيَّاه وجحدته ودفعته، وعُدِّي بـ «عَلَى» لتضمُّنه معنى الغَلَبَة، وأنشد:

لَئِن هَجَوْتَ أخَـا صِـدْقٍ ومَكرمَـةٍ   لقَد مَرَيْتَ أخًـا مَـا كانَ يَمْرِيكَـا

لأنه إذا جحده حقه فقد غلبه عليه، فالمعنى: أفتجحَدُونَه.

وقال المبرد: أي: أفتدفعونه عما يرى، وقال: «على» بمعنى «عن».ا.هـ

أو أنه من مراه على كذا أي غلبه عليه، فهُو من المِراء والجِدال.

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤)، الكتاب الفريد (٦/ ٢٥، ٢٦)، الكتاب الموضح (٢/ ٧٤٩).

وأما «أفتمارونه» فمن مارى يُماري إذا جادل، والمراد بالمراء الجدال بالباطل، فالمعنى: أفتجادلونه فيما علمه ورآه كما قال تعالى: ﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾، قال مكي: «والقراءتان متداخلتان؛ لأن من جادل في إبطال شيء فقد جحده، ومن جحد شيئًا جادل في إبطاله»[1].

وقال الدكتور الخراط: «تتحدث الآيات الكريمة عن موقف قريش من النبي ﷺ إبَّان العهد المكي، وهذا الموقف مبنيٌّ على الخصومة والتكذيب. قال تعالى: ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ وذلك أن قريشًا لما أخبرها رسول الله ﷺ بأمره في الإسراء مستقصًى كذَّبوا واستخَفُّوا، حتى إنه وصف لهم بيتَ المقدس ومسيرة عِيرِهم التي تجوبُ بلادَ الشام.

واختلف القراء في اللفظة، فقرأ حمزة والكسائي: «أفتمرونه»، وقرأ الباقون: «أفتمارونه».

أمَّا قراءة «أفتمرونه» فهي من الثلاثي: مَرَيْته حقَّه إذا جحدته إيَّاه. وكان من شأن مشركي مكة الجحود إزاء ما يأتيهم به النبي ﷺ، فكانوا يجابهونه بهذا التكذيب، ويتهمونه بالسحر والجنون وحديث أساطير الأولين، فيكون معنى الآية وَفْقَ هذه القراءة: أتُكَذِّبونه فيما أخبر أنه شاهده من الآيات العظيمة؟

وفِعلُ الرؤية في الآية مقصود لذاته لبيان أن قريشًا لا تُكذِّب ما جاء به النبي ﷺ من أخبار فحسب، بل ثَمَّة جُحودٌ أغلظُ من ذلك، وهو تكذيبُ ما رآه بنفسه عيانًا، وهذه منزلة في الجحود أبلغُ.

واستعمال قاعدة التضمين في هذا الفعل من خلال تعدِّي الفعل «أفتَمْرُونه» بـ «على» يعني أن هذا التضمين أفاد معنى الفعلين، فقد أضيف إلى فعل الجحد معنى المغالبة. يقول الشيخ ابن عاشور: «تعدية الفعل بحرف الاستعلاء لتضمنه معنى الغَلَبة، أي: هَبْكُم غالَبْتموه على عبادتكم الآلهة، وعلى الإعراض عن سماع القرآن ونحو ذلك، أتغلبونه على ما رأى ببصره؟»».

(١) ينظر الكشف (٦١٦)، الدر المصون (٦/ ٢٠٦)، الكامل للمبرد (٢/ ٧٢١).

وهكذا أفادت هذه القراءةُ بيانَ موقفِ قريش الجاحد جحودًا غليظًا لما يراه محمد صلى الله عليه وسلم بعينيه، ومغالبته على هذه الرؤية.

أما القراءة الثانية «أفتمارونه» فهي من ماراه يُماريه مُماراة، أي: جادَله وحاجَجَه، من ماريْت الرجلَ، وماررْته إذا خالفته وتلويت عليه. قال الراغب: «والـمُماراة: الـمُحاجَّة فيما فيه مِرْية». واشتقاقه من مَرْي الناقة؛ لأن كل واحدٍ من الـمُتجادِلَيْن يَمْري ما عند صاحبه، ويُقال للمناظرة: «مُماراة»؛ لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويَمْتريه كما يَمْتري الحالبُ اللبن من الضَّرْع.

وتضيف هذه القراءة المتواترة وصفًا جديدًا ناجمًا عن موقف قريش، وهو حركة الجدال الشديدة التي كانت تُنشِئُها تجاه ما يُخبِر به من غيب أو شيء يراه، وهذا الذي عبَّرت عنه أحداثُ السيرة عندما أخبر رسول الله ﷺ قريشًا عن أمره في حادثة الإسراء، فمَضَوْا يُجادلونه، ويثيرون أمامه الشكوكَ والتساؤلات، فيكون معنى الآية: «أتجادلونه جدالًا ترمون به دفْعَه عما عَلِمَه وشاهده من الآيات الكبرى؟».

فواعجبًا للقوم الذين يجادلونه في شيء أبصره بأُمِّ عينيه!!!.

وهكذا تتعاضد القراءتان في الكشف عن موقف قريش من هذا النبي الصادق؛ إذ تبدو في القراءة الأولى أشكالٌ من الجحود والصدِّ والتكذيب بدفْع ما يقوله، وتبدو في القراءة الثانية شكوكٌ وتساؤلاتٌ واصطناع لوسائل الجدل المريب إزاء ما يُخبرهم به، ففي كل قراءة مَذاقٌ ودلالة، وبذلك تكونُ القراءاتُ المتواترة مصدرًا موثوقًا من مصادر بيان ما كان يَجْري في العهد المكي إزاء الرسول ﷺ»[(١)].

سورة القمر

﴿خُشَّعًا﴾ [القمر: ٧] بفتح الخاء، وألِف بعدَها، وكسر الشين مُخفَّفة (خَاشِعًا).

بإفراد اسم الفاعل، وذلك أنه يجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة

---

(١) الإعجاز البياني (١٤٠: ١٤٢).

التوحيدُ والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: مررت برجال حسنٍ أوجُهُهُم، وحسنةٍ أوجهُهم، وحِسانٍ أوجهُهم.

وقال البقاعي: «وإفرادُه على أن الخشوع بلغ في النهاية من الشدة ونسبته إلى كل بصر على حَدٍّ سواء»[1].

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ [القمر: ٢٦] بتاء الخِطَاب (سَتَعْلَمُونَ).

على أنه خطاب من الله تعالى، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، أو أنه حكاية لقول صالح عليه السلام لقومه، والله تعالى أعلم، وتأمَّل قوةَ ما فيه من التهديد.

سورة الرحمن عَزَّ وَجَلَّ

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [سورة الرحمن: ١٢] بالجر (وَالرَّيْحَانِ).

قال مكي: حجة من خفض «الريحان» أنه عطفه على «العَصْفِ»، فالتقدير: والحب ذو العصف وذو الريحان. فالمعنى: والحب ذو الورق وذو الرزق، فالورق رزق البهائم، والريحان هو الرزق لبني آدم كما قال تعالى: ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ [طه: ٥٣- ٥٤]، وكما قال: ﴿وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فالفاكهة رزق لبني آدم، والأَبُّ ما ترعاه البهائم.

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [سورة الرحمن: ٢٤] بكسر الشين (الْمُنشِئَاتُ).

من «أنشأَ» بمعنى أوجَدَ، اللاتِي يُنشِئنَ الأمواجَ بجَريِهِنَّ، أو التي تُنشِئ السفر إقبالًا وإدبارًا، أو من «أنشأَ» بمعنى شَرَعَ في الفعل، أي الـمُبتَدِئات، فالجوارِي -وهنَّ السفن- أنشأْنَ السيرَ أي ابتَدَأْنَه فهنَّ مُنشِئات، والتقدير: المنشِئاتُ السيرَ.

وإسناد الفعل إليها على وجه الاتساع، كما يقال: أنشأت السحابةُ المطرَ.

وقيل أيضًا: المُنشِئات: الرَّافِعات الشُّرُع، والله تعالى أعلم.

---

(١) نظم الدرر (١٩/ ١٠٠).

﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ [سورة الرحمن: ٣١] بالياء التحتية (سَيَفْرُغُ).

على أنه مسند إلى ضمير اسم الله تعالى المتقدم ذكره في قوله: ﴿وله الجوار المنشئات﴾ [سورة الرحمن: ٢٤]، وقوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧].

قال الزهيري: «قراءة الياء تفيد الإعراضَ عن مخاطبة الجن والإنس، وقراءة النون تفيد عظيمَ قدرة الله، وعظيمَ عذابه وانتقامه ممن عصاه».

سورة الواقعة

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] بالجر فيهما (وَحُورٍ عِينٍ).

يجوز أن يكون معطوفًا على «بِأَكوَابٍ»، وهو محمول على المعنى؛ لأن المعنى: يتنعمُّون بأكوابٍ وفاكهةٍ ولحمٍ وحُورٍ، قاله الزجَّاج. ويجوز أن يكون معطوفًا على «جناتٍ»، أي هم في جنات النعيم، وفي حُورٍ عِينٍ، على تقدير حذفِ المضاف كأنه قال: وفي معاشرة حورٍ.

وقال الفرَّاء: الخفض على الإتباع في اللفظ وإن اختلفا في المعنى؛ لأن الحور لا يُطاف بهنَّ، قال الشاعر:

إذا مَـا الغَانِيَـاتُ بَـرَزْنَ يَومَـا وَزَجَّجْـنَ الحَوَاجِـبَ والعيُونَـا

والعيون لا تُزَجَّج وإنما تُكَحَّل، فعطفها على الحواجب؛ لأن المعنى يُعرَف، وقال آخر:

ولقيـت زوجـك في الْـوَغَى مُـتقلدًا سَـيْفًا وَرُمْحًـا

والرمح لا يُتقلد، فردَّه على السيف، وقال آخر:

علفتهـا تبنًـا ومـاءً بـارِدًا حـتى شَـتَتْ همالـةً عيناهـا

والماء لا يُعتلف؛ إنما يُشرب، فجعله تابعًا للتبن.

وقال قطرب: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حَملٍ على المعنى. قال:

ولا ينكر أن يطافَ عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذةٌ.

وذكر ابن كثير فيها احتمال الجر على الإتباع، قال: «والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحورُ العين، ولكن يكون ذلك في القصور، لا بين بعضهم بعضًا، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين، والله أعلم»[(١)].

﴿ عُرُبًا ﴾ [الواقعة: ٣٧] بإسكان الراء (عُرْبًا).

العُرب جَمعُ عَرُوب، والتسكين فيها للتخفيف كرَسُول ورُسْل في لغة تميم وبكر[(٢)].

والعَرُوبُ هي الـمُتحَبِّبَة إلى زوجها الغَنِجَة، الحسَنة التبعل.

﴿ بِمَوَٰقِعِ ﴾ [الواقعة: ٧٥] بإسكان الواو، وحذف الألف (بِمَوْقِعِ).

على الإفراد، اسمُ جِنس يدلُّ على القليل والكثير، فهو مصدر.

قال الدكتور الزهيري: «قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «بمواقع» بصيغة الجمع بفتح الواو وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «بموقع» سكون الواو دون ألف بعدها بصيغة المفرد على أنه مصدر ميمي، أي: بوقوعها أي: غروبها، أو هو اسم لجهة غروبها كقوله: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

قلت: وعلى هذا فتعلُّق هذا القَسَم بالمقسم عليه بعده تعلُّقٌ بديع، أما على قراءة «موقع» بمعنى «وقوع» فهو أن النجم إذا وقع نتج عن ذلك -كما ثبت حديثًا- العديدُ من العناصر التي يحتاجها الخلق في معاشهم وصناعاتهم، كما أن وقوع النجم ينجم عنه الخيرُ الكثير، فكذلك القرآن الكريم في نزوله خيرٌ كثير وبركةٌ عميمة، وأما على قراءة «مواقع» فكذلك لأن ما نراه في السماء -كما ثبت حديثًا- هو موقع النجم وليس النجم نفسه، والنجم إذا انفجر نجم عن ذلك العناصرُ الكثيرة، ويبقى موضعُه مُضيئًا في السماء لأجَل طويل، فلا يظهر موقع النجم إلا بوقوعه، فهما قراءتان متكاملتان،

---

(١) عمدة التفسير (١/ ٣٨٣)، وينظر تفسير القرطبي (٦٦٠٥، ٦٦٠٦)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٣، ١٢٤).

(٢) ينظر أيضًا «خُطُوات» بسورة البقرة.

ويحتمل أن يكون قوله: «بموقع» دالًّا على الجنس، فيكون بمعنى«مواقع»»[(١)].

سورة الحديد

﴿ٱنظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣] بهمزة قَطعٍ مفتوحة وصلًا وابتِدَاءً، وكسرِ الظاء، وعليه إشباع المد المنفصِل قبلَه على أصله (ءَامَنُوا أَنظِرُونَا)، وقد انفردَ به حمزة.

من «أَنظَرَ» الرباعِي، أي:أخِّرُونا، يقال: أنظرته، إذا أخرته، والمعنى: أمهِلونا، ومنه قوله : ﴿أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]. وقال الفرَّاء: وقد تقول العرب: أنظرني، وهم يريدون انتظرني، وأنشد لعمرو بن كلثوم:

أَبَــا هِنْــدٍ فَــلَا تَعْجَــلْ عَلَيْنَــا   وَأَنظِرْنَــا نُخَــبِّرْكَ الْيَقِينَــا

أي: انتظرنا قليلًا نخبرك؛ لأنه ليس ها هنا تأخير، إنما هو استماع كقولك للرجل: اسمع مني حتى أخبرك.

والمعنى: انتظرونا لنلحق بكم فنستضيءَ بنوركم.

وقال البقاعي في معنى قراءة حمزة: «أي: أخِّرونا في المشي وتأنوا علينا وأمهلوا علينا، لا تطلبوا منا السرعةَ فيه، بل امكثوا في مكانكم لننظر في أمرنا كيفَ نلحقُ بكم، والحاصلُ أنهم عَدُّوا تأنيهم في المشي وتلبثهم ليلحقوا بهم إنظارًا لهم».ا.هـ

وأما قراءة حفص ومن معه ﴿ٱنظُرُونَا﴾ فتحتمل وجهين:

الأول: انظرونا أي: انتظرونا؛ لأنه يسرع بالمؤمنين إلى الجنة.

والثاني: انظرونا أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنورُ بين أيديهم فيستضيئون به فيكمنهم ذلك من السَّير.

قال الباحث عادل الهور: «وبالجمع بين القراءتين يظهر لنا كيف يكون حال

(١) الدرر الباهرة (٢/ ٤٣٩).

المنافقين والمنافقات، وذلك أنهم لا يستطيعون المشي على الصراط، وذلك لعدم وجود النور الذي يمشون به، فيطلبوا من المؤمنين أن ينتظروهم، أو يتمهلوا في سيرهم، ولا يسرعوا حتى يتمكنوا من اللحاق بهم، أو ينظروا إليهم؛ وذلك لأن النور بين أيدي المؤمنين، فإذا استقبلوهم بوجوههم استفاد المنافقون من هذا النور»[1].

﴿وَمَا نَزَلَ﴾ [الحديد: ١٦] بتشديد الزاي (نَزَّلَ).

مُعَدًّى بالتضعيف، مسند لضمير اسمِ الله تعالى، لتقدم ذكره في قوله: ﴿أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، والمعنى: وما نزَّله اللهُ من الحق.

وباعتبار التغاير بين صيغتي «فَعَّل» و«فَعَل» يقول الدكتور الزهيري: «قراءة «وما نزَّل» بالتشديد تفيد العِتابَ على عدم خشوع القلوب مع تكرار نزول الآيات وتدرج نزولها، الأمرُ الذي من شأنه أن يليِّن القلوبَ، وقراءة «نَزَلَ» بالتخفيف تفيد العتاب على عدم خشوع القلوب مع أن أيَّ آية تنزلُ من شأنها أن تُحدِثَ الخشوعَ في القلوب المؤمنة حقًّا، فالقرآنُ -كتاب الله العظيم- تكفي الآية الواحدة منه لصلاح القلب واستقامته»[2].

سورة المجادلة

﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ﴾ [المجادلة: ٨] بنون ساكنة مخفاة بعد الياء، وتاء مفتوحة بعدها، وحذف الألف، وضم الجيم (وَيَنتَجُون).

على وزن «يَنتَهُون»، مضارِع «انتَجَى»، من الانتجاء من النجوى وهو السر، وأصله «يَنتَجِيُون» على وزن «يَفْتَعِلُون»، نُقلت ضمة الياء إلى الجيم لِثِقَلها، ثم حُذفَت الياء لسكونها مع سكون الواو فصار على وزن «يَفْتَعُون». وهو مثل «يتناجَوْن» في

(١) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١٢/ ٢٧٩)، وينظر الكتاب الفريد (٦/ ٩٩)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٣)، نظم الدرر للبقاعي (١٩/ ٢٧٣).
(٢) الدرر الباهرة (٢/ ٤٤٦، ٤٤٧).

المعنى؛ فإنَّ «افتَعلوا» و«تَفَاعَلُوا» يأتيان بمعنى واحد كاقتتلوا وتقاتلُوا واختصموا وتخاصموا، والله تعالى أعلم.

﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ [المجادلة: ١١] بإسكانِ الجيم وحذف الألِف، على الإفراد (المَجْلِسِ).

قيل: إن المراد به مجلس النبي ﷺ، لأن الله تعالى ذكر المجلسَ على وجهٍ يقتضِي كونَه معهودًا، والمعهود في زمانِ نزول الآية ليس إلا مجلس رسول الله ﷺ الذي يعظُم التنافسُ فيه.

قال النحاس: «اختلف العلماء في معناه، فصح عن مجاهد أنه قال: هو مجلس النبي محمد ﷺ خاصةً، وصحَّ عن قتادة أنه قال: كان الناس يتنافسون في مجلس النبي ﷺ لا يكاد بعضُهم يوسع لبعض فأنزل الله عز وجل، يعني هذا».

ويجوز أن يراد به الجمع لأنه اسم جنس، كقولهم: كثُر الدينارُ والدرهمُ.

قال السيوطي: «نزلت بسبب ازدحامِ الناس في مجلس رسول الله ﷺ، وحرصِهم على القرب منه، وقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال، ...ثم اختلف: هل هي مقصورة على مجلسه ﷺ، أو هي عامة في جميع المجالس؟، فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدل على ذلك قراءة «المجْلِس» بالإفراد، وذهب الجمهور إلى أنها عامة، ويدل على ذلك قراءة «المجالِس» بالجمع، وهذا هو الأصح، ويكون «المجْلِس» بالإفراد على هذا للجنس».

وقال القرطبي: «الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلسٍ اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلسَ حرب أو ذِكر أو مجلسَ يومِ الجمعة».

وقال أبو حيَّان كذلك: «والظاهر أن الحكم مطرد في المجالس التي للطاعات، وإن

كان السبب مجلس الرسول»(١).

﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١] بكسر الشين فيهما (انشِزُوا فَانشِزُوا)، وعليه فإذا ابتدأ بهمزة الوصل كسرها.

الضمُّ والكسر لغتان فيه، كيعْكُفُون ويَعْكِفُون ويَعْرُشُون ويَعْرِشُون، نُسِب الكسر إلى أهل الحجاز، والضم إلى تميم وقيس وأسد وبكر(٢).

قال القرطبي: النشز: الارتفاع، مأخوذ من نشز الأرض، وهو ارتفاعها، يُقال: نَشَزَ يَنشُز ويَنشِز إذا انتحى عن موضعه، أي: ارتفع منه، وامرأة ناشز: منتحية عن زوجها. وأصل هذا من النشز، والنشز هو ما ارتفع من الأرض وتنحى، ذكره النحاس.

سورة الممتحنة

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ٣] بضم الياء، وفتح الفاء، وتشديد الصاد مكسورةً كما هي (يُفَصِّلُ).

التشديد يدل على الكثرة، لتردد الفعل وكثرة من يفصل الله بينهم يوم القيامة.

سورة الصَّف

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦] بفتح السين، وألِف بعدَها، وكسر الحاء (سَاحِرٌ).

اسم فاعل، يريدون مَن جاء بالبيِّنات. قيل: هو عيسى، وقيل: هو محمد عليهما الصلاة والسلام، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر البحر المحيط (١٠/ ١٢٧)، تفسير القرطبي (١٠/ ٦٧١٣)، معترك الأقران (٢/ ١٢٠)، إعراب القرآن للنحاس (١١٢٠).

(٢) ينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١٢٤، ١٢٥)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤١).

سورة الطَّلاق

﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣] بتنوين ﴿ بَٰلِغُ ﴾، ونصْبِ ﴿ أَمۡرِهِۦ﴾ بالفتحة مع ضم الهاء، وصلتها بالواو وصلًا: (بَالِغٌ أَمْرَهُ).

التنوين على الأصلِ؛ لأنه اسم فاعل بمعنى الاستقبال، فهو يعمل عمل الفعل، و«أمره» مفعول به، والمعنى: إن الله يبلغُ أمرَه، والقراءة الأخرى بحذف التنوين استخفافًا على الإضافة[(١)].

وقال الباحث صابر محمد: «قراءة «بالغٌ أمرَه» بالتنوين أراد الحال والاستقبال، كقولك: الأمير خارجٌ الآن أو غدًا، ومَن لم ينون جاز أن يريد الماضي والاستقبال، و«بالغُ أمرِه» بالإضافة أي: منفذ أمره، وبتنوين «بالغ» ونصب «أمره» أي: يبلغ ما يريده، لا يفوتُه مرادٌ، ولا يعجزُه مطلوبٌ»[(٢)].

سورة التَّحريم

﴿ وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢] بكسر الكاف، وفتح التاء، وألِفٍ بعدها (وَكِتَابِهِ).

على الإفراد، يحتمل أن يُرادَ به الجنس، فيكون بمعنى الجمع، فقد صدَّقَتْ بكتب الله عز وجل، أو يرادَ به الإنجِيل -قال ابن عاشور: إن كان قد كتبه الحواريون في حياتها، والله تعالى أعلم[(٣)].

سورة المُلك

﴿ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [الملك: ٣] بحذف الألف، وتشديد الوَاو (تَفَوُّتٍ).

مصدر «تَفَوَّتَ»، والتَّفَوُّتُ والتفَاوُتُ لغتان بمعنى واحد، وهو الاختلاف،

---

(١) ينظر الكتاب الفريد (٦/ ١٦٥، ١٦٦).

(٢) تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١٣/ ٣٦).

(٣) ينظر البحر المحيط (١٠/ ٢١٧)، الكتاب الفريد (٦/ ١٨٠)، التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٧٩).

كالتعَهُّد والتعاهُد والتحَمُّلِ والتحامُل والتظَهُّر والتظاهُر، ومثل: تضاعَف وتضَعَّف وتباعد وتبعَّد وتصاعر وتصعَّر.

والمعنى: ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين، بل السموات مستقيمة مستوية، دالة على خالقها. وقيل: المراد بذلك السموات خاصة، أي: وما ترى في خلق السموات من عيب.

وأصله من الفوت، وهو أن يفوت شيءٌ شيئًا فيقع الخلل لقلة استوائها، وقال أبو عبيدة: تفوت الشيء أي: فات[1].

سورة القلم

﴿أَن كَانَ﴾ [القلم: ١٤] بزيادة همزة للاستفهام (ءأَن).

استفهام مراد به التوبيخ، والمعنى: أَلِأن كان ذا مال وبنين تطيعُه؟ ويجوز أن يكون التقدير أَلِأن كانَ ذا مال وبنين يقول إذا تتلى عليه آياتُنا: أساطيرُ الأولين؟، ويجوزُ أن يكون التقدير: ألأن كان ذا مال وبنين يكفُر ويستكبر؟ ودلَّ عليه ما تقدَّم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام. ذكر ذلك كلَّه القرطبيُّ، والله تعالى أعلم.

سورة الحاقَّة

﴿لَا تَخۡفَىٰ﴾ [الحاقة: ١٨] بياء التذكير (لا يَخْفَى).

يجوز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث مجازي وللفصل بينه وبين الفعل، وذكر ابن أبي مريم أنه يجوز تذكير الفعل هنا أيضًا لأن الخافِية يراد بها المذكَّر، قال: لأن التاء للمبالغة، والمعنى: لا يَخفَى منكم خَافٍ، فلذلك ذكَّر الفعل[2].

وقال الدكتور الزهيري: «قراءة التاء فيها مراعاة تأنيث لفظ الخافية، وهي تدل

(١) ينظر تفسير القرطبي (١٠/ ٦٩٣٤، ٦٩٣٥).

(٢) ينظر الكتاب الموضح (٨٠١).

بمفهومها على عدم غياب شيء؛ لأن الخافية إذا ظهرت فغيرها أولى، وأما قراءة الياء فوجهها أن تأنيث الخافية غير حقيقي، كما تدل بنصها على عدم خفاء شيء؛ لأن المعنى: لا يخفى منكم شيءٌ، ولفظ «شيء» مذكر، فناسب أن يقول «يخفى» بالياء».

سورة المعارج

﴿نَزَّاعَةً﴾ [المعارج: ١٦] برفع التاء (نَزَّاعَةٌ).

في رفعه أوجه:

أحدها: أنها خبر لمحذوف، أي: هي نزَّاعةٌ، و«لَظَى» خبر «إنَّ».

الثاني: أنها خبر ثانٍ لـ«إنَّ»، و«لَظَى» الخبر الأول، كقولهم: هذا حلوٌ حامضٌ.

الثالث: أن تكون بدلًا من «لظى»، و«لظى» خبر «إنَّ».

الرابع: أن تكون «لظى» بدلًا من اسم «إن»، و«نزَّاعة» خبر «إن».

الخامس: أن يكون الضمير في «إنها» للقصة، و«لظى» مبتدأ، و«نزاعة» خبره، والجملة خبر «إن»، والمعنى: إن القصةَ والخبرَ: لظى نزَّاعَةٌ للشَّوى.

السادس: أن تكون «نزاعة» صفة لـ«لظى» إذا لم تُجعَل عَلَمًا بل بمعنى اللهَب، وإنما أنث النعت فقيل «نزاعة» لأن اللهب بمعنى النار. والله تعالى أعلم.

ووجه الرفع على الوصفية أو الخبرية فيه دلالة على ثبات ذلك المعنى فيما أسند إليه، فهذه النار المتلظية لا تكون إلا مُغَيِّرةً للأبشار لوَّاحةً للبشر، نسأل الله السلامة.

والوقف على ﴿لَظَىٰ﴾ على الوجه الأول كافٍ، فيحسن الوقفُ عليها، والابتداء بـ«نزاعةٌ»، وأما على الأوجه الأخرى فالتعلق بين الآيتين ظاهر.

قال الأشموني: «و﴿لَظَىٰ﴾ كافٍ لمن رفع «نزاعة» خبر مبتدأ محذوف، أي: هي نزاعة، وكذا من نصبها بتقدير: «أعني» أو نصبها على الاختصاص، وليس بوقف لمن رفعها على أنها خبر ﴿لَظَىٰ﴾ وجعل الهاء في ﴿إِنَّهَا﴾ للقصة، كأنه قال: كَلَّا إن القصةَ:

لظى نزاعةٌ للشوَىٰ، ومثل ذلك من جعل «نزاعة» بدلًا من «لظى» أو جعلها خبرًا ثانيًا لـ«إنَّ»»[(١)].

﴿ بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ ﴾ [المعارج: ٣٣] بحذف الألف بعدَ الدَّال (بِشَهَادَتِـهِم).

على الإفراد يراد به الجمع لأنه مصدر، فهو اسم جنس، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ [الطلاق: ٢].

﴿ نُصُبٍ﴾ [المعارج: ٤٣] بفتح النون وإسكانِ الصاد (نَصْبٍ).

اسم مفرد بمعنى العَلَم المنصوبِ الذي يُسرِع الشخصُ نحوَه، فهو العلم والغاية، وقيل: الصَّنَم الذي يُنصَب، وقال أبو عمرو: هو شبكة الصائد يُسرِع إليها عندَ وقوعِ الصيد فيها مخافةَ انفِلاته.

سورة المزَّمل

﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ ﴾ [المزمل: ٩] بخفض الباء (رَّبِّ المَشْرِقِ).

صفةٌ لـ«ربِّك»، أو بدلٌ، كأنه قيل: واذكر اسمَ ربِّ المشرق، أو عطفُ بيان.

ونُسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنها مجرورة على القسم بإضمار حرف القسم كما تقول: الله لأفعلنَّ، وجوابه: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، كما تقول: والله لا أحد في الدار إلا زيدٌ. قال أبو حَيَّان: «ولعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس»، ثم رد على هذا القول نحويًّا[(٢)].

وقال الأشموني في الوقف على قوله تعالى: ﴿ تَبۡتِيلٗا ﴾ [المزمل: ٨]: «تام لمن قرأ «ربُّ» بالرفع خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو ربُّ، أو رفعه بالابتداء، والخبر جملة ﴿ لَآ

---

(١) ينظر تفسير القرطبي (١٠/ ٧٠١٣)، الدر المصون (٦/ ٣٧٧)، منار الهدى للأشموني (٨٠٥)، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (١٠٦).

(٢) ينظر البحر المحيط (١٠/ ٣١٦)، الكتاب الفريد (٦/ ٢٥٣)، الكشاف (٦/ ٢٤٤، ٢٤٥)، التفسير الكبير (١٥/ ٨٠٨).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وليس بوقف لمن جرَّه على البدل من «رَبِّك»، ومثله في عدم الوقف من جَرَّه بقَسَم مضمر كقولك: اللهِ لأفعلن، وجوابه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ونُسِب هذا القول لابن عباس.

قال أبو حَيَّان: ولا يصح هذا عن ابن عباس؛ لأن فيه إضمار الجارِّ، ولا يجيزه البصريون إلا مع لفظ الجلالة. ومن قرأه بالجر فلا يقف على ﴿ تَبۡتِيلٗا ﴾»[1].

سورة المدَّثر

﴿ وَٱلرُّجۡزَ ﴾ [المدثر: ٥] بكسر الراء (والرِّجْزَ).

على لغة قريش. قيل: الرِّجز والرُّجز لغتان بمعنًى، كالذِّكر والذُّكر، ذهب إليه الفَرَّاءُ رحمه الله. نقل الدكتور محيسن أن الضم لغة أهل الحجاز والكسر لغة تميم[2].

وقيل: الرِّجز بالكسر العذاب، قال تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ١٦٢]، وقال: ﴿ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ويكون المعنى بتقدير حذفِ المُضَاف: اهجُرْ أسبابَ العَذابِ المؤدية إليه، وقيل: الرُّجز بالضم الصنم، وقيل: بالضم لصنمين: إساف ونائلة، وبالكسر النَّجاسة والمعصية والنقائص، والله تعالى أعلم[3].

سورة القيامة

﴿ يُمۡنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧] بتاء التأنيث (تُمْنَى).

على أن الضميرَ للنطفة، يمنيها الرجلُ، وتمنى أي: تُراق وتُصَب، و«تمنى» في محل نصب نعت للنطفة، أي: نطفة ممناة.

---

(١) منار الهدى (٨١١) بتصرف.

(٢) القراءات وأثرها في علوم العربية (٢٢٠).

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٠، ٢٠١)، البحر المحيط (١٠/ ٣٢٦)، الكشف (٦٥٦، ٦٥٧).

وأما القراءة بالياء فالضمير فيها للمني، وهي صفة له[١].

سورة الإنسان

﴿ سَلَٰسِلَاْ ﴾ [الإنسان: ٤] وقف بسكون اللام الثانية بلا أَلِف، وجهًا واحدًا،

﴿ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ﴾ [الإنسان: ١٥] الأول: وقف بسكون الراء الثانية بلا أَلِف، وأما ﴿قَوَارِيرَاْ مِن﴾ الثاني فهو موافق لحفص في حذف الألف وصلًا ووقفًا.

على المنعِ من الصرف على الأصل بلا تنوين لكونهما جمعَي تكسير، بعد ألف الجمع حرفان في «سلاسل»، وثلاثة ساكنة الوسط في «قوارير»، مثل مساجد وقناديل.

﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ﴾ [الإنسان: ٢١] بإسكان الياء، وكسر الهاء (عَالِيهِم).

على أنها خبر مقدم، و«ثيابُ» مبتدأ مؤخر، أو أنها مبتدأ، و«ثيابُ سندُس» خبره، قال ابن أبي مريم: والمراد بـ«عاليهم» الجمع كما أن الخبر جمع، فالقياس: عالِيَتُهم، لكن اسم الفاعل قد جاء بمعنى الجمع، وإن كان اللفظ واحدًا، قال الشاعر:

ألا إن جـــيرَاني العشــــيةَ رائِــــح دعَــتْهُمُ دواعٍ مــن هــوى ومنــادِحُ

ويجوز أن يكون «عالِيهِم» مبتدأ عَمِلَ عَمَلَ الفعل، و«ثياب» فاعله على قول أبي الحسن، أي يَعلوهم ثيابُ سندسٍ[٢].

﴿خُضۡرٌ وَإِسۡتَبۡرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١] بالخفض فيهما (خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ).

«خُضر» نعتٌ لـ«سُندُسٍ»، و«إِستبرَق» معطوف على «سُندُسٍ»، والمعنى: ثيابٌ من سُندسٍ وثيابٌ من إستبرق، وقد استشكل أن يكون «خُضر» نعتًا لـ«سُندس» وصف المُفرد (سُندس) بالجمع (خُضر) ولم يقُلْ (أَخضَر) إلا أنه جازَ ذلك لأن «سندس» اسمُ جنس، فهو في معنى الجمع، واسمُ الجِنسِ وصفُهُ بالجمعِ سائغ فصيح،

(١) ينظر الكتاب الفريد (٦/ ٢٨٥)، الكتاب الموضح (٢/ ٨١٩).

(٢) ينظر الدر المصون (٦/ ٤٤٧)، الكتاب الموضح (٨٢١، ٨٢٢).

قال تعالى: ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [الرعد: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ [ق: ١٠]، وفي التنزيل أيضًا: ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ ﴾ [النور: ٣١].

ولا يحسن عطف «إستبرق» على «خُضر» (أي سندس خُضرٍ وسندس إستبرقٍ) لأنه يوجب أن يكون الإستبرق من صفة السندس، والجنسُ لا يكون صفةً لجنس آخر؛ لأنه يلزم منه أن يكونا جنسًا واحدًا، وهما ليسا كذلك، بل هما جنسان: السُّندُس ما رقَّ من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه[١].

سورة النَّبأ

﴿ لَّبِثِينَ ﴾ [النبأ: ٢٣] بلا أَلِف (لَبِـثِـينَ).

على أنه صفة مُشبَّهة، تدل على الثُّبوت والـمُكث، فاللَّبِثُ: الذي صار له اللَّبْث (أو اللُّبْث) سَجِيةً كحَذِر وفَرِح، وقيل: هما لغتان، يقال: رجلٌ لابِث ولَبِث كطَامِع وطَمِع وحاذِر وحَذِر وفَارِه وفَرِه.

وقال الزمخشري: «واللَّبِث أقوى؛ لأن اللابث من وجد منه اللبث، ولا يقال: «لَبِثٌ» إلا لمن شأنه اللبث، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه»[٢].

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [النبأ: ٣٧] برفع نون «الرَّحْمَن»: (الرَّحْمَنُ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ).

على أنه مُبتدأ، والخبر جملة ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، وعليه فيكون الوقف على ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ تامًّا؛ لأن الجملة استئنافية جديدة.

أو على أنه خبرٌ لمبتدأ محذوف، أي: هو الرحمنُ، وجملة «لا يملِكُون» جملة جديدة مُستأنفة أو خبر ثانٍ، وعليه فيكون الوقف على «وما بينهما» كافيًا، فيحسُن الوقف عليه

(١) ينظر البحر المحيط (١٠/ ٣٦٧)، الدر المصون (٦/ ٤٤٩)، الكشف (٦٦٣).
(٢) ينظر الكشاف (٦/ ٢٩٩)، تفسير القرطبي (١٠/ ٧٢١٤)، الكتاب الفريد (٦/ ٣٢٣).

والابتداء بلفظ «الرحمنُ» أيضًا، والله تعالى أعلم[١].

والقراءة بالجر على التبعية اللفظية، إما على البدل أو الصفة لـ «ربِّ»، وهي صفة تفيد المدح في ذاتها، وهي وإن كانت تابعةً لما قبلَها لفظًا ومعنًى على ظاهر الاستعمال، فإن المغايرةَ في قراءة الرفع قد أخرجتها عن تبعيتها اللفظية للتنبيه على معنى المدح وتأكيده؛ لأن التابع في حال المخالفة الإعرابية وبخاصة وجهُ الرفع قد صار جملة قائمة بذاتها.

وفي القراءة بالرفع بعد الجر افتنان موجبٌ لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجدِّ في الإصغاء.

قال الدكتور أحمد سعد: «وهذي أولًا وأخيرًا مسألة إحساس وتذوق، يكمن مبعثها في تلك النقلة الصوتية التي يلحظها القارئُ والسامعُ من تغيُّر نغمة النسق عند التلاوة، وكأني بها تأخذ بعقله ووجدانه معًا، فتلفته إلى أن ها هنا أمرًا عظيمًا حَريًّا بملاحظته والاهتمام به»[٢].

سورة النَّازعات

﴿نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] قرأ بألِف بعدَ النون (نَّاخِرَةً).

فيها موافقة لرءوسِ الآي، قيل النَّاخِرة والنَّخِرة بمعنى واحد بمنزلة الطامِع والطَّمِع والباخِل والبَخِل، وقيل: النَّخِرَة من نَخِرَ العظم يَنخَر فهو نَخِرٌ (مثل عَفِنَ يَعفَن فهو عَفِن) وذلك إذا بَلِي وصار بحيث لو لمسته تفتَّتَ، وأما النَّاخِرة فهي العظام الفارِغة التي يحصل من هُبوبِ الريحِ فيها صوتٌ كالنَّخير، وعلى هذا فالناخِرة من النخير بمعنى الصوت كنخير النائم والمخنوق لا من النخر الذي هو البِلَى، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر منار الهدى (٨٢٨).

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية (١٠٩).

سورة عَبَس

﴿فَتَنفَعَهُ﴾ [عبس: ٤] برفع العَين (فَتَـنفَعُهُ).

عَطفًا على «يَذَّكَّرُ»، والتقدير: لعلَّهُ يذَّكَّرُ أو لعلَّهُ تنفَعُهُ الذكرَى، وهي كقراءته في قوله تعالى: ﴿لعَلِّي أَبلُغُ الأسبَابَ أسبَابَ السَّمَـٰوَٰتِ فأَطَّلِعُ﴾ [غافر: ٣٦- ٣٧].

قال الدكتور الزهيري: «المعنى في قراءة الرفع به لعلَّه يزكى وتطهر نفسُه، أو يتذكر ويفيق مما قد يعتري نفسه من نسيانٍ وغفلةٍ فينتفع بذلك، وهي تدل على أن الذكرى لا تكاد تنفع الغافل اللاهي، والله أعلم». وقال عن قراءة النصب كذلك: «وهي تدل على أن الذكرى لا تكاد تنفع إلا من زَكَت نفسُه».

سورة التَّكوير

﴿نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] بتشديد الشين (نُشِّرَت).

للمبالغة، لكثرة الصحف، وقد قال تعالى: ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢].

قال الآلوسي: «﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ أي صحف الأعمال، أخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال: إذا مات الإنسان طويت صحيفته ثم تنشر يوم القيامة فيحاسب بما فيها، وقيل: نشرت أي: فرقت بين أصحابها. عن مرثد بن وداعة: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحفُ من تحت العرش فتقع صحيفةُ المؤمن في يده في جنَّةٍ عالية، وتقع صحيفةُ الكافر في يده في سَموم وحميم، أي مكتوبٌ فيها ذلك، وهي صحف غير صحف الأعمال، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي «نُشِّرَت» بالتشديد للمبالغة في النشر بمعنييه، أو لكثرة الصحف أو لشدة التطاير».

﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢] بتخفيفِ العَين (سُعِرَت).

من السَّعير، أي: أُلهِبَت وأُوقِدَت، وقد قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥]، والتشديد في نحو هذا يفيد التكثيرَ وتكريرَ الفعل، والتخفيف يحتمل القليل

والكثير، والله أعلم.

سورة المطَفِّفِين

﴿ فَكِهِينَ ﴾ [المطففين: ٣١] بإثبات أَلِف بعد الفاء (فَاكِهِينَ).

قال أبو حَيَّان: «أي أصحاب مَرح وسرور باستخفافهم بأهل الإيمان» ا.هـ، وقد قيل إن فَكِهًا وفاكِهًا لغتان مثل طَمِع وطامِع وحَذِر وحاذر، وقيل: الفَكِهُ الأشِر البَطِر، والفاكِه الناعِم المتنعِّم، والله تعالى أعلم.

سورة الانشقاق

﴿ لَتَرۡكَبُنَّ ﴾ [الانشقاق: ١٩] بفتح الباء (لَتَرْكَبَنَّ).

إما على خطابِ الإنسان المتقدم الذكر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ [الانشقاق: ٦]، والمراد بالإنسان الجِنس، والمعنى: لتركبَنَّ أيها الإنسان حالًا بعد حالٍ من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيًّا وميتًا وغنيًّا وفقيرًا وصحيحًا ومريضًا وشابًّا وهَرِمًا،

وإما خطاب غيره، قيل: هو خطاب للرسول ﷺ، أي: لتركبَنَّ يا محمد حالًا بعد حَال، وأمرًا بعد أمر، وقيل: سماءً بعدَ سماء، ودرجةً بعدَ درجة، ورُتبةً بعدَ رتبة في القرب من الله تعالى، وقيل: لتركبَن يا محمد الآخرةَ بعدَ الأولى.

وقال ابن عطية: «وقيل: هي عِدَة بالنصر، أي: لتركبَن العربَ قبيلًا بعدَ قبيل، وفتحًا بعدَ فتح، كما كان ووجد بعد ذلك فيكون بشارةً للمسلمين».

وقال ابن أبي مريم: «لتركبَنَّ يا محمد طبَقًا من أطباق السماء بعدَ طبق - يعني ليلة المعراج» ا.هـ

وقيل إن التاء للتأنيث، والفعل مسند لضمير «السماء»، أي لتركبَنَّ السماءُ حالًا بعدَ حال، تكون كالمُهل وكالدِّهان وتنفطر وتنشق.

وقيل: لتصيرنَّ الأمورُ حالًا بعدَ حال بتغيرها واختلاف الأزمان، يعني الشدة، فالأمور فاعلة، وتكون التاء لتأنيث الجمع، والله تعالى أعلم[١].

سورة البُرُوج

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] بخفضِ الدال (المَجِيدِ).

صِفة للعَرش، وقيل: صفة لـ«ربِّك»، أي إن بطشَ ربِّك المجيدِ لشديدٌ، وفيه بُعْد.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «ومَن قرأ «المجيدِ» بالكسر فهو صفةٌ لعرشه سبحانه، وإذا كان عرشُه مجيدًا فهو سبحانه أحقُّ بالمجد. وقد استشكل هذه القراءةَ بعضُ الناس وقال: لم يُسمع في صفات الخلق «مجيد»، ثم خرَّجها على أحد الوجهين: إما على الجوار[٢]، وإما أن يكون صفةً لـ«ربك»، وهذا من قلة بضاعة هذا القائل، فإن الله سبحانه وَصَفَ عرشَه بالكرم[٣]، وهو نظير المجد، ووصَفَه بالعظمة[٤]، فوصْفُه سبحانه بالمجد مطابقٌ لوصفه بالعظمة والكرم، بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك، لسعتِه وحسنِه وبهاءِ منظره، فإنه أوسعُ كل شيء في المخلوقات وأجملُه، وأجمعُه لصفاتِ الحسن، وبهاءِ المنظر، وعلو القدر والرتبة والذات، ولا يقدر قدرَ عظمَتِه وحسنه وبهاءِ منظرِه إلا الله، ومجدُه مُستفاد من مجد خالقه ومُبدعه، والسموات السبع والأرضون السبع في الكرسي -الذي بين يديه- كحلقة مُلقاة في أرضٍ فَلاة، والكرسيُّ فيه كتلك الحلقة في الفلاة. قال ابنُ عبَّاس: السمواتُ السبع في العرش كسبعة دراهم جُعِلن في ترس، فكيف لا يكونُ مجيدًا وهذا شأنُه؟ فهو عظيمٌ كريمٌ مجيد. وأما تكلف

(١) ينظر الدر المصون (٦/ ٤٩٩)، القرطبي (١٠/ ٧٣١٥)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٥٩)، الكتاب الموضح (٨٤٢)، الكشف (٦٧٢، ٦٧٣)، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر (١٣/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) يعني أنها تستحق الرفع ولكنها جُرَّت فقط لمجاورتها مجرورًا وهو «العرش»، كما قيل في: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ.

(٣) كما قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

(٤) كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

هذا المتكلف جره إلى الجوار، أو أنه صفة لـ«ربِّك» فتكلف شديد، وخروج عن المألوف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك»[١].

سورة الفَجر

﴿ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفجر: ٣] بكسر الواو (وَالوِتْرِ).

الوَتر والوِتر لغتان فيه كالحَبَر والحِبر. الفتح لغة قريش وأهل الحجاز، والكسر لغة تميم، وبكر بن سعد بن بكر، وهم بنو سعد أظآر النبي ﷺ، وهم أهل العالية، فهما لغتان في الوتر بمعنى الفرد[٢].

سورة الهُمَزة

﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ ﴾ [الهمزة: ٢] بتشديد الميم (جَمَّعَ).

على المبالغة، جَمَعَ شيئًا بعد شيء، وفيه موافقة لـ «عَدَّدَه».

قال الدكتور الزهيري: «قرئ «جَمَّع» بالتشديد، والمعنى في «جَمَعَ» و«جَمَّعَ» واحد متقارب، والفرق أن «جَمَّع» بالتشديد يفيد أنه جمعه من ها هنا وها هنا، وأنه لم يجمعه في يوم واحد ولا في يومين، ولا في شهر ولا في شهرين، يقال: فلان يُجمِّع الأموال، أي: يجمعُها من طرق شتَّى، وأما «جَمَع» بالتخفيف فتدل على ذمِّ ولوم مَن جمع أموالًا قليلة فاغترَّ بها، وركن بسببها إلى الدنيا، كما أن «جَمَّع» تدل على ذم مَن اغتر بالأموال الكثيرة التي جمعها، فهما متكاملتان».

وقال مكي عن القراءة بالتخفيف: «فيه قُرْبُ وقتِ الجمع، كما قال: ﴿ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ [الكهف: ٩٩]، وقال: ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٧]، فهذا يدل على جمعهم في أقرب الأوقات».

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (٦٤).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٥)، وينظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية (١١٩)، وللتفصيل فيما قيل من لهجات في تلك الكلمة ومعانيها ينظر اللهجات العربية في التراث (٢٥٦: ٢٦٠).

وقال ابن أبي مريم: «"جَمَع" بتخفيف الميم، والوجه أنه لما كان المالُ واحدًا لم يبْن الفعل على بناء التكثير.

ويجوز أن يكون الفعل متضمنًا للكثرة وإن كان مخفَّفًا، فإن ما يستفاد من المشدَّد من الكثرة قد يستفاد أيضًا من المخفف، إذ يصلح للقليل والكثير»[1].ا.هـ

ولعل في صيغة التشديد «جَمَّعَ» ما يشير إلى شدة حرصه على جمع المال من أي باب كان، والله تعالى أعلم.

﴿ عَمَدٍ ﴾ [الهمزة: ٩] بضم العينِ والميم (عُمُدٍ).

جمع «عَمُود» كرَسُول ورُسُل وزَبُور وزُبُر، أو «عِمَاد» ككتاب وكتب.

سورة المَسَد

﴿حَمَّالَةَ﴾ [المسد: ٤] برفع التاء (حَمَّالَةُ).

جملة «وامرأتُه حمالةُ»: مبتدأ وخبر، سِيقت للإخبار بذلك، و«في جيدها حبل» خبر ثانٍ. وقيل: «وامرَأته» عطفٌ على الضمير في «سيصلَى» سَوَّغه الفَصلُ بالمفعول، أي سيصلى هو وامرأتُه، و«حمالةُ» على هذا نعت لـ «امرأته» أو عطف بيان أو بدل، وتحتمل أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هي حمالةُ. والله تعالى أعلى وأعلم.

وأما القراءة بالنصب «حمَّالةَ» فعلى الذم، أي: أذمُّ حمالةَ الحطب. قال أبو علي: كأنها اشتهرت بذلك فجرت الصفة للذم لا للتخصيص.

قال سيبويه: «تقول: «أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ»، لم يُرِد أن يكرره، ولا يُعرفَّك شيئًا تُنكِرُه، ولكنه شتمه بذلك».

ثم قال في نصب «حمَّالة»: «لم يجعل الحمالةَ خبرًا للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكرُ حمَّالةَ

(١) ينظر الكتاب الموضح (٢/ ٨٧١)، الكشف لمكي (٦٩٠)، الدرر الباهرة للزهيري (٢/ ٥٩٣).

الحطب، شتمًا لها، وإن كان فِعلًا لا يُستعمل إظهاره.

قال عروة الصعاليك العبسي:

سَقَوْنِي الخَمْرَ ثمَّ تَكنَّفوني عُدَاةَ الله من كَذِبٍ وَزُورِ

إنما شتمهم بشيء قد استقرَّ عند المخاطبين».

وهكذا يبدو لنا من خلال قراءة النصب أن هذه المرأة لا تحتاج إلى صفة إضافية تخصصها، وإنما يريد السياقُ إبرازَ ذمِّها.

وقد أجاز النحاس وغيره نصب «حمَّالة» على الحال من «امرأته» فيمن رفعها بالعطف، أي: تصلى النارَ مقولًا لها ذلك.

قال الدكتور الخراط: «ووازن العلماءُ بين إفادة الذمِّ في القراءتين. قال مكي: «وفي الرفع أيضًا ذمٌّ، لكن هو في النصب أبين؛ لأنك إذا نصبتَ لم تقصد إلى أن تزيدها تعريفًا وبيانًا، إذ لم تُجْرِ الإعرابَ على مثل إعرابها، إنما قصدت إلى ذمِّها، لا لتخصيصها من غيرها بهذه الصفة التي اختصصتها بها، وعلى هذا المعنى يقعُ النصب في غير هذا للمدح».

وبذلك تتعاضد القراءتان في بيان عقوبة هذه المرأة التي عادَتِ الدعوةَ وقائدَها من خلال موضع الشاهد، فهي في قراءة الرفع على أسلوب التقرير المباشر بصيغة الثبوت، إذ جاء الخبرُ اسمًا لا فعلًا، ثم أضيف إليه أسلوب المبالغة «فَعَّالة». وسواء أعربنا «حمَّالة» خبرًا لـ «امرأته» أو نعتًا -لأنها معرفة، والموصوف معرفة، والإضافة حقيقية؛ لأن الفعل على الماضي- والخبر قادم في الجملة التالية، ففائدتها المزيد من وصفها وتخصيصها وبيانها، وكشف مساوئها.

وأفادت قراءة النصب أن هذه المرأة ستصلى النارَ هي وزوجها، ويلحقها الذمُّ من رب العالمين، فلا تحتاج إلى المزيد من التخصيص والوصف، فصُرِفَت «حمَّالة» عن إِتْباع ما قبلها بإضمار الفعل «أذمُّ».

إننا نلمح من خلال تغير حركة التاء مشهدَين، لكل مشهد مذاق: ففي المشهد الأول يرِد في قوله: «حمَّالةُ الحطب» وصفٌ كاشف لها، وعَرْض لوصفها، وفي المشهد الثاني في قوله: «حمَّالةَ» استحضار كونها معروفة فيـَرِد ذمُّها بارزًا مشهورًا أمامنا»[1].



(١) الإعجاز البياني (٢٣٣، ٢٣٤)، وينظر كتاب سيبويه (٢/ ٧٠)، الكشف (٦٩١)، إعراب القرآن للنحاس (١٣٧٦).

المصادر

- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة الجامعية.
- الانتصار للقرآن، القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلاني، دار الفتح، عمان – الأدرن، دار ابن حزم، بيروت – لبنان.
- إبراز المعاني من حِرز الأماني، أبو شامة الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الحديث، القاهرة.
- إتحاف الأعِزَّة بترجمة الإمامِ حمزة، مصطفى بن شعبان الورَّاقي.
- إتحاف فضلاء البَشَر، أحمد بن محمد بن عبدالغَنيِّ الشهِير بالبَنَّاء، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- أثر اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية، د/ عبد الله بن برجس آل ظفر الدوسري، دار الهَدي النبوي - مصر، توزيع دار الفضيلة - السعودية.
- أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، عبد الرحمن الجمل، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، (العلوم الإنسانية)، مجلد ١٨ (١)، ٢٠٠٤.
- أثر القراءات القرآنية في استنباط الأحكام الفقهية، د/ عزت كرار، مؤسسة المختار، القاهرة.
- أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار أئمة الخمسة الأمصار الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار، عبد الوهاب بن وهبان المزي الحنفي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان.
- اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها - حكمه ودلالته، الجيلي علي أحمد بلال، مجلة جامعة الشارقة (مجلد ٥/ عدد ١)، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨.
- الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد.
- الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، أحمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء العكبري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن الأنباري، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة

التجارية الكبرى، مصر.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الرشيد، دمشق – بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت – لبنان.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري، دار الحديث – القاهرة.
- الإيضاح في شرح المفصل، ابن الحاجب، دار سعد الدين، دمشق.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهِير بأبي حيَّان الأندلسي، دار الفكر – بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار الحديث القاهرة.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار الجيل، بيروت.
- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- التجريد لمعجم مصطلحات التجويد، إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة للنشر والتوزيع.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ودراسة الدكتور/ الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، الرياض.
- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة الرسائل الجامعية.
- تفسير غريب القرآن، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، إعداد مجموعة باحثين، ضبط وإشراف د/ مروان محمد أبو راس، منشورات الجامعة الإسلامية ورابطة علماء فلسطين – غزة.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند.
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة.
- توجيه مُشكل القراءات العشرية الفرشية لغةً وتفسيرًا وإعرابًا، عبد العزيز بن علي بن علي الحربي، رسالة ماجستير – جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين – قسم الكتاب والسنة (١٤١٧ هـ).
- جامع البيان في تأوِيلِ القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار هجر.
- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، أبو عمرو عُثمان بن سعيد الداني، دار الكتب العلمية.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطُبي)، محمد بن أحمد الأنصاري القُرطبي، دار الغد العربي.
- الجامع لقراءة الإمام حمزة من الشاطبية والطيبة أصولًا وفرشًا وتوجيهًا، وائل الحمدي، دار الكتب

العلمية.
- جمال القراء وكمال الإقراء، عَلم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة.
- الحجَّة في القراءات السبع، ابن خَالويه، دار الشروق، بيروت والقاهرة.
- حجة القراءات ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- الحجة للقراءات السبع أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، دار المأمون للتراث.
- خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبة الخانجي.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- الدُّرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، هشام عبد الجواد الزهيري، الأمل والدار العالمية، الإسكندرية -مصر.
- الدر المَصُون في علومِ الكتاب المكنون، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمَّد بن إبراهيم المعروف بالسَّمِين الحلبِي، دار الكتب العلمية.
- روح المعانِي في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني (تفسير الآلوسي)، شِهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، إدارة الطباعة المنيرية.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، دار المعارف بمصر.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، دار الحديث، القاهرة.
- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، مكتبة المعارف، الرياض.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمَّى «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان.
- شرح شذور الذهب فِي معرِفة كلامِ العرب، ابن هشام الأنصَارِي، دار الطلائع.

- شرح الشواهد الشعرية في أمَّات الكتب النحوية، محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، منسوب لأحمد بن محمد بن الجزري، دار الصَّحَابة.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، النويري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- شرح المفصَّل، مُوفق الدين يَعِيش بن علي بن يعيش النحوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- الشرح الممتِع على زاد المستقنِع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الهيثم، القاهرة.
- شرح الهداية، أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق ودراسة د/ حازم سعيد حيدر.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، جمال الدين بن مالك، مكتبة ابن تيمية.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق وبيروت.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح سنن أبي داود للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- صحيح مسلم بشرح النووي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.
- الصواعق المرسَلة على الجهمية والمعطِّلة، ابن القيم، دار العاصمة، الرياض.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
- طبقات الحنابلة، القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري المصري الحنفي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- طلائع البِشْر في توجيه القراءاتِ العَشْر، مُحمَّد الصادق قمحاوي، دار العقيدة.
- العقائد الإسلامية، السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، القاهرة.
- العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، عمر سليمان الأشقر، دار السلام، القاهرة، ودار النفائس، الأردن.
- علل الوقوف، أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي، مكتبة الرشد ناشرون.
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير ابن كثير)، أحمد شاكر، دار الوفاء.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- غاية النهاية في طبقات القراء، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي الجزري، الكتب العلمية.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

- الفتوحات الإلهية في توجيه القراءات القرآنية، محمد سلامة يوسف سليمان ربيع، طبعة كلية القرآن الكريم، طنطا – مصر.
- الفروع، شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، ومعه تصحيح الفروع، لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، وحاشية ابن قندس، لتقي الدين أبي بكر بن إبراهيم بن يوسف، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ودار المؤيد، السعودية.
- الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدَثين وأسماء كتبهم، النديم، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- الفهرست، النديم، تحقيق رضا ـ تجدد.
- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية.
- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي – الإمارات.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، طبع تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع، الرياض.
- قراءات الإمام حمزة والانتصار لها، د/ سامي عبد الفتاح هلال، دار الصحابة.
- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، فضل حسن عباس، دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة، السعودية.
- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- قراءة حمزة بن حبيب الزيَّات دراسة نحوية وصرفية، د/ حمُّودي المشهداني، دار الكتب العلمية.
- قراءة حمزة ورد ما اعترض به عليها، عبد الله بن صالح بن محمد العبيد، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان.
- الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، مؤسسة الرسالة.
- الكتاب، للإمام سِيبَوَيْه أبي بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مكتبة الخانجي.
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، دار الزمان، السعودية.
- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي المعروف بابن أبي مريم، دار الصحابة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة العبيكان، الرياض.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمـد مكي بن أبي طالب القيسي، كتاب – ناشرون، بيروت – لبنان.
- كلمة في آية، الدكتور صبحي عبد الحميد، برنامج إذاعي في إذاعة القرآن الكريم من القاهرة، تقديم المذيع/ أشرف حمدي.
- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار المعارف، القاهرة.
- لغة قريش، مختار الغوث، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض.
- اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي، عبد القادر الـهَيْتي، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي.
- متن ألفية ابن مالك، جمال الدين محمد بن مالك الطائي الأندلسي، دار الآثار، القاهرة.
- مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، دار الوفاء.
- مجموع رسائل العقيدة، محمد بن صالح العُثيمين، مكتبة العلم.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- مختصر في شواذِّ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- مُرشد الأعزَّة إلى شرح رسالة حمزة، للشيخين محمود برانق ومحمد سليمان صالح، تحقيق الشيخ عبدالفتاح القاضي، مكتبة القاهرة.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة.
- معانِي القرآن، لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفرَّاء، تحقيق ومراجعة أ/ محمد علي النجار، الهيئة المصرِية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم الزجاج، عالم الكتب، بيروت.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية.

- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- معجم الأوزان الصرفية، إميل بديع يعقوب، عالم الكتب، بيروت.
- معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، أ.د/ عبد العليِّ المسئول، دار السَّلام – القاهرة.
- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، د/ أحمد الخرَّاط، دار القلم – دمشق.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، استانبول.
- المغني، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي الحنبلي، دار عالم الكتب، الرياض.
- مُفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغِب الأصفهاني.
- المكتفَى في الوقف والابتِدا، أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان، دار الصحابة.
- منار الهدى في بيَان الوقف والابتدا، أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، دار الكتب العلمية.
- من القضايا الكبرى في القراءات القرآنية، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة.
- من أوجه القراءات القرآنية إبدال الحروف وأثره في التفسير، حسن العبادلة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد (٢)، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- مُنجد المقرئين ومرشِد الطالبين، أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري، عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدَثين عليه — دراسة نقدية تحليلية نحوية صرفية، سليمان يوسف خاطر، مكتبة الرشد، الرياض.
- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، محمد سالم محيسن، طبعة قطاع المعاهد الأزهرية.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ويليه ذيل ميزان الاعتدال، لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النحو القرآني، طريقة منهجية في الربط بين القواعد النحوية وكتاب رب البرية، إبراهيم البلِّيزي، دار المحدِّثين، القاهرة.
- النشر في القراءات العَشر، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزرِي، دار الصَّحَابة، طنطا.
- النظرات، مصطفى لطفي المنفلوطي، مكتبة الهلال بالفجالة، القاهرة.
- نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، محمد أحمد عبد العزيز الجمل، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك ، أربد- الأردن.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر، بيروت.



فهرس الكتاب

